

# إلى طالب العلم

بقلم:

علي الكوراني العاملی

الطبعة الثانية - ١٤٣٩ - ٢٠١٨



## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم السلام

على نبينا محمد وآلته الطيبين الطاهرين .

وبعد ، فقد طلب مني بعض الأعزاء أن أنشرـ مشاهداتي ومذكراتي ، لأنـي  
عاصرت عهوداً فيها منعطفات تاريخية مهمة ، وعملت مع مرجعيات تختلف  
ظروفها وأساليب عملها ، وعاصرت تأسيس أكبر حركة إسلامية شيعية  
«الدعوة الإسلامية» وعملت في صفوفها ثم في قيادتها سنين طويلة ، ثم تطورت  
قناعي ورجعت إلى أسلوب العمل الإصلاحي التقليدي .

وكلت أعتذر عن الكتابة بأن بعض الناس لا يتحملون أن تقدم قراءتك ،  
ولا شهادتك ، فإن لم توافقهم فأنت خصم لهم، فالسكتوت أخرى بالعاقل!  
ثم قرأت بعض ما كتب عن أحداث عايشتها ، فقلت في نفسي:- إذا كان  
الحدث الذي شاهدناه يكتب بهذا النحو: منزوعاً من جَوْهُه ، موضوعاً في محيط  
آخر، مخلوطة أحداثه وأشخاصه وتواريخته ، مع تعطيم وتضخيم ، فكيف نشق  
بروايات تاريخنا الإسلامي ، الذي اهتم حكامه الظلمة بمفرداته الصغيرة ،  
وحاسبوا عليها الراوي والمؤرخ ؟!

لذلك كتبت أشياء وأوصيت بنشرها بعد وفاتي ، وبعض المكتوبات تنفع بعد  
وفاة صاحبها أكثر منها في حياته !

وفي هذه المدة أقنعني بعض الأعزاء أن أستخير الله تعالى على كتابة تجربتي الى طالب العلم ليستفيد منها خبرةً وعبرةً ، خاصة وأن حوزة النجف الأشرف تجدد بناء نفسها ، وتجمع أفلاد أكباد الشيعة لترويهم بینابيعها العذبة ، وما أقرب أن ينطلقوا من مدارسها رسل هداية في العالم .

فأطاعت الإستخاراة وكتبت هذه المذكرات ، وحرصت قدر المستطاع أن لا تمتد أحداً بسوء ، واقتصرت على ما ينفع الطالب في بنائه الفكري والروحي ، لعلي أوفر عليه عناً طويلاً عشناه ، ولم نخرج من ثقله إلا بشق الأنفس ، أو أفتح له باباً لم ينفتح علينا إلا بجهد جهيد ، ودهر مدید .

وأعتذر من أعزائي الطلبة إذا اغلب الجانب الذاتي في هذا الكتاب ، فإنه هو حديث عن النفس ، ليستفيد منه الغير ، أعانتنا الله على أنفسنا ، ورزقنا خيرها ، وأعاذنا من شرها . كما أعتذر من الذين ذكرتهم لماً ولم أستوف الحديث عنهم ، أمثال مراجعنا الراحلين السيد محسن الحكيم ، والسيد عبد الهادي الشيرازي ، والسيد أبي القاسم الخوئي ، والسيد محمود الشاهرودي ، والسيد مهدي الشيرازي ، والسيد حسين الحمامي ، والسيد محمد باقر الصدر ، رضوان الله عليهم ، من عاصرتهم أو درست عندهم ، لأن الحديث عن كل واحد من هؤلاء الكبار ، يحتاج الى كتاب خاص ، أو فصول .

كذلك أعتذر للشخصيات التي عاصرتها ولم أذكرها أو لم أستوف الحديث عنها ، من السادة المحترمين آل الحكيم ، وفي طليعتهم أستاذنا المرجع السيد محمد

سعید الحکیم، ووالدہ المؤقر السيد محمد علی الحکیم ، والسادۃ المحترمین آل الصدر ، وآل بحر العلوم ، وآل الجواہری ، وآل یاسین .

وقد یرى القارئ أني أسندت العديد من الأعمال والأدوار إلى السيد مهدي الحکیم ، وأبی عصام الحاج عبد الصاحب دُخیل رحمهما الله تعالى .  
لکن ما أصنع إذا كان هذا الواقع، ولا أستحل أن أنتقص من دور شخص في الأحداث ، أو أعطی دوره لآخرين .

كتبه: علي الكوراني العاملی - قم المشرفة - غرة ربیع المولد ١٤٣١



الفصل الأول:

## مدرسة الحب والبغض

### خالتي الحاجة تفاحة

كان عمري ثلاثة سنين عندما ولد أخي عباس ، في سنة ١٣٦٦ هـ . ١٩٤٧ م .  
وأذكر أنه حدثت في بيتنا حركة ، فقد جاءت داية القرية الحاجة صالحة وعدة  
نساء ، و خالتى الحاجة تفاحة ، وهي أخت جدتي لوالدى .  
أذكر أن والدي انشغل قليلاً في الغرفة الكبيرة ، ثم تركهم وذهب .  
وأمرنا نحن الأطفال أن لا ندخل إلى الغرفة .

كان الوقت صيفاً ، وكانت خالتى الحاجة تفاحة تعمل بهدوء ومثابرة ، أما  
جدتي الحاجة نرجس ، فكانت تتحرك وتدير الأمور كعادتها .  
وقبل الظهر سمعنا صوتهن وصلواتهن ، وأنها ولدت صبياً والحمد لله ، وفرح  
الذين حولنا ، وفرحنا بأنه ولد لنا أخ جديد .

ثم رأيتهم جاؤوا بدجاج مذبوح وأعطوه إلى خالتى تفاحة ، وكان ذلك اليوم  
آخر عهدي بالدجاج ، فقد أعطتني كاسة فيها ماء دجاج وقالت إشرب ،  
فشممت رائحة زفقة ، ثم شربت شيئاً من مائه فصدمت ! ثم لم آكل الدجاج إلى  
الآن إلا أن أكون مجبراً ، فعندما أرى الدجاج أذكر ذلك الطعم الذي صدمني !

وقد فرحت عندما رأيت حديث: الدجاج خنزير الطيور ، وكان ذلك انتقاماً لي من الدجاج ، مع أنه نعمة من الله تعالى ، ومشوياته من أفضل المشويات ، لكن الأمور النفسية لا تخضع للمنطق .

وقد يكون معنى: الدجاج خنزير الطيور ، أنه كالخنزير قد يأكل القاذورات فامنعواه منها ، أما اليوم فصارت تغذية الدجاج مبرمجة .

وكما كرهت في ذلك اليوم الدجاج أحببت خبز الصاج ، فعندما رأته خالتي تفاحة لم آكل قالت لي: تعال أعمل لك بعقة ، وخبزت لي بقعة تغذيت بها ، وهي رغيفان مدجحان، يضعون عليها زيتاً أو زعراً أو سمسماً. ويلفظها الناس بعقة بتقديم العين، وهي في اللغة كما يقول الخليل قطعة الأرض التي تختلف عنها حوالها ، وجمعها بقاع، وسميت بها بعقة الخبز، لأنها تختلف عن بقية الخبز .

وأذكر من أحداث ذلك اليوم أنهم أخذونا أنا وأختي و كانتا في الخامسة والسبعين ، وأخي قاسم في التاسعة ، إلى كرم الدّاؤير القرىبي ، وعملوا لنا أرجوحة في شجرة تين كبيرة ، ثم عادوا بنا في أول الليل إلى البيت .

#### الطفل يدرك ويختزن مادة المعرفة

قد يذكر ابن ثلاث سنين أموراً ، أو يختزن صوراً فيفهمها ويجعلها بعد أن يكبر . فقد حفظت الفرق بين خالي الحاجة تفاحة ، وأختها جدتي نرجس رحمهما الله فجدتي مديرية تأمر وتنهى الجميع ، حتى أبي وعمي الحاج محمود الوجيه الكبير ، وكانت والدتي تهابها لهيبة أبي لها.

سمعتها ذات يوم تقول لوالدي: يا محمد إذهب وادع لي أخاك محموداً وحيدر  
فكانت تجتمعهم لطلب منهم أمراً يتعلق بالبلد ، أو بخلاف بين شخصين ، أو  
بين عائلة كوراني وعائلة أخرى ، أو لتعتب عليهم ، أو لتعطيهم توجيهًا !

كان هذا دأبها لمدة أربعين سنة ، من وفاة زوجها إلى وفاتها رحمهما الله .

وعندما توفي زوجها كان والده جد أبي حيأ ، وهو الحاج محمد كوراني ، وكان  
وجيئاً في القرية ، لكنني سمعت من والدي أنه كان يحترمها ولا يرد لها رأياً ،  
وأنها هي التي أدارت أملاكه ، وكان يعمل عندهم في الصيف عشرون عاملاً.

كانت رحمة الله قوية البنية ، حديدة النظر ، ترى من قريتنا مدينة صور وهي  
على مسافة ٢٢ كيلو متراً ، وقريتنا على ارتفاع ٨٠٠ متر عن سطح البحر ، فتقول:  
أنظروا لقد بدؤوا يبنون بناية على الرمل ، فلا نرى شيئاً ، ثم نذهب الى صور ،  
فنرى الأمر كما وصفت !

أما خالي تفاحة ، وهي والدة المرحوم الحاج حسن سليم ، فكانت من النوع  
الهادئ ، العطوف مع كل الناس ، الحنون عليهم ، الخدوم لهم .

من النوع الذي لا يهمه ما يقول الناس في بعضهم ، ولا ما يقولون فيه ، ولا ما  
يختلفون عليه . يهمه فقط أن يقوم بعمله ، ويخدم الناس قدر استطاعته !  
إنها تحبُّ بطبيعتها ، ولا تعرف البغض ، ولو كلفت بأن تبغض لما استطاعت !  
لا تسمع منها إلا: يا روحـي ، يا عـينـي ، يا تـقـربـي ، إـسـمـ اللـهـ عـلـيـكـ ، اللـهـ يـوـفـقـكـ ..  
فهذا قاموسها ، وهذه روحيتها وعلمتها الذي لا تعرف غيره .

عرفت بعد ذلك أنه توجد عدة نساء في قريتنا من نوع خالتي الحاجة تفاحة .  
منهن: زوجة نمر سويدان ، وزوجة أبي علي عبد الحسين سويدان ، وزوجة  
الحاج علي خليل كريم ، والداية الحاجة صالحة زوجة حسين كوراني ، وزوجة  
الحاج ابراهيم موسى عيسى كوراني ، الحاجة سكيبة ، التي عاشت أكثر من مئة  
سنة ، وتوفيت قبل ثلاث سنوات . رحمهم الله جيئاً .

زرت الحاجة سكيبة قبل بضع سنوات، وسألتني عن بعض الأحكام والأذكار ،  
وسألتها عن برنامجهما اليومي فقالت إنها تصلي وتبسح الله تعالى وتذكره أكثر  
أوقاتها ، وتنام قليلاً ، وأن طعامها عادي ، ولا تشكو من مرض ، إلا أن يصعب  
عليها الروح والمجيء . فقدر أنها تعبد الله تعالى عشرين ساعة في يومها  
وليلتها . وهذا رقم قياسي لثلثها .

سألتها عن منامها الذي رأت فيه جبرئيل عليه السلام فقالت: كنت ماشية بين الحارتين ،  
فرأيت جبرئيل وإسرافيل عليهما السلام فسلمت عليهما ، فأعطياني جبرئيل عليه السلام كفناً  
ففرحت به . ومشيت خطوات فجاءت الحاجة فلانة وسألتني ما هذا ؟  
فأخبرتها ، قالت: أعطني إيه أنت يأتون لك بغيره ، فلم أقبل ، فقال لي جبرئيل  
وقد ابتعد عنا: أعطها ، أجيبي لك غيره إن شاء الله ، فأعطيتها إيه .  
وسألتها: والآن بعد ثلاث سنوات ، ألم يأتوك جبرئيل عليه السلام بكفن ؟ قالت: لا ، لم  
أره في المنام إلى الآن . ثم لم أعرف هل رأته بعد ذلك ؟

أما شيخة هذه النوعيات الطاهرة ورئيسهن جميعاً، فهي المرحومة خاتون الورد ، التي كان آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين قَدِيرُكَوْنَى في قريتنا ، فرأى في منامه بيته في الجنة ، ورأى بيته أحسن منه أعجبه ، فسأل: ممن هذا البيت؟ فقالوا له: هو خاتون الورد ! فسأل يومها: هل عندكم في ياطر إمرأة إسمها خاتون الورد ؟ قالوا نعم سيدنا ، إنها امرأة تعيش في بيت صغير ، معروفة بأئمها ترش الحبوب للعصافير في بيتها ، وفي الصيف الحار تأخذ الماء وتضعه في تجاويف الصخور في البراري ، لشرب منه الطيور والحيوانات !

يقول أحدهم: رأيتها تحمل كوز ماء تحت منديلها حتى لا يسخروا منها ، وهي ذاهبة في الحر إلى البر ، فقلت لها: يا خالتى إن هذا الماء الذي تتبعين به وتضعينه في الأجران ، تشرب منه الحَيَّاتِ ! فقالت: إنها ذات روح يا ولدي !

وقالوا عنها إنها عندما يشتد الشتاء أو ينزل ثلج ، تحمل ما تجده من خبز وطعام وتذهب إلى رأس تلة صخرية مشرفة على الوادي ، فيأتيها الواوية أي الثعالب فتوزعها عليهم ، وقد تضع لهم الطعام على الأرض فياكلون أمامها ، ويطمع أحد الثعالب بسهم غيره ، فتقول له: أنت أكلت سهمك ، رُح ، فيذهب ! فقال السيد شرف الدين قَدِيرُكَوْنَى: خذوني إلى بيتها ، وذهب وزارها ، وسألها عن حالها ، وبشرها بمنامه ، وطلب منها الدعاء !

وسألت عن أولادها ، فقالوا عندها بنت واحدة ، متزوجة في غير قريتنا .

على النقيض من خاتون الورد وأخواتها ، يوجد نساء ورجال لا يستطيعون أن يحبوا أحداً أبداً ! أما البغض فحدث ولا حرج ، إنهم يطفحون بالبغض ، ويبغضون أقرب الناس إليهم ، وربما أغضب أحدهم نفسه !

قال أحدهم إنه يجلس مع أصدقائه وبيدوون بتقصيب الناس ، أي غيبيتهم ، وأحياناً تنتهي قائمتهم ، فيقول أحدهم: انتهينا من القوايد كلهم ، بقى نحن فلنبدأ بهذا القواد ! وبيدوون بتقصيب بعضهم واحداً واحداً !

إنها القدرة على الكره والبغض ، والعجز عن الحب وحسن الظن ! وقد تعجبتُ عندما رأيت بعض الناس يحب شخصاً محترماً لأنه ليس من النوع الذي يحب أحداً ، ثم رأيته بعدها قد تعب من حبه له ، وأعلن بغضه وشتمه !

هذا الشخص الأصل عنده البغض ، والحب عنده محدود موقت ، لدوابع وأغراض ، وسرعان ما تنتهي مادته ، ويتوب صاحبه منه !

وقد رأيت نموجاً من تربيتهم فذهلتُ ، طفلة نظرت إلى القمر وقالت له: إمشِ ولك ، أنظر كيف ينظر اليانا بجنب عينه ابن الكلب ! يا الله إمشِ ، تخيبْ !

لعل هذاأسوء نموذج لتلاميذ هؤلاء ! فما ذنب القمر ومن الذي أفقد هذه الطفلة الحب الطبيعي للقمر ، وعلمها هذا البغض الى حد العداونية ؟!

لا بد أن أمها مريضة بالبغض والكره ! آمنت أن الأم هي الحضارة ، وهي الدين ، وهي الإنسانية ، وهي الحب والبغض .

هل يمكننا أن تكون من أبناء مدرسة بغض القمر ، وبسبه وشتمه ، ولعن أبيه ؟ يمكن ذلك ، إذا أطلقنا لشيطان هوانا أن يسيطر علينا ، وأطعناه واندفعنا معه ، عندها سنرى الجميل قبيحاً والقبيح جميلاً ، ونرى المعروف منكراً ، ونرى ولي الله

عدواً . أليس علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أجمل من القمر ، وهل رأيت كم يبغضهم التواصب !

#### مدرسة خاتون الورد ومدرسة شرف الدين

قال صاحبي : هل يمكنك أن تكون من مدرسة خاتون الورد وأخواتها ؟  
 قلت له : نعم يمكنني ، لكنني لا أؤمن بهذا المنهج ، لأنه منهج السذاج البسطاء  
 الذين يرون الجميل في الناس والحياة ، ولا يرون النصف الآخر .  
 يمكنني أن أغمض عيني عن مساوئ الناس ، وعن أعداء الله وأعداء عباده ،  
 أن أعيش بالولاية وأنسى البراءة ، لكنني لا أريد ذلك ، ولا يجوز لي .  
 أرأيت لو كانت خاتون الورد رحمة الله في محيط الوهابية أو الخوارج ؟ ألا تتجهم  
 وتخدمهم ، كما كانت تحب المؤمنين وتحدمهم !

قال صاحبي : إن من الشوائب عندها أنها تسأل العلماء عمن تواليه وتعاديه ،  
 ومن تحبه أو تبغضه ، وكفى باعتقادها بالرجوع إلى العلماء ضماناً ، وهذا معنى  
 أن العلماء حصنون الإسلام ، فهم يحفظون المسلمين في حصنه .

ثم من قال لك : ليس عندها براءة ، إن غلبة عنصر المحبة لا يعني أنها تحب  
 حتى إبليس وال مجرمين ، فبغضهم في عقيدتها وقلبهما ، لكنها مشغولة عنه بمحبة  
 الناس وخدمتهم . ويدل على ذلك أن الله تعالى جعلها من أهل الجنة .

قلت له : أقبل منك أن عندها ولادة وبراءة ، لكن براءتها مجملة ساكتة ، وأقبل  
 منك أنها ترجع إلى علماء مذهبها الذي آمنت به ، وهذا الذي أنجاها .

قال : فأنت تؤمن بصحة منام السيد ، وأنها من أهل الجنة ، وأنها أفضل منه ؟  
 قلت : نعم أؤمن بصحة منامه فلا يرى وأنها من أهل الجنة إن شاء الله ، لكنها ليست  
 أفضل منها قطعاً ، إن منامه فلا يرى كرامه له ، قبل أن يكون كرامة لها .

قال: وبيتها في الجنة الأفضل من بيته ، ألا يدل على أنها أفضل عند الله منه؟  
قلت: كلام كلام ، فالذي أعتقده أن السيد شرف الدين رأى دارةً من ملوكه في  
الجنة ، دارةً واحدةً مما يملك: (فيلا) ، ورأى أخرى أحسن منها هذه المؤمنة .  
ومن المؤكد أنه يملك دوراً وقصوراً مميزة ، وأن خاتون الورد لو أرادت أن  
تزوره في الجنة ، لكان عليها أن تطلب موعداً من شخصية كبيرة .  
قلت له: هل تريدين أن نمتهن عقولنا ونرد الآيات وأحاديث النبي وآلهمة في  
ثواب العالم الذي يدافع بعلمه عن الدين ، ويرد كيد النواصب عن المؤمنين ؟  
مثلاً الحديث الذي رواه الشهيد الثاني في منية المرید / ١١٥ ، عن الصديقة الزهراء عليها السلام  
قالت: (سمعت أبي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: من كان من شيعتنا عالماً بشر -يعتنا ،  
فأنخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به ، جاء يوم  
القيمة على رأسه تاج من نور يضيئ لأهل تلك العرصات ، وحلة لا يقوم لأقل  
سلوك منها الدنيا بحدافيرها .. إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع  
الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في إرشاد عباد الله ، حتى يخلع على  
الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور . ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها  
الكافلون لأيتام آل محمد ، الناعشوں لهم عند انقطاعهم عن آباءهم الذين هم  
أئمتهم ، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتتموهم ونشتموهم ، فاخلعوا  
عليهم كما خلعتموهم خلع العلوم في الدنيا . فيخلعون على كل واحد من  
أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم ).  
فأين هذا من عمل خاتون الورد وبيتها في الجنة ؟ فلئن كانت وليةً من أولياء الله  
تعالى فالسيد شرف الدين وأمثاله من سادات الأولياء ، بدون شك ، وسيكون  
شرف لها أن يقبلها السيد من أتباعه وجماعته !

قلت له: وكيف يجوز لنا أن نستر خص البراءة وأن ننقصها قدرها العظيم ، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام (الكافي: ١٢٦/٢): (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أي عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم ، وقال بعضهم: الصلاة وقال بعضهم: الزكاة ، وقال بعضهم: الصيام ، وقال بعضهم: الحج والعمرة ، وقال بعضهم: الجهاد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل ما قلتم فضل وليس به ، ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وتوالي أولياء الله والتبري من أعداء الله).

فهل يجوز أن نعطي للمحبة لله تعالى وأوليائه والخير ، قيمةً مطلقة ، ولا نعطي مثلها لما يقابلها من بغض أعداء الله والشر- ؟ نعم إن منهج خاتون الورد وأخواتها قيمة إسلامية مهمة ، ولكن بشرط وجود البراءة في مقابلة .

قال صاحبي: هل نقول إن هذا المنهج لا براءة فيه ؟

قلت له: بل فيه براءة دون شك ، وإنما يكن أصحابه مرضيin عند الله تعالى . لكن حاملي راية الولاية والبراءة ، ورافعي مشعلها ليضيئ الناس ، هم أعلام الطريق للمؤمنين ، لخاتون الورد ، وآلاف أمثاها .

قال صاحبي: وهل نعتبر من نقص بغضه كمن نقص حبه؟

قلت له: بلا شك ، أما قرأت قول الإمام زين العبددين عليه السلام: (وحبب إلى من أحببت ، وبغض إلى من أبغضت). (الصحيفة/ ٢٦٣).

وقول أمير المؤمنين عليه السلام (نهج البلاغة: ٦٠/٢): (فتأس بنبيك الأطيب الأطهر عليه السلام فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه والمقتضى لأنثره.. قضى الدنيا قضيًّا، ولم يعرها طرفاً. أهضم أهل الدنيا كشحًا، وأخصهم من الدنيا بطنًا، عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها ، وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه ، وحقر شيئاً فحقره ، وصغر شيئاً فصغره .

ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله ورسوله ، وتعظيمنا ما صغر الله ورسوله ،  
لكفى به شقاً لله ، ومحادةً عن أمر الله ) .

قال صاحبي: أليس في ذلك تنقيص لمقام أولياء الله من أمثال خاتون الورد ؟  
قلت له: بل الغلو فيهم تنقيص لمقام عظماء أولياء الله ، من العلماء الذين عظمتهم  
النبي ﷺ والأئمة علية السلام وجعلوهم القادة والقدوة بعدهم .  
كم ساعني أن أرى بعض المسؤولين يدعون إلى المسلك العرفاني فيغالون في  
تعظيم أمثال خاتون الورد ورجب الخياط، وينشرون مكذوبات الناس فيهم !  
لقد كتب عن رجب الخياط أنه لما وضع في لحده ، سمع أحدهم ملك الموت  
يقول لصاحبته: أتركه لا تحاسبه ، فهو من أهل الجنة بغير حساب !  
إن هذا المسؤول لم ينقل هذه (الكرامة) لأحد من كبار الفقهاء وكافلي أيتام آل  
محمد ، حتى للإمام الخميني الذي يقدسه الله فجعل رجب الخياط خيراً منه !

الفصل الثاني:

### خواطر من القرية

#### أذكر سقوط فلسطين وإقامة دولة إسرائيل

في سنة ١٩٤٨، كان عمري نحو أربع سنوات ، وأذكر أن المرحوم والدي وجماعة من قريتنا انشغلوا بإسكان الفلسطينيين الماربين من فلسطين .

أذكر أنه ﷺ قال لأحدهم نفتح لهم بيت عقيل عز الدين، وكان قريباً من بيتنا ووارثه ابنه علي مهاجرًا إلى الأرجنتين، وكان يحترم الوالد ويسمع كلامه ، فأسكنوا فيه ثلاثة عوائل . وبقربه بيت الحاجة ضويبة الساكنة في بيروت ، أسكنوا فيه عائلة طالب الصالحي ، وزعوا الآخرين في أنحاء القرية ولعلهم كانوا ثلاثة عائلة ، ونصبوا لبعضهم خيًّا ، وجمعوا لهم مواد غذائية ، وطحينا ، وبعض اللوازم الأولية .

وقد رأيت وضعهم رثًّا يثير الغيرة ، كان بعضهم يحمل بعض وسائله وخلافاً على حمار ، وتركب عليه امرأة و طفل ، ويمشي خلفه الأب وبعض الأطفال ! وقد سمعت القصص عن الفلسطينيين الذين سكنا في قريتنا ، وألغتنى منها إسم بيت أبو الوحش ، وقصص عن طالب الصالحي بتعيرنا ، والصالحان قرية في لبنان على حدود فلسطين ، يظهر أنها كانت مقراً للمعبددين ، فقد كان النصارى ثم المسلمين يترهبون وينقطعون للعبادة في الجبال ، فيظهر أن إسم

الصالحان جمع صالح بالتركية أو الفارسية ، ومعناه الصلحاء الذين انقطعوا الى العبادة . كما يوجد قرب قرية الحولة: ثلاثة العُبَادَ .

وكان طالب الصالحاني له رحم معنا ، وقد انتقل من الصالحان الى داخل فلسطين فسكن في البصّة ، ثم تَهَجَّر وجاء الى ياطر .

وأذكر أن شخصاً سأل المرحوم الوالد عنه هل هو شيعي أم ترك تشيعه وتسنن؟ فقال له: سمعته في إقامة الصلاة يقول: أشهد أن علياً ولي الله .

وسمعت جدي يقول: جاء أولاد الفلسطينيين ليستعيروا منا بعض الوسائل ، فسألتهم عن أسمائهم فقال أحدهم: إسمي خالد ، تقول جدي: فقلت له: إسمك حلو يا إبني ، ثم لما ذهبوا انتبهت الى أنه إسم خالد بن الوليد ، الذي نذكره مع الشمر ويزيد !

وكان الفلسطينيون يألفون المرحوم الوالد ويطلبون منه المساعدة في بعض الأمور، وكنا نتعجب من أنهم ينادونه: يا حاج أبو داهود ، فينطقون الواو هاء .

كان الفلسطينيون الذين سكنوا في قريتنا من النوع العادي ، وكان أبرزهم طالب الصالحاني ، وال الحاج محمود الجشي ، وكان صاحب قطيع ماعز ، وهو شخص محترم ، قال والدي: إن من أخلاقه أنه إذا أكلت عنزة له من زرع أحد حلب حلبيها على الأرض ولم يخلطه بحليب ماعزه . وكان خبيراً بتجهيز الكسور ، ويقوم بذلك حسبة الله تعالى ، ولا يأخذ أجرة !

توزع الفلسطينيون الذين نزلوا في قريتنا ، وسكن بعضهم في مخيم الرشيدية في صور ، وبعضهم في بيروت . وبقي لبعضهم علاقات في البلد . وكانوا يذكرون ياطر بعرفان الجميل . وكان أهل البلد ينقلون عنهم الكثير من القصص ، وأكثرها قصص بطش اليهود ، وخيانة الدول العربية ، وقصة جيش الإنقاذ الذي أرسله العرب لإيقاف عدوان اليهود ، وكيف أعطوه ذخيرة فاسدة ، وأن فرقة من الجيش العراقي وصلت إلى قرب جنين ، وكانت على مشارف النصر ، ومن ضباطها الأبطال عبد الكريم قاسم وناظم الطبلجي ، فأتاهم الأمر المشدد ، فاضطروا للإنسحاب !

وكان أهل قريتنا يرونون قصص تعصب الفلسطينيين ضدنا ، وهم يسموننا المتأولة تبعاً للماليك الشركس وابن تيمية ، ويقولون إنا كفار ! وقد نقلوا عن فلسطيني أنه قال: آخر عمرنا نهاجر إلى بلاد المتأولة ! ولما رأوا منارة في قرية جنوبية قالوا الحمد لله هذه القرية مسلمون ، وليسوا متأولة !

#### أذكر انتخابات البرلمان وغلو الناس في أحمد الأسعد

لعل هذه الانتخابات كانت سنة ١٩٤٨، وأذكر منها أن الصراع كان حاداً بين عائلة كوراني المؤيدة لكافم الخليل ، وعائلة سويدان المؤيدة لأحمد الأسعد . وأذكر أن يوسف مصطفى سويدان وهو من أرحام والدتي جاء إلى بيتنا، وقال لوالدي: هل سمعت رؤيدتهم للبيك في خلة الخوخ؟ أي نشيدهم في مفرق ياطر

قال له: ماذا قالوا؟ قال: قالوا: طير البيطير بنذبحوا ، وقلب العدو منجر حوا ،  
ومنشيل الله من السما ، وبنحط أحمد مطرحوا ! ثم قال: هذا كفر ! فقال لهم  
فلان قولوا: بنهدّ ركن من السما وبنحط أحمد مطرحوا ! فصلاح لهم الرويد !  
فأظهر والدي انزعاجه ، ولم يعلق بشئ . وأقدر أن سبب ذلك أنه وجيه عائلة  
كوراني ، ولا يريد أن يظهر انتقاد عائلة سويدان ، فقد كان يحفظ التوازن ،  
وساعده على ذلك أنه صهر آل سويدان فوالدتي منهم ، وقد ساعدهني هذه  
الخوّلية أيضًا . وكان المرحوم الوالد على منهج السيد شرف الدين فلا ينكر لا يؤمن  
بزعامة الأسعد ولا الخليل ، ولا يعتقد بالانتخابات ، وكان يحضر حتى لا يقال  
إنه يقاطعها ، ويتنصب بورقة بيضاء ، ولا يعرف بذلك إلا خاصته .

○ ○

### قراءة القرآن قبل المدرسة

كنت في السادسة من عمري فقرر والدي بجليل الله أن يعلمني القرآن في كتاتيب  
القرية ، واختار أحسنها: مكتب زينب الشيخة ، وأخذتني والدتي رحمها الله إلى  
بيتها ، وكان غرفة كبيرة لكنها ضيقة لكثرة الطلاب ، وأوصتها بي وتركتني  
وحدي ، فاستوحشت يومها كثيراً ، وأردت في اليوم التالي أن لا أذهب ، لكن  
والدتي أقنعني فذهبت مع جيراننا أولاد البلاغي، وكانت مريم الشيخة تساعد  
أمها الشيخة زينب ، وكان ابنها طالب نصر الله ، ويساعدتها أيضاً .  
ولما دخل الصيف انتقلت المدرسة إلى كرمهم في الدواوير تحت أشجار التين .

كانت أخلاق شيختنا جيدة ، وعطفتها ، فلم أرها يوماً ضربت طفلاً أبداً ، وكنت تلميذاً ناجحاً فلم أحتج منها إلى تأنيب ، بل كانت تشجعني وتمدحني وقد تعلمت الحروف والحركات بطريقة الكتاكيت ، وببدأت أتعلم قراءة السور القصار ثم الكبار حتى ختمت القرآن في بضعة شهور ، واحتفل أهلي بختمي القرآن ، وأهدى لنا الحاج طالب الصالحي تمرأً بالمناسبة ، وطلب من والدي أن أعلم ابنته قراءة القرآن ، وكانت في العشرين من عمرها وأنا في السادسة . فعلمتها مدة وكانت تعرف القراءة تقريباً ، وتعرفت من الداخل على هذه الأسرة ، أم علي وابنها وبنتها ، وابنهم الكبير من أم أخرى .

○○

وفي السنة التالية ولعلها سنة ١٩٥٢ ميلادية دخلت المدرسة الرسمية ، وكانت مدرسة القرية صفين ابتدائيين فقط ، وكانت الأولى أو الثانية على الصيف ، وكان أستاذنا علي عطوي من قرية الخيام خلوقاً حازماً وكان يحبني ، وقد رأيته بعد بضع سنين عندما رجعت من النجف في زيارة ، فقال: ما شاء الله يا علي ، كنت قصيراً سميناً ، وقد نشأت طولاً.

#### الى المدرسة في بيروت

في سنة ١٩٥٤ ميلادية، أخذني المرحوم والدي إلى بيروت ليسجلني في مدرسة، فنزلنا في بيت صغير يسكن فيه أخي الكبير داود ، وأخذني والدي إلى الكلية العاملية ، ودخلنا على مؤسسه رشيد بيضون رحمه الله فطلب منه والدي تخفيف القسط ، فكتب على الورقة بالقلم الأحمر: نصف راتب ، أي خمس عشرة ليرة

شهرياً ، وخرجنا ، وكان والدي يفكر في تحمل ميزانيته الراتب الشهري للمدرسة ، مضافاً إلى مصاريفي .

وذهبنا إلى بيت صديقه الحميم أبي عاطف مختار قرية كفرا ، وكان يسكن في منطقة المصيطبة ، فحكي له الوالد عن ذهابه إلى رشيد بيضون وما كتب .

فقال له أبو عاطف:رأي أن تسجله في مدرسة الشيخ علي الحوماني التي هي قربنا مقابل بيت صائب سلام ، وهو يأخذ في الشهر ثلاث ليرات ، ويمكن على أن يأتي مشياً من بيت أخيه في عائشة بكار ، لقرب المسافة .

وفي اليوم الثاني ذهب معنا أبو عاطف إلى: مدرسة معهد لبنان الجديد ، فاستقبلنا صاحبها الشيخ الحوماني وكان ظاهر الجدية والحزم ، يلبس عمامة قصوية ، وكان حليق اللحية ، وقد امتحنني ليعين صفي ، فقبلني في الصف الثالث ، وفي اليوم التالي جئنا إلى المدرسة وعلموني الطريق ، وصرت آتي وحدي ، ورجع والدي إلى القرية ، وأوصى بي أخي داود .

#### أول انطباعي عن بيروت

أول انطباعي عن بيروت أنها مدينة السنة الأتراك ، فقد كان أخي مستأجرأ عند بيت البوتاري ، ثم عند بيت عبد الرحمن فرشوخ ، ثم سجلت في مدرسة الحوماني وهي في ملك صائب سلام مقابل بيته .

وهؤلاء ما بين أتراك وتركمان وكرد . وكنت أسمع أسماء عوائل: إستانبولي، أرناووط، أورفلي، بيرقدار، قوتلي، سنجقدار .

وهذا الإنطباع من الصغر جعلني أبحث بعد ذلك ، فوجدت كتاباً للدكتور حسان حلاق: موسوعة العائلات ال بيروتية . وكتباً أخرى في الموضوع نشرتها جريدة المستقبل ، قال مؤلفوها: إن غالبية الأسر اللبنانيّة العريقة الساكنة في مدينة بيروت هي من أصول تركية . وذكروا العديد من هذه الأسر ، ثم ذكرروا أسرًا من أصول كردية مثل: الصلح، بدارو، قرانوح، مكداشي، يازجي ، المقدسي . وملوكيّة تركمانية مثل: رمضان، دوغان، ونصولي، قباني، كبي ، علايلي ، غلايني ، فاخوري ، فروخ ، كنيعو ، مكاري .

ومن أصول عراقية ، مثل : الحريري ، النقيب ، الناطور .  
والبلانية ، مثل : البوشناق ، وإيرانية ، وأيوبية مثل : جنبلات ، الصلح ، كلش .  
ومصرية ، مثل : الهواري ، الأسطا ، البناء ، حمادة ، حنيلي ، برهومي ، الحصري ،  
الحال ، حمد ، الدمياطي ، السماك ، علاليا ، بربير ، الز عنى ، فايد ، فليفلة .

ومغربية ببرية ، مثل: الحص ، سلام ، منيمنة ، إدريس ، عيتاني ، حمود ، جلول ، عريس . وفلسطينية ، مثل: الحافي ، ستيتية ، شاكر ، عсли ، موصلی ، مشنوق . ومن الواضح لمن سكن في بيروت أن الشيعة وافدون إليها من جهة الجنوب ولهذا تشكلت الضاحية الجنوبية وأكثريتها من الشيعة ، وجاء المسيحيون من الشرق من الجبل والمتن ، فتشكلت بيروت الشرقية وعامتها من المسيحيين .

وكان المرحوم والدي رحمه الله يزورنا في بيروت ، ويهتم بدراستي ووضعني ، وكان بعض أهل البلد وبعض أصدقائه يأتون لزيارتة ، وتدور في السهرات وأحاديث

أحفظ منها الكثير . وقد سأله ذات يوم عن الشيعة في بيروت ، فقال: كنا من قدِيم نأي إلى بيروت ونزل عند جماعتنا الشيعة ، في الشياح ، من بيت كنج ، وبيت منصور ، والخليل ، وببيضون ، وكانوا أصحاب بساتين ومزارع . كانت بيروت صغيرة ، أو لها من برج أبي حيدر إلى السراي ، وكان رأس بيروت مزارع ، وأكثره لبيت العيتاني .

ثم تكاثر الشيعة في الشياح وحوله ، وتکاثر المسيحيون في المنطقة الشرقية .

#### مدرسةنا مقابل بيت صائب سلام

كانت مدرستنا مقابل بيت صائب سلام ، وهي ملکه ، استأجرها الشيخ الحوماني . وقد رأيت صائب سلام ذات مرة في شرفة بيته وكان رئيس الوزراء ، يدخن السيجار الكوبي . وكان يحدث عنه الشاب خليل السيد من قريتنا ، وهو من فدويته ، فيقول إنه ليس متعصباً فهو يحب الشيعة ، وله مجموعة قضايات أى فدائية ، من حي اللجا ، وكلهم شيعة ويحبونه .

رأيت صائب سلام أقصر من ابنه تمام وأسمن ، وشكله أحسن ، وجلد وجهه مشدود ، وليس أوسع من وجهه مثل ابنه .

وكانت مدرستنا داراً ، ملعبها صغير ، لكن فيها صالون كبير ، تتفرع منه غرف كافية للصفوف . وكنت في الصف الثالث أرى من الشباك مسجد المصيطبة ، وآنس بسماع قراءة القرآن والأذان منه ، وأردت يوماً أن أذهب إليه فقد كانت

عندنا فرصة وقت الصلاة ، فقلت لزميلي علي صفا فلنذهب؟ فقال:لا يسمحون للأولاد .

وكان صفنا ثلاثين طالبًا ، وكنت لا أراجع درسي حتى للإمتحان ، بل أحفظها من شرح المعلم ، وكانت الأولى بلا منافس ، والحمد لله .

وكان مدير المدرسة الشيخ الحوماني يحبني ويتميز في بعض الأمور . قال لي المرحوم والدي يوماً دخلت على الشيخ علي الحوماني وأعطيته الأجرة لثلاثة أشهر ، فقال: علي تلميذ نابغ نعتز به ، ولا ينبغي أن تأخذ منه راتب ، فقلت له : أناأشكرك يا حضرة الشيخ ، ويجب أن تعطى أكثر من الراتب .

○○

كان الحوماني ، نسبة إلى قرية حومين ، لكنه من أهل حاروف ، جاداً حازماً قليلاً الكلام ، يهابه المعلمون والتلاميذ .

وكان يدير المدرسة ولا يدرس ، إلا يوماً في شهر رمضان حيث جمع تلاميذ المدرسة في الصالة الكبيرة فلم تمتلىء ، وصلى بنا ، وشرح لنا درساً عن وجود الله تعالى فرسم سيارة انزلقت من الطريق الجبلي فوقعت نحو الوادي، ليركز في أذهاننا أن الكون سيارة يسوقها الله تعالى ، ولو رفع يده عنها لحظة لانزلقت ! وكان ابنه محمد علي معلماً موهوباً محباً من التلاميذ ، ونظام الدين ، وكان له ابنة محجبة لم نرها أبداً ، ولعل زوجته كانت متوفاة .

ومن ابتكاراته حَفَظَ اللَّهُ أَنَّهُ أنه قرر إلغاء الصف الرابع من مدرسته ، وتدريس طلاب الثالث مواده في الصيف ، ثم نقلهم إلى الخامس ، وهو صف السرتفيكا ، وهي شهادة حكومية تشبه السايكل ، أو الثالث المتوسط اليوم .  
وركز علينا في الصف الثالث وزارنا مرات ، فأعجبه مستوىانا ، فقرر أن يضيف لنا دروس الصف الرابع في الليل بدل الصيف ، فدرسنا أسبوعاً ، ثم قرر ترك الدروس الليلية ، ونقل الناجحين منا في السنة التالية رأساً إلى الصف الخامس ، وحقق فينا نجاحاً ، وأخذ مكافأة من وزارة التربية !

○ ○

وما زلت أذكر العديد من رفقائي ، وقد انقطعت عنهم لأنني بعد السرتفيكا تركت بيروت ، وفي السنة التالية انتميت إلى الحوزة ، والحمد لله .  
كان أكثرهم حيوية على صفا من زبدين ، وأكثرهم محافظة عبد الله برو من سنة بيروت ، وأنقلهم همة محمد ناصر من حداثا ، وأعقلهم زين العابدين فقيه من الصرفند . وفي وسط السنة الخامسة جاء المدير ببنت حموية في العشرينات محجبة حتى وجهها ، وأجلسها في آخر الصف وأمرني أن أجلس معها .  
كانت حموية متعصبة ، تكرر المديح لخالد بن الوليد ، فيتو لها التلاميذ الشيعة بالنكات ، ويسكت السنة عن سجالهم معها .

كان أخي داود يضم بساتين بر تعال في الشياح فأذهب معه للقطاف ، فأحفظ الصناديق عند باب البستان ، ثم أساعده عصراً في البيع . وكان يقول لي إنك محبوب مزوق ، واقتصر على والدي أن أعمل معه بشكل دائم ، فلم يقبل ،

وقال علي.. أتركه لي. وعرفت بعد ذلك أنه كان يفكر من صغرى بأن يوجهني لدراسة علم الدين ، لأنه رأى أمير المؤمنين علّي بن أبي طالب في المنام وأعطاه طعاماً وأمره أن يطعمني إياه ، ففسره بالعلم ، رحمة الله ، وجزاه عنّي خيراً .

### بين المدينة والقرية

تعرفت على الكثير من معالم بيروت ، وأنواع ناسها ، فازدادت إيماناً بقررتنا وأهلها ، لأنهم بنظري أصفى ، وأحسن ، وأفهم .

صرت أكثر إيماناً بالقرية ، لأن الإنسان في المدينة مفصل عن الطبيعة ، وفي القرية يلامسها ويعايشها: في القرية ترى شروق الشمس وغروبها ، ونبت النبات ، وتفقيس الدجاجة وانفلاق البيض عن فراخ ، وتفقيس العصافير في أعشاشها ، وتسمع صياح الديك وثغاء الحيوانات ، وترى وضعها لحملها ، وسرورها إلى المرعى ، وعودتها .

في القرية تخرج إلى البرية ، فترى الغابة والوادي ، والشجر والحجر ، والحرباء والحرذون والعصفور . ترى السماء وغيومها وشتاءها ، وصيفها ، وقمرها ، ونجومها ، فأنت في وسط الطبيعة ، تلامسها وتشعر بأمومتها .

أما في المدينة فأنت في قفص ، بين جدران وبنيات ، وأصوات الكهرباء ، وتزمير السيارات ، وقد تذهب إلى الشاطئ أو الجبل ، فتشم الطبيعة قليلاً ، لكنك لا بد أن تعود إلى محابسك .

أما الناس في المدينة ، فهم أكثر تنوعاً ، وأوسع نشاطاً ، وأرقى مدنيةً ، وأحسن ثياباً ، لكن الفهم فيهم ليس أكثر من أهل القرية ، ولا يملكون صفاءهم وشفافيتهم ، بل أكثرهم معقدون في روحيتهم وسلوكهم .

في المدينة لا يزور الناس بعضهم ولا يألفون ، ولا يحبون ، فهم جيران كأهل المقابر ، وصداقتهم آنية مصلحية ، ليس فيها نبض حب الإنسان .

وخصوص البارتة يتهمونهم بغلظة أذهانهم ، لكن لا يصح التعميم ، ففيهم أصحاب أفهام ، وفيها أخيار ، لكن الناغين منهم قلة ، بينما الناغون كثرة من المسيحيين والشيعة .

### amp;gt;أمضيت صيفاً جميلاً في القرية

كانت فرحتي كبيرة عندما رأيت إسمي في الجريدة في عداد الناجحين في امتحان السرتفيكا، وهنائي أخي والأصدقاء .

وجاء المرحوم الوالد وأخذني إلى ياطر ، وأعطاني حرطي في الصيف ، إلا يوم الجمعة ، فعلى أن أذهب معه للصلوة خلف السيد شرف الدين فلاش .

كنت أحب التجول في البراري وصيد العصافير ، وأمضي يومي في كرمـنا الذي أرى من أعلى ساحل صور ، وتحيط به غابات وأودية عميقـة ، وكان أخي قاسم يأتيـني بالطعام عصرـاً وينام في الكرم ، ويذهب صباحـاً . وقد صنع تختـا وهو خيمة مرتفعة عن الأرض نحو مترين ، تستعمل للنوم .

وكان بعض الناس ينامون في كرومـهم ، ومنهم جيرانـنا بيت السيد محمد جواد وأولادـه: نورـالدين ، ومحـيـالـدين ، والـشـرـيف ، وكانت أمـهمـ منـأـرحـامـنا .

والآن أتعجب من نفسي كيف كنت لا أستوحش ، وأقضى أيامي في الكرم وفي الجبال والأودية في صيد العصافير بالدُّبُق ، وهو قضبان دقيقة عليها مادة لاصقة نشرها على الشجر ، فتقف عليها العصافير فتلتصق أرجلها أو ريشها ، فنأخذها ، وكنت أعطي ما أصيده ، وقلما آكل منه .

وكان من ألد الطعام عندي أن يمر صاحب قطيع ماعز ، فأطلب منه أن يحلب لي في كاسة ، فآخذ قرون الخرنوب الأخضر وأقطعها واضعها في الحليب ، فيتحول إلى نوع من الجبن اللذيد كاللبن ، يسمونه في قريتنا مَقِيقَة !

وكنت أذهب إلى الوديان والجبال أتفرج عليها ، وربما أرى الحية فأطاردها أو أهرب منها ! وكان المرحوم والدي يعرف هوايتي فلا ينهاني ، بل يوصيني بالتحفظ من الصخور العالية والحيات ، وأن أكون معه يوم الجمعة .

وفي ذات ليلة كنا نائمين مع أخي قاسم فسمعنا حركة ، فقال أخي بهمس : جاء الضبع يا علي ، أسكط ولا تتكلم ، ولا أذكر أني خفت بل قلت له : عندنا عصا . فقال : أسكط فهو لا يستطيع أن يصعد إلى التخت .

كان الظلام حولنا شديداً ولم يرض أخي أن نضئ بطارية ، وفجأة لمعت عيون الضبع كأنها بطاريتان صغيرتان لونهما أصفر ، وسمعنا حركته قرب تحتنا ، ثم ذهب ولم نشعر بشئ . ويمكن أن يكون جاء على رائحتنا ، فلم يجد طريقاً لهاجتنا فذهب ، أو يكون مستطرقاً إلى مكان آخر .

وقال أخي إنه ضبع ، لكن لم نره ، وقد يكون ذئبًا فذئاب المنطقة كبيرة كالضبع ، وقد رأيت مرة ذئبًا فركضت اليه بعصا فهرب مني والحمد لله .

#### يوم الجمعة مع الوالد

كان يوم الجمعة يوماً محباً إلى ، فمن الصباح أذهب مع الوالد ، وكان كل يوم يذهب إلى جهة ، يسمى بها طلَّة على الرزق ، على كرم أو أرض مزروعة ، في يوم على كرم الخلة ، ويوم على زيتونات رأس الغربي ، ويوم على عدسات رأس الشرقي ، ومن هناك نذهب إلى الصلة خلف السيد شرف الدين فَدَّاش في خيمته الكبيرة التي هي مسجد ، أمام بيت المرحوم موسى سويدان .

ذهبنا يوماً إلى كرم الخلة ، وقبل أن ندخل سمعنا صوت المرحوم الحاج علي عبد الحسين سويدان ، يقرأ ويهمهم ، قال لي والدي: هذا ديدنه فهو دائمًا يقرأ قرآنًا أو دعاءً أو يذكر أهل البيت عَلِيهِمُ السَّلَام. كان صوته هادئًا شجيًّا ينفذ إلى القلب ، فدخلنا إلى كرمه وكان جالساً ينقي العنب ويضعه في صناديق ليرسله إلى البيع . استقبلنا بحفاوة ، واختار قطوف عنب فوضعها أمامنا وقال: تفضلوا . وتحدث معه الوالد طويلاً ، ولا أذكر حديثهما ، ولم يأكل من العنب ، وأكلت قليلاً ، ثم ذهبنا إلى كرمنا كرم الخلة المجاور لكرم الحاج علي ، وكان معنا أخيه فوجيه والدي لقطف العنب ، وجال في الكرم الصغير ، وألفتني حديثه عن شجرة عنب كبيرة ، قال إنها تعطي في السنة موسمين .

ثم ذهبنا الى الصلاة خلف المرحوم شرف الدين ، وكان الناس جالسين في صاف الصلاة ينتظرون الأذان ، ثم مجيء السيد للصلاه ، وكان محلنا نحن الأولاد في آخر صاف .

كان المؤذن الرسمي الحاج أبو علي مصطفى صالح ، وإذا حضر الحاج حسين حسن كوراني أذن هو ، أو ابنه أحمد ، فقد كان صيّتاً وأذانه محبباً .

وفي جمعة أخرى ذهبت مع والدي الى رأس الشرقي ، وهو جبل في مدخل قريتنا ، كتبه المرحوم الوالدي ، ثم أعطيته مع كل ما أملك لإخوتي وأخواتي .

صعدنا الى الجبل وكان فيه أثر بركة رومانية ، فتجولنا بين العدس ، وكان منه أحضر ومنه أصفر ، ورجعنا الى الصلاة خلف السيلفي<sup>لـ</sup> قبل الصلاة وكان جالساً في صالة فيها كراسى ، فدخل والدي وسلم عليه وقبل يده ، وقبلت يده فقال له الوالد: يا سيدنا ، على أخذ السرتفيكا ، فنظر الى السيد نظرة رضا ، وقال: ما شاء الله ما شاء الله في هذا السن؟ قال والدي: نعم وضعته في مدرسة جيدة في بيروت ، هي مدرسة الشيخ علي الحوماني ، فدعاه السيد: وفقه الله .

ولما أعطيت كل ما أملك في قريتنا لإخوتي وأخواتي ، قال لي بعضهم إنك أعطيتهم ما قيمته نصف مليون دولار، وبعض القطع متراها بعشرين دولار ، فقلت له:رأيت أن عين بعض الورثة في سهمي الوافر الذي ميزني به الوالد ، وأحببت أن أدخل السرور عليه وعلى والدي ، بأن أعطي أولادهما .

وقد أخذت الغيرة أخي الحاج كامل وكان مختار القرية ، فقال: لا يجوز أن لا يكون للشيخ علي شيء في قريتنا ، فأعطاني ألف متر في تلة رأس الغربي ، وكتبها باسمي ﷺ فبدأت ببناء بيتي فيه .

### سبب عمق القرية في ذاكرتنا ؟

السبب أنها المكان الأول الذي تفتحت عليه حواسنا ، وعملت فيه كامراً لها ، إنها عالم الدنيا الذي جئنا إليه ، وعرفنا أشياءه ، وأرضه وسماءه ، وألفنا ناسه الذين أحاطوا بنا ، وفي مقدمتهم أمينا وأبونا ، وإخوتنا وأقاربنا . أضف إلى ذلك ، أن غذاء أبوينا وغذاءنا ، من أرضها ومائها وهوائها ، فمنه تكونت خلايانا ، على طعمها ، ورائحتها ، وخصائصها .

لهذا كانت صور القرية محفورة في ذاكرتنا كالنقوش في الصخر أكثر من غيرها . على أن الناس يتفاوتون في التفاصيل أحجزتهم ، كما تتفاوت أجهزة الفيديو ، وتتفاوت أيضاً ذاكرتهم ، كتفاوت أجهزة الها�ديسك .

وأحمد الله تعالى أن حواسِي التقطت من قريتنا الوفير ، واحتزنت ذاكرتي عنها الكثير ، في الأحد عشر عاماً التي عشتها فيها ، ثم من الصيف الذي كنت أمضيه ، ومن ترددِي إليها ، ثم من تواصلِي أحاديث الأقارب والمعارف .

### أحجام الأشياء في نظرنا

عندما يكبر أحدنا يصحح تصوراته وأحجام الأشياء في نفسه ، فكثير من الأشياء تكون أحجامها في الصغر كبيرة ، والطرق القصيرة تكون بعين الطفل طويلة ، مثل مسافة بيننا عن الجامع ، وطَلْعَة ما بين الحارتين .

ثم اكتشفت أنها أحجام صغيرة ، وأن الأشجار ليست كبيرة كما كنت أراها ،  
ولا عَرَمة القمح ضخمة ، ولا قطيع الماعز كثير ، ولا الربوات الخمس التي  
تقوم عليها قريتنا كبيرة ، ولا المسافات بينها طويلة .

وفي المقابل توجد أمور كنت أراها صغيرة، فإذا هي كبيرة بحجم قريتنا وأكبر!  
منها: أن الناس يعطّلون أعمالهم ليقوموا بتشييع الميت ، ويبادرون إلى حفر قبره  
ومراسم دفنه ، ولا يأخذ أحد أجرة على شيء !

ويجتمعون عند بيته يعزّون أهله ، ويحملون جنازته بأدب واحترام ، حتى  
يواروه قبره ، ويقرؤوا عليه قرآنًا ، ومجلس تعزية .

وتمشي النساء في الجنازة خلف الرجال ، والجميع بصمت ووفار ، احتراماً لهيبة  
الموت ، وأصوات القراء تصدق: لا إله إلا الله . الحمد لله الذي تعزّ بالقدرة  
والبقاء ، وقهر عباده بالموت والفناء .

ومنها: الذين يتطوعون لمساعدة أقاربهم أو أصدقائهم مجاناً ، عونةً ، للحصيدة ،  
أو الخليفة ، أو قطف العنب ، أو زراعة التبن . ففي القرية عُمال بالأجرة ،  
وفيها تبادل عمل بأن تعمل مع شخص يوماً ، ثم يعمل معك مقابلة .

لكن هؤلاء رجال ونساء يتطوعون بدون أجرة ، في حملة عمل لمساعدة  
الآخرين . وفي هذا قيمة اجتماعية ودينية ، وإشاعة للتضامن والتراحم .

ومنها: دبة الصوت ، عندما تقع سرقة مهمة ، أو يعتدى على أهل القرية جماعة  
من غيرها ، فيصعد المؤذن وينادي: يا سامعين الصوت صلوا عالنبي .

أولكم محمد وثانيكم علي . وثالثكم فاطمة بنت النبي ﷺ .

ثم يقول القضية في ندائه والمطلوب بشأنها ، فيتحرك الناس للاحقة السراق ،  
أو لرد المعتمدي ، أو لحراسة القطيع ، أو ما يخشى عليه السرقة .

ومنها: العصبة للقرية ، والغيرة على سمعتها ، وبعض القرى لأشخاص لها ،  
ولا عصبة لأبنائها لها ، وبعضاً منهم متخصصون لقررتهم لكنهم يتخصصون من غيرهم  
أو يظلمونهم ، وبعضاً منهم متخصصون لقررتهم اعتزازاً بها ووفاء ، ولا يتخصصون  
من حق غيرها ، وهذه عصبة محمودة .

ولأهل قريتنا عصبة قوية لها ، وهي غالباً عصبة محمودة ، فتراهم في بيروت أو  
خارج لبنان ، يحنون إلى بعضهم ويتخصصون .

وتراهم في القرية يتذمرون للتشاور في أمر يخص القرية ، أو مصلحة من  
مصالحها ، ويحرضون على تجنبها الخلافات والتحزبات .

### الشيخ علي عبده عالم بلدتنا

هو العلامة الشيخ علي الزين رحمه الله ، من قرية كفرا المجاورة لنا ، وقد سكن في  
قريتنا ليعلم الأولاد القرآن ، ولكنه كان عالم القرية كلها ، ومربيها .

كان طويلاً جسبياً ، أسمر ، عيناه صغيرتان ، حلو المنطق ، يتكلم بكل فمه ،  
بتوضيح وبلاجة ، ويحرص على أن يتكلم بالفصحي .

وكان يحفظ الكثير من قصص العرب وأشعارهم ، وكثيراً من كتاب العقد  
الفريد ، وغيره من كتب ابن عبد ربه الأندلسي .

وكان أليفاً مألفاً محوباً ، يخدم أهل البلد بدون مقابل ، ولذلك بقي فقيراً حتى  
كبر أولاده وتوظف بعضهم فتحسن حاله ، وكانت علاقته حميمة بكل أهل  
البلد ، ويعتبرهم أولاده ، فهو معلم آبائهم ، وإمام مسجدهم وخطيبهم .  
وهو باعث الجو الأدبي الشعري ، الذي تكون في قريتنا وخرج شعراء .

كان السيد شرف الدين قطنطش يوصي به أهل القرية ، لكن أهل قريتنا لم يتعودوا أن  
يعطوا هدية أو راتباً لعالم ولا لقارئ تعزية ، حتى للسيد شرف الدين قطنطش إلا  
نادراً ، ففي ذهنهم أن هؤلاء يقومون بعملهم الله تعالى ، ولا يأخذون أجرة  
فكأن الله ينزل لهم بالزنبيل ، أو كأنهم يأكلون التسبيح والتهليل !

وهذه الحالة عامة في أكثر قرى جبل عامل ومدنه ، بسبب كثرة العلماء والقراء  
من جهة ، وبسبب الفقر العام من جهة أخرى .

وقد قارن السيد الأمين قطنطش بين أهل جبل عامل وأهل إيران من هذه الناحية، فقال في  
أعيان الشيعة (٢٢٩/٩): (وفي تلك الأعصار التي كان فيها البهائي وأبوه وغيرهما  
مشايخ الإسلام في هرات وأصفهان ، كان الشهيد الثاني الذي هو أعلم منهم وأجل  
قدراً ، يحرس الكرم في جبع ، وفي مضيعة العلماء جبل عامل ، وينقل الخطب على  
حماره لعياله الليل ، ويبني مسجده في جبع بيده ، ويتجه بالشريط (شريط الحرير) كما  
ذكره ابن العودي لتحصيل قوته ، ويسافر في تجارتة مع الجمال إلى الأمكنة البعيدة  
كالقسطنطينية وغيرها ، ولا يعامله الجمالة معاملة أحدهم ، بل يتعدون عليه !

وفي الوقت الذي كان فيه المحقق الكركي شيخ الإسلام بأصفهان نافذ الأمر مفوضة  
إليه جميع أمور السلطنة ، وينخرج في موكب الملوك ، كان سميء ومعاصره المحقق المسيي

ينقل الخطب على حماره ليلاً له ولتلاميذه في ميس ، ويعيش عيشة القناعة والفقر ،  
ويكون عند أهل جبل عامل أقل قدرأً من بعض المتفقهة .

لكن ، لا يمكن أن نقىس إيران ، الشعب الذي يحكم نفسه بدولة قوية ، بجبل  
عامل المنطقة الصغيرة المضطهدة ، المستضعفه من الدولة العثمانية ومن محيطها .  
أما العلماء العامليون الذين ذكرهم السيد الأمين رحمه الله فكانوا في إيران أصحاب  
مناصب عليا في الدولة .

ويبقى الفرق بين الثقافة العامة للشيعة الفرس والعرب ، فالشيعة الفرس  
متعودون أن يعطوا العلماء ويكرموهم ، فتراهم إذا زارهم عالم لمحاضرة ، أو  
عقد زواج ، أو صلاة جنازة ، أو مناسبة ، يقدمون له عندما يودعونه باحترام  
ظرفًا فيه مبلغ . ولا توجد هذه العادة في الشيعة العرب .

٥٥

كان الشيخ علي الزين رحمه الله يملك كرماً صغيراً في قريتنا في منطقة (تحت البياض)  
وهو في الطريق إلى كرمانا في نقعة فارس . وكان ابنه الشيخ عبد المنعم يتواجد  
فيه أحياناً ، وكنت أقصده أو يقصدني ، فقد كانت بيننا رحم ، ويدعو أحدنا  
الآخر ابن خالي ، لأن والدي ووالدته بنات حالات .

وقد رأيت مناماً نادراً في النجف سنة ذهابي إليها: أن الإمام المهدي عليه السلام قد ظهر  
في قريتنا ، وأنه في كرم الشيخ علي عبده ، فسارعت إليه فوجدت أصحابه  
يجمعون خيامهم ، والإمام عليه السلام يقول لهم: قوموا قبل أن يلحقنا الأعداء ! فمشي  
أمامهم ومشيت إلى جنبه ، وحاولت ونحن نمشي أن أرى وجهه الشريف ،

فكنت أرفع رأسي وأحاول النظر اليه فلا أستطيع ، من هيته وشعاع وجهه ،  
وغاية ما استطعت أن أراه طرف لحيته الشريفة . ثم وصل الى أول كرمنا وصلى  
ركعتين وقال: هذا المكان لي ، فصليت معه ، وانتهى المنام .  
والى الآن ما عرفت معنى أن معسكره هناك ، قوله عن أول كرمنا أنه له ، وهو  
دواره ، أي دائرة صغيرة . ولا عرفت لماذا كان متوجهًا من ياطر باتجاه صور ،  
ولما معنى الأعداء الذين قصدتهم .  
لكنه منام يوجب التفاؤل ، ولعله بشارة للشيخ عبد المنعم ، ولـي .

○○

وقد سكن الشيخ علي الزين رحمه الله في القماطية وكان عالماً لسنوات طويلة ، و كنت  
أزوره فيها ، وهي قرية شيعية ومصيف ، مجاورة لعاليه قرب بيروت .  
وكان محيطها مسيحيون ودروز وسنيون ، وكان للشيخ علاقات حميمة معهم ،  
يشارك في مناسباتهم ، ويزورهم ويزورونه ، ويحبونه جميعاً ، لأدبه وحلوته  
حديثه . فلما تقدم به السن غلبه حب القرية فعاد إليها سنوات حتى توفي رحمه الله .  
وكانت المرحومة زوجته من مدرسة خاتون الورد ، في صفائها وحبها للناس .  
وبرز له ولدان: عبد الرحيم ، وكان موظفاً ، مثقفاً ، خطيباً ، حسن الحديث .  
والعلامة الشيخ عبد المنعم ، وهو عالم فاضل ، سكن في السنغال وهدى الله على  
يديه الجالية اللبنانية ، وألوفاً من أهل البلد ، وأسس مدارس ومؤسسات تربوية  
وثقافية نافعة ، وأخذ صفة إمام الطائفة الجعفرية في السنغال .

وقد دعاني الى زيارته فزرته وحضرت بعض المحاضرات ، وأخذني الى مدينة طوبوا مركز الشيخ عبد الأحد مبكي ، رئيس طائفة المریدية الصوفية ، فصلينا في مسجدها ذي المنارة الشاهقة بارتفاع ثلاثة وخمسين متراً .

ورأيت هناك أطفالاً ينشدون نشيداً ، فوقفت عندهم ، وطلبت من الشيخ أن يترجم لي النشيد ، فإذا هو في مدح فاطمة الزهراء عليها السلام .

قال لي الشيخ عبد المنعم: هل نزور الشيخ عبد الأحد مبكي؟ فقلت: لا بأس ، ثم قال: لزيارته مراسم ، وهي أن نجلس في غرفة ، وبعد فترة ينقلونا إلى غرفة ، حتى تتم سبع غرف ، ثم ندخل عليه ، فقد يكون نائماً على سريره ، وتكون زيارتنا بالشرف بالنظر إليه وكفى! ثم قال: وقد يكون حظ بعض الناس كبيراً، إذا أدار الشيخ وجهه نحوه ، وتفل عليه فهذه بركة كبرى !

قلت له: لا أريد زيارته ، وهذا النظام السباعي من موروثات الفاطميين الإسماعيلية ، لأن أئمتهم إلى إسماعيل سبعة ، وكان الحاكم أو الداعية يجلس دونه سبعة حجب هم الحجاب . وأنا لا أريد أن أنتظر ساعات حتى أخرق هذه الحجب وأصل إلى هذا الشيخ ، الذي قد يكون نائماً .. الخ.

وفي عودتنا إلى دكار قال لي: هل تزور الشيخ عبد العزيز سي ، شيخ الطريقة التيجانية ، وهم أكثرية أهل البلد ، وهو عالم متواضع ، فزرناه ولم يكن دونه حجب ، فنزل عن كرسيه وجلس معنا ، وكان خلوقاً متواضعاً .

قراء التعزية في قريتنا

يعرف الصوت الحسن في قريتنا من العتابا ، وهي نوع من الغناء الشعبي ، يعنيه الشبان في الحقول ، والمناسبات ، ويبدأ عادة بالتأوه بكلمة: أوف .

فإذا برب عرف بحسن صوته ، طلبوه منه أن يقرأ لهم قرآنًا أو تعزية أو يؤذن فيأخذ بتعلم ذلك . وفي قريتنا أشخاص عرفوا بحسن أصواتهم ، ومن أشهرهم الحاج حسين حسن كوراني ، وقد نبغ من أولاده ابنه أحمد ، لكنه لم يواصل القراءة ، وابنه حميد ومحمود ، وواصل محمود القراءة ، وال الحاج علي عبد الحسين سويدان ، ونبغ ابنه عبد الله ، وواصل القراءة .

ثم نشأت مجموعة من القراء ، منهم من بيت صالح من أقارب المؤذن الحاج أبي علي صالح ، ومن بيت أمين حسين كوراني وأخيه موسى ، وغيرهم . وموهبتهم بشكل عام جيدة ، لكنها تحتاج إلى صقل وإغناء ، وأصواتهم إلى تصنيع .

### هل أن القرية توجب ضيق الأفق

يقول بعضهم: صحيح أنا في القرية نلامس الطبيعة أكثر من المدينة ، وأن أهل القرية أكثر صفاءً وشفافية من أهل المدينة. لكن المشكلة أن القروي ضيق الأفق، محدود التفكير ، فكأن قريته عنده كل الدنيا ، وكأن طرفها آخر الدنيا ! وبتعبير آخر: أولاد القرى صغار الهمة، أصحاب أهداف صغيرة محدودة . لذلك لا يمكن أن نتوقع منهم إنجاز أعمال كبيرة ، لأن الأعمال الكبيرة تحتاج إلى أشخاص أولي هم عالية ، وآفاق واسعة . والجواب في النقاط التالية:

١. نعم هذه الحقيقة موجودة في القرويين لكنها ليست عامة . فإن من أهل القرى شخصيات كبيرة ، وقد نبغ منها قادة ، أسسوا دولاً ، وقادوا حركات اجتماعية واسعة ، ونبغ منها علماء أسسوا علوماً ، وابتكروا نظريات .

ولو استعرضنا مئة شخصية من الكبار في العالم مثلاً، لكان نصفهم من أهل القرى . وهذا كاف لرد وصف أبناء القرى عامة بضيق الأفق ودنو الهمة .

٢. توجد موانع ودوافع لضعف الهمة وعلو الهمة ، وبسببها يكون الإنسان كبيراً في أفقه أو صغيراً ، والعوامل النفسية منها أهم من العوامل المادية ، ف فهي المؤثر الأساسي ، كما قال الشاعر المرحوم السماوي للبلبل:

يَا بَلْبُلَ الْقَفْصِ الْمَطَّلِ	وَشَاعِرَ الرُّوْضِ الْأَغْنِ
مَا كَانَ ظَنِي أَنْ أَرَاكَ	مَغْرِدًا مَا كَانَ ظَنِي
يَا ابْنَ الْأَرَاكَةَ قَدْ قَتَلَتْ	مَسْرِتِي وَأَنْتَ حَزْنِي
تَشَدُّو وَأَنْتَ بِمَحْبِسِ	وَأَنَا أَنْوَحُ بِمَطْمَئْنِي
أَنْصَاغَرْتُ لِلسَّجْنِ نَفْسِكَ	فَهِيَ مِنْ طَرْبٍ تَغْنِي
وَتَعَاظَمْتُ نَفْسِي عَلَيَّ	فَخَلَّتْ هَذَا الْكَوْنُ سَجْنِي

٣. من العوامل التي تسبب أن يكون ابن القرية محدود الهدف صغير الهمة: جماعته ومنطقته وقوميته ، فعندما تكون جماعته مقهورة مستضعة ، ومنطقته أقلية صغيرة ، و المجالات المادية محدودة ، ويكون مجبراً أن يعمل ويكتد أكثر نهاره وجزءاً من ليله ، لتأمين لقمة عيشه وضرورات حياته ، فإن ظروفه المحيطة بهذه تكون مانعاً من علو همه وتوسيع هدفه . فالحالة السياسية لمن يتميي اليهم عامل مؤثر في علو همه ، فعندما تكون جماعته أو قوميته ييدهم الحكم ، ينشأ وهو

يشعر أن الدولة له وأنه ابنها ، وعندما يكون من أقلية مضطهدة ، ينشأ وهو يشعر أنه مستضعف وأن الحاكم غيره . وهذ يؤثر على نمط تعامله مع الأمور . وقد لاحظت في العراق أنه عندما تقوم الحكومة بعمل ضد مصلحة الناس يقول الشيعي بحسرة: هكذا ي عملون ! ويقول السنّي: لا نسمح لهم ، لاحق لهم من الذي أمر بذلك؟ ومعناه أن الشيعي غريب عن الحكم يتكلم بلغة الخاضع ، والسنّي صاحب الحكم فهو يتكلم بلغة المعرض الذي يقدر على التصحيح !

٤. الأصل في الإنسان الضعف ، والقوة استثناء ، والأكثرية الساحقة من الناس أصحاب أهداف ضيقة ، تدور حول ذاتهم ، وأذهانهم محدودة بها . والأشخاص الكبار الهمة الواسعة الأفق قلة في كل الشعوب .

فليس عجيباً أن يكون الإنسان محدود التفكير والمهدى ، بل العجيب أن يكون كبير الهمة عالي النفس ، يعيش قضية دينه ، أو قضية بلدـه أو قومـه ، أو جماعـته ! كما قال الإمام الصادق عـلـيـهـ الـسـلـيـلـةـ: ما عجبتـ لـمـنـ هـلـكـ كـيـفـ هـلـكـ ، بل عـجـبـتـ لـمـنـ نـجاـ كـيـفـ نـجاـ !

### الفصل الثالث:

## خواطر من دراستي في جبل عامل

### اختار لي والدي رحمه الله أن أكون طالب علم

اخذ والدي رحمه الله قراره لي بأن أكون طالب علم، بحكم تأثره بآية الله السيد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله، فقد كان يحبه ويعتقد به ، وكان السيد عالماً في قريتنا ياطر بضع سنين ، قبل ولادتي وقبل أن يسكن في صور. كان للمرحوم الوالد علاقة بعلماء المنطقة كالشيخ يوسف الفقيه رحمه الله ، من قرية حاريص القرية ، ولنا معهم رحم لأن جدة الشيخ يوسف من آل كوراني ، وكان الوالد يحتفي به إذا جاء إلى قريتنا ، ويزوره في حاريص وبيروت ، حيث كان رئيس محكمة التمييز الجعفريه .

وتواصلت العلاقة بعده بأولاده الشيخ علي الفقيه رحمه الله ، وكان عالم حاريص ، والشيخ محمد تقى الفقيه رحمه الله ، وكان في النجف الأشرف من التلاميذ البارزين للمرجع السيد الحكيم رحمه الله .

كما كان للوالد رحمه الله علاقة بالشيخ حسن شمس الدين رحمه الله عالم قرية حناویه القرية من صور ، والشيخ عبدالله السيتى رحمه الله صهر السيد شرف الدين ، وبالشيخ موسى السيتى رحمه الله ، وكان قاضياً شرعاً في بيروت ، وكلاهما من قرية كفر المجاورة لقريتنا .

ومع علاقة الوالد رحمه الله بمشايخ عديدين ، كان يفضل السيد شرف الدين رحمه الله ،

وإذا دخل فصل الصيف يذهب هو وعدد من وجهاء القرية لدعوة السيد للإصطياض في قريتنا ، ويبيهون له المكان ويخدمونه ، فكان السيد يقضي فصل الصيف في ياطر ، إلى أواخر عمره الشريف حَفَظَهُ اللَّهُ .

في صيف سنة ١٩٥٦ ، أخبرني الوالد بصيغة الإستشارة بأنه اختار لي أن أكون طالب علم ، وأنه يريد أن يسأل السيد حَفَظَهُ اللَّهُ عن رأيه في ذلك ؟ فأجبته بموافقي ورغبتي ، لأنني أحب الدين وأحب الوالد والسيد حَفَظَهُ اللَّهُ .

وعرفت الأسرة والأقارب بقرار الوالد حَفَظَهُ اللَّهُ ، فقبل بعضهم ، وسكت آخرون احتراماً له حَفَظَهُ اللَّهُ ، لكن امرأة من أقاربنا قالت لي: سمعت يا علي أن والدك يريد أن يعلمك شيئاً ، لا تقبل فإن الناس يقولون إنه يريد أن يعلمك شحاذًا ! أنت ناجح وتفهم ، وقد درست صفين في سنة ، نحن نريدك أن تكون أستاذ جامعة ! ولم أجدها بشئ ، لكن هزتني كلمة (شحاذ) ! وأخذت أسئلة هل أن عالم الدين يعيش فقيراً ؟ وحكيت لوالدي كلامها فقال: هؤلاء يابني لا يعرفون . الشيخ عالم دين وليس شحاذًا ، ولكي تكون مطمئنًا سأكتب لك نصف ملكيتي حتى لا يقول أحد مثل هذا الكلام !

ثم خفض صوته حَفَظَهُ اللَّهُ وقال بلهجة المؤمن الجازم: لقد رأيت في المنام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأعطاني غذاء وقال أطعمه لولدك علي ! فاطمأنيت ، ثقةً بصدق كلامه حَفَظَهُ اللَّهُ ، وليس اعتقاداً على ما كتبه لي من أراض ذات قيمة . ذهب بي إلى السيد حَفَظَهُ اللَّهُ وقال له: سيدنا ما رأيكم في أن أجعل علياً وأشار إلى ،

طالب علم؟ فقال السيد: نعم ، علي يناسب لذلك (بيطلع منو) ، لكن أين تجد له مدرساً ، فهو صغير على النجف! ولم يكن يومها في لبنان حوزة.

قال الوالد حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنْوَاحَهُ: أسعى في أن يدرسه أحد المشايخ بتوصيتكم .

قال السيد حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنْوَاحَهُ: لا بأس ، إذهب الى الشيخ الغلاني ، وقل له: أريد أن أدرس ولدي طالب علم ، فإن وافق فأسكنه في قريتهم .

وفي اليوم التالي أخذني الوالد الى بيت شيخ في قريتهم القرية من صور وعرض عليه الموضوع ، فطلب مهلة ليجيينا . وبعد أيام أخبرني الوالد أن ابن الشيخ اعتذر له بأن سن الشيخ وظروفه لا تسمح له بالتدريس المتظم.

فأخبر الوالد السيد حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنْوَاحَهُ ، فوجهه الى شيخ آخر ، وذهبنا الى قريته ، فقالوا ذهب الى الكرم ، فوجدناه حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنْوَاحَهُ جالساً تحت زيتونة ، فسلمنا عليه وأخبره الوالد ، فكلمني وأعجبه أنني نجحت في شهادة (السرّ تفيكا) الرسمية ، وكانت في وقتها رتبة ، مع أنها شهادة بإكمال الصف الخامس ابتدائي .

امتحنني الشيخ بالإملاء ، ثم بالإنشاء ، وأعطاني درجة نجاح ، وقال للوالد: يا أبا داود ، ابنك يفهم ويصلح أن يكون طالب علم ، لكنني لا أستطيع الإلتزام بتدرисه ، لأنني أتنقل الى بيروت وأماكن أخرى .

كان الصيف يومها في أواخره وكان السيد رحمه الله نزل الى صور ، فأخذني الوالد معه اليه وأخبره بجواب الشيخ ، فتأثر السيد لعدم قبول المشايخ أن يدرسوني ، وسائل والدي ماذا ستفعل ؟ فأجابه الوالد مازحاً: يا سيدنا أفكر إذا لم يدرسونه لي أن آخذه وأذهب الى النجف وأشتكي عليهم للمرجع !

فكر السيد رحمه الله قليلاً وكتب رسالة قصيرة الى أستاذنا آية الله الشيخ إبراهيم سليمان رحمه الله في قرية البياض، وقال لوالدي: إذهب اليه وأبلغه سلامي وأعطيه الرسالة . وكان في المجلس الشيخ إسماعيل البغدادي رحمه الله وكان صديقاً للوالد ، فذهب معنا الى البياض ، ودخلنا بيت الشيخ عصرأً فسلم له الرسالة وتكلم معه ، فقال أريد أن أستخير الله تعالى ، فتفضلو اغداً صباحاً ليكون فطوركم عندنا ، وأخبركم بنتيجة الإستخاراة .

وفي الصباح وجدنا الشيخ رحمه الله ينتظرنا على سفرة الفطور ، فسلمناه وجلسنا فقال للوالد: إن الإستخاراة جيدة ، لكن عندي شرط: أن تهئ له رفيقاً ليكون له مباحثاً ومذاكراً ، فهل تستطيع ؟

أجابه الوالد: يامولانا إبدأ بتدريسه ، وأعدك بأن أبحث له عن زميل حتى أجده إن شاء الله . فقبل الشيخ وشكراً الوالد ، واستأنفه ليرتبط لي مسكننا ولوازم ، وسألته عن الكتب التي يشتريها لي ، فكتبهما له: شرح قطر الندى لابن هشام ، وألفية ابن مالك شرح ابن الناظم ، وقال: إشتِر أيضاً شرح ابن عقيل ، والدر الشمين للسيد محسن الأمين .

رتب الوالد حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِيمَانُهُ وَجَاهَتِهِ مكان سكني في البياض، فقد كان له فيها صديق هو محمد الشيخ محمود سليمان حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِيمَانُهُ وَجَاهَتِهِ، فاختار لنا بيت الحاج حسين يوسف ليكون سكني عندهم ، لأن داره واسعة وفيها غرفة إضافية ، يمكن أن يعطونا إياها بأجرة أو مجاناً ، وذهبنا اليه فقبل حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِيمَانُهُ وَجَاهَتِهِ ورأينا الغرفة .

وذهبنا في ذلك اليوم الى صور وأخبرنا السيد حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِيمَانُهُ وَجَاهَتِهِ بموافقة الشيخ إبراهيم فُسرَّ بذلك ، وذهبنا الى السوق فاشترى الوالد لي ملابس وبعض الأواني والأثاث ، ولم نجد الكتب ، فذهبنا الى بيروت واشتريناها .

عدنا الى قرية البياض ورتينا أسبابنا ، وذهبنا الى الشيخ فأريناه الكتب فأقرها ، وقال لي: غداً نبدأ من هنا وأشار الى أول قطر الندى (الكلمة قول مفرد) ومن هنا ، وأشار الى أول كتاب الدر الثمين ، باب التقليد: يجب على مكلف أن يكون في عباداته ومعاملاته مقلداً أو مجتهداً أو محظطاً . والدر الثمين رسالة فقهية للسيد الأمين حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِيمَانُهُ وَجَاهَتِهِ بتعليقات السيد الحكيم حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِيمَانُهُ وَجَاهَتِهِ .

ودعني الوالد وأوصى بي أصحاب البيت ، وأوصاني ببعض الوصايا ، وعاد الى قريتنا ، التي تبعد عنا بضعة عشر كيلو متراً .

وما أوصاني به حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِيمَانُهُ وَجَاهَتِهِ أن أحترم أستاذي وأتأدب معه ، وأجلس بين يديه على ركبتي ، حتى إذا تعبت جلست متربعاً . وقال لي: إنتم الشيخ ولا تتضرر أن يأمرك أو يطلب منك ، فليس له أولاد فكن بمثابة ابنته .

وأوصاني أن أدبر أموري ببنيتي ولا ألقى بكلٍ على أحد ، وأن آخذ ما  
أحتاج إليه من دكان صديقه محمد الشيخ محمود ، وهو يحاسبه كل شهر .  
استقررتُ في جوي الجديد ، وكان عمري يومها نحو ثلاثة عشرة سنة ،  
ولم يخطر بيالي شيءٌ إسمه وحشة أو خوف من الغربة والوحدة ، والحمد لله !  
وكان والدي على ثقةٍ من عقلي وأني أتصف كالكتاب ، وكان أستادي  
وآخرون يقولون عني ذلك .

تجولت ذلك اليوم في قرية البياض الصغيرة ، فهي نحو خمسين بيتاً كلهم  
من آل سليمان ، وهي غرب قرية قانا وتبعد عنها أربعة كيلومترات ،  
وقربها قرية دير عامص شرقاً ، وتبعد عنها نحو ٢ كيلومتر .

قال السيد الأمين في أعيان الشيعة: ٥/٥١٠: «وآل سليمان بيت علم وصلاح  
في جبل عامل من زمن بعيد إلى اليوم ، وأحفادهم اليوم يسكنون قرية  
البياض في ساحل صور ، وكانوا قبل ذلك في مزرعة مشرف ، وعند them  
مكتبة يتوارثونها عن أجدادهم تحتوي على مجموعة نفيسة من المخطوطات  
وبعض المطبوعات النادرة ، وقد ذهبت إلى القرية المذكورة وبقيت فيها  
عند them أياماً ، وطالعت محتويات تلك المكتبة ونقلت منها في هذا الكتاب .

وجدهم الذي ينسبون إليه هو الشيخ سليمان بن محمد بن أحمد بن سليمان  
العاملي المزري ، الذي وجدنا بخطه مقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام فرغ منه

٢٥ صفر سنة ١٠٣٣ ، وعليه خاتمه بتاريخ ١٠٢٨ . ويحتمل أن تكون نسبتهم إلى الشيخ سليمان بن محمد العاملي الجباعي ، تلميذ الشهيد الثاني الذي كان حياً سنة ٩٥١ ، وأن يكون الشيخ سليمان المزري من أحفاده ، بل يحتمل أن يكونا شخصاً واحداً ، وأن يكون أصله من جبع ثم انتقل إلى المزرعة » .

وقد أعجبني أن البياض تقع على ربوة حولها كروم التين والعنب ، فقررت أن أستكشف بُرْييتها من جهاتها ، لأنني أحب صيد العصافير وقتل الحيات ، وكانت أمضيت أكثر الصيف في أودية ياطر في هذه الهواية .

عدت إلى غرفتي ظهراً ، وكانت أفكـر بجدية ومهابة بيوم غد وبداية دراستي ، وأفـكر في إسم كتاب قطر الندى وبـلـ الصدى لابن هشـام الأنصاري ، وكتاب الدر الشـمـين في أهم ما يـجـب معرفته على المسلمين ، للسيد محسن الأمـين . وتصفحـت الكـتابـين وقرأت المـقدـمة وأول الـدـرـسـ الأول ففهمـت منها شيئاً ، وكانت أتشـوق إلى شـرحـ أـسـتـاذـي وـتـفـسـيرـه .

حضرـتـ فيـ الموـعـدـ وأـخـذـتـ الـدـرـسـ الأولـ فيـ النـحـوـ ، وـفـيـ الـفـقـهـ ، وـارـتـحـتـ لأنـيـ فـهـمـتـ الـدـرـسـ ، وزـالـ تـخـوـيـ منـ صـعـوبـتـهـ .

وـعـلـمـنـيـ الأـسـتـاذـ أنـ أـكـتـبـ درـسـ النـحـوـ بـعـبـارـتـيـ ، حـسـبـ شـرـحـهـ وـلـيـسـ نـقـلاـ منـ الـكـتـابـ ، وـأـمـرـنـيـ أنـ آـتـيـ بالـدـفـتـرـ لـهـ فيـ الـغـدـ لـيـرـاهـ قـبـلـ الـدـرـسـ الثـانـيـ . وـأـمـرـنـيـ أنـ أـعـيـدـ قـرـاءـةـ درـسـ الـفـقـهـ مـرـاتـ حتـىـ أـفـهـمـهـ وـأـحـفـظـ مـطـلـبـهـ وـلـيـسـ

ألفاظه ، لأن فهم المطلب هو المهم ، وليس حفظ الألفاظ .

ذهبت الى غرفتي فكتبت درس النحو ، وقرأت درس الفقه مرة ، ورأيت الوقت مبكراً ، فخرجت ومعي كتاب القطر لأقرأ في البرية من جهة قانا وكان بعض الناس يعملون في كرومهم يجمعون التين في آخر موسمه ، فاخترت مكاناً لأجلس فيه كل يوم ، فأكتب درسي وأحفظ .

انتظمت دراستي لشهر حتى استطاع الوالد جَلَّ جَلَّ أن يقنع أحد الآباء في القرية بأن يرسل ابنه ليدرس معه ، وهو الشيخ نجيب سويدان جَلَّ جَلَّ . و كنت في أواخر كتاب القطر عندما التحق بي ، فأمرني أستاذي أن أشرح له كل يوم درساً مما فاته ، ففعلت .

كان برنامجنا: درسين قبل الظهر ، ثم نكتب درس النحو ، ثم نباحث في الدروس الماضية ، فيكون أحدنا يوماً أستاذًا يشرح ، ويُشكل عليه الآخر .

كانت عوامل تثبيت الدرس في ذهننا أربعة:

١ - تدريس الأستاذ . ٢ - ثم كتابة الدرس . ٣ - ثم التباحث فيه . ٤ - ثم أسئلة العلماء وأساتذة العربية ، الذين يزورون أستاذنا ، أو نلتقي بهم ، فيسألوننا عن إعراب جملة أو بيت شعر .

وكان هذا العامل الأخير يوازي الجميع ، لأنه يفتح للطالب فهم أنواع التراكيب العربية ، في ترتيب مفرداتها ، وحركات إعرابها ، وعود ضمائرها .

أما مباحثات الفقه وأسئلته ، فتقوي حفظ الطالب للأحكام والتعابير

الفقهية ، وتعلمها منطق الفقه الإسلامي ، وتدربه على سلبياته القانونية ،  
وما يكون منه معقولاً ، أو نادراً ، أو شاذًا .

أما اليوم فنرى بعض المدارس تقتصر على إعطاء الأستاذ الدرس ، ولا  
تلزم الطالب بكتابته ، ولا بالباحثة مع زملائه فيه ، ولا توجد في محيط  
الطلبة مجالس أسئلة ومذاكرة ، والتي هي دواوين العلم ومرابع تنميته !  
والأسوأ من ذلك أن بعض المدارس تقوم بتدريس تلخيص كتب المنهج  
الدراسي ، وغالباً ما يكون تلخيصاً سيئاً ، يعتمد على فهم الملاخص .  
وهذا معناه أن ذهن الطالب لا يعيش مع المعلومة إلا لاماً ، بينما يعيش  
معها في النظام الطبيعي أربعة أضعاف الزمن وأكثر .

وهذا سبب انخفاض المستوى العلمي في بعض المدارس !

#### نية الوالدين لطالب العلم

قد يكون طلب الإنسان للعلم بتوجيهه والده أو أسرته ، فيقنع وينوي ما  
نوه له ، كما حدث لي . أذكر أني بعد أن أكملت مرحلة من دراستي في  
جبل عامل أرسلني الوالد الله إلى النجف مع أقاربنا من آل الفقيه ، وعندما  
ودعني في بيروت خاطبني وأثر الدموع في عينيه: إذهب يابني وهبتك لله ،  
إذا وصلت إلى النجف فأمسك بضرير أمير المؤمنين الله وقل له: يا أمير  
المؤمنين ، إن والدي وهبني لكم ، فاقبلني ، واجعلني بحراك .

لذلك كتبت في السيارة بين الشام وبغداد ، أفكراً في معنى أنني موهوب لأهل البيت عليهم السلام . ولما وصلت إلى النجف نفذت ما قاله لي الوالد رحمه الله . وقد سمعت من أحد المراجع أن طلب العلم توفيق غير عادي ، يحتاج إلى نية عميقه من أحد والدي طالب العلم ، أو من أحد آجداده . وهذا لا يلغى تأثير نوایانا ، لكنه يفتح باب تأثيرها في أولادنا ، وتأثير نوایا آبائنا فينا ، وأننا نعيش في خيرهم ، وبركة نياتهم فينا ولنا .

#### كيف يفحص الطالب نيته؟

عندما يقرر الإنسان أن يكون طالب علم ، فهو أدرى بدوافعه لاتخاذ هذا القرار وسلوك هذا الطريق ، وهل أن نيته لله تعالى والنجاة في الآخرة ، أم بلوغ هدف في الدنيا ، أو أنها خليطٌ من الدوافع الدنيوية والأخروية . فينبغي له أن يصحح نيته من أول الطريق ، ثم يراجع دوافعه باستمرار لأن دوافع العمل تتغير ، فيصحح ما يطرأ عليها من خلل ، ليقى طلبه للعلم خالصاً لوجه الله تعالى ، في أول الطريق ، وكل مراحله . ويمكن له أن يفحص نيته بأن يفرض أن طلبه للعلم مثلاً سيوصله إلى مقام علمي ، وهدف دنيوي كالمكانة الإجتماعية والمعيشة المادية الحسنة ، لكن ليس له ثواب في الآخرة ! فهل سيواصله أم يتركه ؟ فإن رأى نفسه أنه ليس حاضراً للقيام بعمل ، وبذل جهد لانفع فيه

لآخرته ، فهذا عالمة أنه يقصد بعمله الآخرة .

وقد تناول الشهيد الثاني رحمه الله هذه المسألة من زاوية موقف الأستاذ من

طالب العلم الذي لم تصح نيته ، هل يدرسه أم لا؟

قال رحمه الله في كتابه الفريد في بابه: منية المرید / ١٨٣: «الخامس: أن لا يمتنع من

تعليم أحد لكونه غير صحيح النية ، فربما عسر- على كثير من المبتدئين

بالإشتغال تصحيح النية ، لضعف نفوسهم وانحطاطها عن إدراك السعادة

الآجلة ، وقلة أنسهم بموجبات تصحيحها ، فالإمتناع من تعليمهم يؤدي

إلى تفويت كثير من العلم ، مع أنه يرجى ببركة العلم تصحيحها إذا أنس

بالعلم . وقد قال بعضهم: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله . معناه

كانت عاقبته أن صار لله... لكن يجب على المعلم إذا شعر من المتعلم فساد

النية أن يستدرجه بالموعظة الحسنة ، وينبهه على خطر العلم الذي لا يراد به

الله ، ويتلن عليه من الأخبار الواردة في ذلك حالاً فحالاً ، حتى يقوده إلى

القصد الصحيح ، فإن لم ينجع ذلك ويس منه ، قيل يتركه حينئذ ويمنعه

من التعلم ، فإن العلم لا يزيد إلا شرًا ! وإلى ذلك أشار علي عليه السلام بقوله:

لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير ! وعن الصادق عليه السلام قال: قام عيسى بن

مريم عليه السلام خطيباً فيبني إسرائيل فقال: يا بني إسرائيل ، لا تحدثوا الجهال

بالحكمة فتظلمونها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلمونهم. ولقد أحسن القائل:

ومن منح الجهال على أصاعده ومن منع المستوجبين فقد ظلم  
وفضل آخرون فقالوا: إن كان فساد نيته من جهة الكبر والمراء ونحوهما فالأمر  
كذلك، وإن كان من جهة حب الرئاسة الدنيوية فينبغي مع اليأس من  
إصلاحه أن لا يمنعه، لعدم ثوران المفسدة وتعديها، وأنه لا يكاد يخلص  
من هذه الرذيلة أحد في البداية ، فإذا وصل إلى أصل العلم عرف أن العلم  
إنما يطلبه للسعادة الأبدية بالذات ، والرئاسة لازمة له ، فَصَدْ أَوْ لَمْ يَقْصُدْ».

#### علم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام الخاص

عقد الكليني رحمه الله في الكافي (٤١ / ١) باباً بعنوان: (باب بذل العلم) روى فيه  
روايات ، وفيها صحيح السند . كما أورد الشهيد الثاني رحمه الله في منية المرید / ١٨٤ ، ما  
يشعر بوجوب بذل العالم لطالبه ، قال:  
«السادس: بذل العلم عند وجود المستحق وعدم البخل به ، فإن الله سبحانه  
أخذ على العلماء من العهود والمواثيق ما أخذه على الأنبياء عليهم السلام ليبتئنوا للناس  
ولا يكتمونه . وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قرأت في كتاب علي عليه السلام: إن الله لم  
يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم ، حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم  
للهجهال ، لأن العلم كان قبل الجهل . وعن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية: «  
تصير خدك لِلنَّاسِ وَلَا تَمُشِّ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً ، قال: ليكن الناس عندك في العلم  
سواء . وعن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام: زكاة العلم أن تعلمه عباد الله » .  
والمعنى الأولي لذلك أن تدریس العلم وتعليمه واجب على العلماء والطلبة ،

وسيرة سلفنا الصالح في حوزاتنا العلمية أن لا يأخذ الأستاذ أجرة ، وقد بحث فقهاؤنا أخذ الأجرة على الواجبات والمستحبات .

لكننا غرضنا هنا أن نبحث كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَبُور الذي نص فيه على أنه لا يكاد يجد طالب العلم الذي يستحق أن يبذل له !

قال عَلَيْهِ الْكَبُور : «يا كميل العلم دين يدان به ، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته وجييل الأحداثة بعد وفاته . والعلم حاكمُ المال محكمٌ عليه .

يا كميل هلك خزان الأموال وهم أحيا ، والعلماء باقون ما بقي الدهر .  
أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة . ها ، إن هاهنا لعلماً جماً ، وأشار إلى صدره ، لو أصبت له حملة ! بل أصبت لقناً غير مأمون عليه ، مستعملاً آلة الدين للدنيا ، ومستظهرًا بنعم الله على عباده ، وبحججه على أوليائه . أو منقاداً لحملة الحق ، لا بصيرة له في أحناطه ، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة . ألا لا ذا ، ولا ذاك ! أو منهوماً باللذة ، سلس القياد للشهوة ، أو مغرماً بالجمع والإدخار ، ليسا من رعاة الدين في شيء ، أقرب شيء شبهاً بها الأنعام السائمة ! كذلك يموت العلم بموت حامليه !

اللهم بلي ، لاتخلوا الأرض من قائم الله بحججه ، إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته . وكم ذا ، وأين أولئك ؟ أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون قدرأ ، يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتى يودعوها نظارءهم ، ويزرعوها في قلوب أشياهم . هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ،

وبashروا روح اليقين ، واستلأنوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحوش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بال محل الأعلى . أولئك خلفاء الله في أرضه ، والدعاة إلى دينه . آه آه شوقاً إلى رؤيتهم ! إنصرف يا كميل إذا شئت ». (نبأ البلاغة: ٤/٣٦).

فالإمام عَلِيٌّ يتكلّم عن علم خاص لم يجد له أهلاً، وإنما فقد بذلك هو العلم أكثر من غيره، فهو يقول للMuslimين إن عدم بذلك هذا العلم الخاص ليس بخلافاً عليهم بل لأنّه لا يجوز بذلك إلا لأهله، وهم الأئمة من بعده عَلِيٌّ، وبعض الخاصة مثل ميشم التمار ، وحبيب وكميل ، كلّ بما يستطيع أن يتحمل ، ولو بذلك لعامة الناس لأساؤوا استعماله ، فهو من باب قوله تعالى: وَلَرَسُطَ اللَّهُ الرَّزْقُ لِمَنِ يَعِظُمُ فِي الْأَرْضِ وَلَكُمْ نُنْزَلُ بِمَا قَدَرْتُمْ إِنَّمَا يَنْهَا هُنَّ بِعِزَّهٖ خَبِيرُ بَصِيرٌ .

#### فوائد مجالس الأستاذ وأحاديثه وكلماته

كنا نقضي وقتاً كثيراً مع أستاذنا آية الله الشيخ إبراهيم سليمان عَلِيٌّ ، فقد كان يحبنا ، وكان بيته مفتوحاً للزائرين ، وقد استفدت كثيراً ، من أحاديثه وتعامله مع الناس ، ومن مجالس العلماء في بيته . فكانت الستان وكسراؤ التي أمضيتها عنده ، مرحلة تأسيسية في البناء الفكري والروحي ، وكانت دراستي متواصلة ، فلم نتعطل إلا أيام الجمعة ويوم عاشوراء ، وأوقاتاً قصيرة أذهب فيها إلى قريتنا ، كما كان أستاذنا عَلِيٌّ قليلاً السفر .

وقد درست في هذه المدة: شرح قطر الندى ، وألفية ابن مالك بشرح ابنه ، وقسمًا من مغني الليب لابن هشام، وحاشية ملا عبدالله اليزدي في المنطق، وهي تعلقة على كتاب تهذيب المنطق للتفتازاني ، وقسمًا من شرح الشمسية في المنطق لقطب الدين الرازي ، وهو من تلاميذ العلامة الحلي رحمه الله.

ومختصر في المعانى والبيان ، وقسمًا من المطول للتفتازاني ، والدر الثمين للسيد الأمين ، وقسمًا من شرائع الإسلام للمحقق الحلي ، وقسمًا من اللمعة الدمشقية وشرحها للشهيددين .

والأهم من إتقان هذه المواد ، الفوائد الكثيرة من الأستاذ رحمه الله في العقائد والفقه والتاريخ والسيرة والأدب ، والتعرف منه على العلماء الذين درس عندهم وزملهم وعاصرهم ، وكثير من قصصهم التربوية للطالب .

فعندما كان يوجهنا إلى الإهتمام بالباحثة ، كان ينقل قصص المباحثة ، وينتقد الطالب الذي يكابر ويجادل ولا يعترف بخطئه عندما يتبين له وجه الحق ، ويمدح الشيخ يوسف الفقيه رحمه الله ويقول: ما رأيت مثله! فقد كان في عمر والدنا ، لكن عندما نناقشه في مسألة ويتبين له خطأه ، يتغير فجأة من مدافع متشدد إلى شاكر مؤيد فيقول: أحسنت أحسنت ، انتبهت إلى وجه الحق في المسألة ، جراك الله خيراً .

وكان أستاذنا رحمه الله يهتم بالقصص المؤثرة المفسرة للآيات والأحاديث الشريفة . وقد حفظت منه الكثير ، جزاه الله خيرًا ، قدس نفسه الزكية .



### أكملت قطر الندى فأخذني الوالد الى السيد عليه السلام

جاء الوالد عليه السلام الى البياض ليزور أستاذى الشيخ عليه السلام ويتقدمني، فأخبرته أنى أكملت القطر وبذلت بدراسة الألفية، ففرح بذلك وأخذنى معه الى صور لزيارة السيد شرف الدين عليه السلام و كانه كان أخبره أنى في اواخر القطر.

فلما دخلت وسلمت أجابنى السيد عليه السلام باستبشر: وعليكم السلام، أهلاً وسهلاً،  
إعراب: أهلاً وسهلاً. فقبلت يده وجلست وأجبته: مفعولين لفعلين مخذولين  
وتقديرهما: قدمت أهلاً ومشيت سهلاً. فقال: أحسنت ، أحسنت ، الديك  
الفصيح من البيضة يصيح . إعرابها ، إعرابها ! فقلت له: الديك مبتدأ ، فقال:  
أين خبره؟ قلت: جملة يصيح . فاستبشر وقال: أحسنت أحسنت ، بأبي أنت  
وأمي ، الآن أسألك شعراً: يقول سيد جليل عن ثار جده الحسين عليه السلام:  
، أسلمُ قوماً عندهم تُرقي      لا سلمتني يدُ الأيام إن سلموا  
فأخذت أعرابه فكنت أصيّب وأخطئ ، فإن أصبت شجعني وفداً ، وإن  
أخطأت صحيحة لي كأني لم أخطئ ! ثم قال لي: إذهب الى الداخل وقل للحاجة  
تعطيك سبحة وتربة للوالد ، وسبحة وتربة لك ، فذهبت ووجدت امرأة كبيرة  
السن ، فأعطتني ما أمر به السيد عليه السلام ، وأعطاني هو كتاب: الى المجمع العلمي  
العربي بدمشق ، وهو رد على رئيس المجمع محمد كرد علي ، ينقض فيه تجنياته  
على الشيعة .

وقد فكرت كيف أمرني السيد ﷺ أن أذهب إلى داخل بيته ، وأنا مميز وعمري أكثر من ثلاثة عشرة سنة؟ وقدرتُ فيما بعد أنه ﷺ لا يرى التمييز وحده موجباً لحرمة النظر ، فإن لم يكن المميز من أهل النظر بريئة فلا يحرم .

#### العلاقة بين طلبة الحوزة وطلبة الكليات الأدبية

يشعر طلاب الفروع الأدبية في الجامعات بنوع من الزماله مع طلبة الحوزة ، لأنهم مثلهم يدرسون قواعد اللغة وأدبياتها . وهم يحترموننا لأننا نتعقب في اللغة أكثر منهم ، وندرس أهم مراجع النحو ، وننبعق في الدراسة أكثر من طلبة الجامعات ، ونتباحث في المسائل التحويية في مجالسنا أكثر منهم .

وكان بعض الناس يعرفون هذه الزماله ، ويحبون أن يروا المناقشات أو المبارزة بين طلبة الحوزة وأساتذة اللغة العربية في المدارس .

كنت يوماً في صور أنتظر السيارة إلى قانا ، وكان وقت انتهاء الدوام ظهراً وخروج الأساتذة من الثانويات ، فتقديم إلى أحدهم وكان يعرف أنني طالب علم فقال: أيها الشيخ الصغير كيف تعرب:

ذراني والفلاء بلا دليلٍ  
ووجهي والهجير بلا شامٍ

فأجبته ، وسألني آخر فأجبته ، فاجتمع عدة منهم يسألوني ويعجبون من معرفتي بال نحو على صغر سني ! وكان قربنا بائع فلافل ضخم الجثة يلقب (شحشو) فقال: ليس هذا من الإنصاف ، تسألون أنتم الشيخ الصغير ، يجب أن يسألكم هو ! قال أحدهم فليسأل ، فسألتهم عن إعراب قوله:

صالحاً صالحًا وإن جا بجرم سالكُ سالكاً سبيل الرشاد

فلم يعرفوه ، لأن نطق التنوين والنون واحد ، وحقه أن يكتب: صالحن . سال  
كن ومعناه صالح صالحًا ، ويَا سالمْ كن سالكًا .

فرح باع الفلالل ورفعني بيديه قائلاً: ديكي الشیخ الصغیر، هیا إسألوه  
وليسألكم ، والجائزة علىَ ! فكأن المسألة عند صاحبنا مباراة ديکة !

واستكملنا الأسئلة وودعني الأساتذة باحترام ، وأراد صاحبنا الطيب باع  
الفاللل أن يعطيوني جائزة ، فاللالل ، فشكرته وانصرفت .

وكنت كلما ذهبت الى صور ورأني ، يتراك عمله في دكانه ويأتيني مرحبًا ،  
ويطلب مني أن أقف عنده حتى يأتيأساتذة اللغة العربية ، فلا أقبل ، فيلتفت  
يميناً وشملاً ، لعله يرى أحداً منهم فيدعوه الى مباراتي !

○ ○

### استكشفت أودية البياض وربواتها

كنت وزميلي الشیخ نجیب جھلہ مختلفین في السلیقة ، فأنا أحب الحركة في بُریة  
البياض للصيد أو التزه والإستطلاع ، وهو لا يحبها .  
وكان يخاف من الحیات والكلاب والظُّلمة ، وكانت لا تخاف منها ، بل أطارد  
الحیة حتى لو كانت كبيرة حتى أقتلها أو تهرب .

أما الكلب فقد سمعت يوماً أنه يطارد الإنسان الذي يهرب منه ، ويخاف من  
الإنسان الذي يهاجمه ، فيهرب منه ، فقلت لأجرب أن أهاجمه ، فجربت فهرب

مني ، فصرت أهاجمه وأمسك بذيله وأدور به بسرعة عدة دورات ، ثم أتركه  
دفعه واحدة ، فيهرب خائفاً وهو يعوي !

كان زميلي يطمئن إذا خرج معه إلى البرية ، حتى لو رأينا حية أو هاجمنا كلب !  
لكنه لا يحب الخروج إلا إذا كنا مجموعة وذهبنا لنجلس في مكان قريب ومعنا  
سماور الشاي . ولم يكن لي رفيق في القرية غيره، فصرت أذهب إلى البرية وحدي !  
كنت في الصيف والربيع أذهب بعد إكمال دروسني ، ومعي بندقية لصيد  
العصافير ، فاستكشفت أراضي البياض من جهاتها الأربع ، وحفظت أكثر  
أوديتها من جهة قانا ، فقد كانت عامرة بالكروم (البساتين) والعصافير .  
وكان استكشاف أودية البياض سهلاً علىّ ، لأنني تعودت على جبال ياطر  
وأوديتها وهي أضعافها في العمق والوعورة ، وأشجار الغابات .

فقررتنا تعتبر من الجبل وترتفع عن سطح البحر نحو ٨٠٠ مترًا ، بينما تعتبر  
البياض من الساحل ، ولا ترتفع عن سطح البحر نصف ذلك .  
كما تتميز قريتنا بأن مساحة غاباتها والأودية التابعة لها أكثر من غيرها من قرى  
جبل عامل ، فهي تمتد جنوبًا إلى حدود فلسطين ، ومن الجنوب الغربي إلى  
ساحل صور . وأوديتها عميقه ، وأقربها إلى القرية وادي الدُّب ، ثم وادي  
النُّطَارَة ، وأطوالها وادي العيون الغنية بالمياه ، وتستمر حتى تصل إلى ساحل  
البحر بين الناقورة وصور . وأكثر أوديتها غابات خضراء .

أما البياض ففيها واد واحد عميق من جهتها الجنوبيّة الشرقيّة ، هو وادي عاشر ، وبقية أوديتها عاديّة ، وجباها أقرب إلى الربوات .

وفي الربع اكتشفت مكاناً صالحًا للسكن قرب قرية البياض ، كرماً في زاويته من جهة الطريق غرفة ، تحيّم على سطحها شجرة لوز وارفة .

حاولت أن أقنع زميلاً بالسكن هناك ، وقلت له: نسكن في الشتاء في الغرفة ، ونصنع في الصيف خيمة على سطحها. فقال إني أخاف في الليل ، فقلت له نَمْ أنت في الغرفة وأنا على سطحها ، وطمأنته بأنّ عندي كلب حراسة ، هو كلب ماشية محمد الشيخ محمود ، فلم يقبل .

وقصة هذا الكلب أنه كان أبيض ضخماً مميزاً ، فكنت أطعنه باستمرار ، وربما أخذت له بعض زوائد اللحم من القصاب الوحيد في القرية ، وهو صاحب دكان البلدة ، وصاحب قطيع الماعز ، ومالك الكلب .

كان محمد محمود رحمه الله شخصية مميزة في هدوئه وأخلاقه ومحبته ، وكان أهل القرية يتحدثون عن قصص قوته البدنية ، وكان يعرف أن كلبه اتخذني صديقاً ، ويتعجب من سرعة مجئه إلَيَّ إذا سمع صوتي ، ولو من بعيد !

قررت أن أسكن وحدي ، واستجزرت أصحاب الْكِرْم فأجازوا ، وكان أهل القرية يحبونني ويتقدون بي ، فنقلت أسبابي ، وعلّمت الكلب أن ينام عند الغرفة فكان إذا رجع مع القطيع عند الغروب يأتي لأعشيه وينام ، فإذا سمعتُ

أجراس فحول القطيع بعد شروق الشمس، قدمتُ اليه الطعام ، وأشارت اليه  
بأن يذهب الى قطيعه ، فيذهب ويعود مساء !

كان أستاذنا جعفر يعرف مجريات حياتنا، ولا يعرض على سكني في طرف البلدة  
ولا على ذهابي الى البرية أياماً في الأسبوع ، بل يدي إعجابه وثقته بي ، ويمدح  
شجاعتي، ويشجع زميلي أن يكون مثلـي ، وكان مطمئناً الى أنـي أعطي الأولوية  
لدرسي ، ولا أغيب عندما يحب الحضور في بيته .

٥٥

#### التطبيق الطفولي للفقه الذي نتعلمـه

تعلمت أحـكام الوضوء ، وـكـنت أـلاحظـ الـخـلـلـ فـيـ وـضـوـءـ الـبعـضـ فـأـتعـجـبـ  
لـكـنـ لـأـجـرـؤـ عـلـىـ تـنبـيـهـهـ إـلـىـ ذـلـكـ ، لـأـنـيـ سـمـعـتـ مـنـ أـسـتـاذـيـ قـصـةـ الـحـسـنـ  
وـالـحـسـينـ عليـهـ الـحـلـمـ كـيـفـ عـلـمـ شـخـصـاـ الـوضـوءـ بـأـنـ طـلـبـاـ مـنـهـ أـنـ يـكـونـ حـكـمـاـ بـيـنـهـمـ أـيـهـاـ  
وـضـوـءـهـ أـصـحـ ؟ـ فـلـمـ تـوـضـأـ أـمـامـهـ اـنـتـبـهـ إـلـىـ قـصـدـهـمـ وـقـالـ:ـ جـعـلـتـ فـدـاكـمـ  
وـضـوـءـكـمـ صـحـيـحـ وـوـضـوـئـيـ فـيـ خـلـلـ ، وـقـدـ أـرـدـتـمـ أـنـ تـنبـهـانـيـ فـشـكـرـاـ.

لـكـنـ غـلـبـنـيـ الـفـضـولـ يـوـمـ رـجـعـتـ مـنـ الـبـرـيةـ وـمـرـرـتـ عـلـىـ مـقـبـرـةـ الـقـرـيـةـ ،  
فـوـجـدـتـ شـيـخـاـ فـيـ نـحـوـ السـبـعينـ يـجـلـسـ عـلـىـ بـابـ خـيـمةـ عـلـىـ قـبـرـ ، وـكـانـ اـبـنـهـ  
داـخـلـ الـخـيـمةـ يـقـرـأـ الـقـرـآنـ.ـ كـانـاـ مـنـ قـرـيـةـ عـيـشـيـثـ مـسـتـأـجـرـيـنـ لـقـرـاءـةـ الـقـرـآنـ عـلـىـ  
رـوـحـ الـمـيـتـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ مـتـواـصـلـةـ ، فـهـمـاـ يـتـنـاـوـبـاـنـ الـقـرـاءـةـ لـيـلـاـ وـنـهـارـاـ ، يـسـتـرـيـجـ  
أـحـدـهـمـ وـيـقـرـأـ الـآـخـرـ ، فـجـلـسـتـ إـلـىـ الشـيـخـ وـكـانـ يـأـنـسـ بـيـ وـيـقـولـ لـيـ سـمـعـنـيـ مـاـذاـ  
تـعـلـمـتـ مـنـ الشـيـخـ ، فـرـأـيـتـ أـنـ شـوـارـبـهـ طـوـيـلـةـ كـلـحـيـتـهـ فـقـلـتـ لـهـ:ـ سـمـعـتـ مـنـ

الشيخ أن النبي ﷺ قال: حُفِّوا الشوارب واعفوا اللحى ، وأراك أطلت شواربك ! قال: نعم الحق معك يا علي . فقلت له: إذا أردت قصر-تها لك ، فعندى مقص صغير . قال: نعم ، قصر-هما بارك الله فيك .  
 فأخذت المقص وقصصت شواربها حتى جعلتها جماء ، فرأه أحد هم بعد ذلك وقد تغير منظره ، فسألته: لماذا فعلت بنفسك هكذا؟ فقال: هذا الشيخ الصغير علي ،قرأ على الحديث وقص شواربها !  
 وأخبر الشخص أستاذنا ، ولما دخلت عليه قال: تعال ياشيخ علي خبرنا كيف قصصت شوارب الشيخ فلان ! فحكيت له ، فضحك وأعجبه فعلي !

○○

### دجاجة الشريفة حالة أهل البياض

كانت هذه السيدة جارتنا ، وهي في الثمانينات من عمرها ، قصيرة القامة عابدة ، وكانت محترماً على أكثر أهل القرية ، لأنهم كانوا عقدوا زواجهما وهي طفلة على جدهم الأكبر ، فهم ينادونها حالي الشريفة !  
 وكانت محتاطة في طهارة مأكلها ومشربها ، فهي تحضر طعامها بيدها، وإذا أصر عليها أحد بضيافة أو هدية تأكل من طعامهم ، ثم تظهر فمها .  
 كان عندها دجاجات تُهدي من بيضها ، وتخزن بيضها بسهم حتى بعد أن سكتت بعيداً عنها ، وفي صباح أحد أيام الشتاء كنت آتياً من سكني خارج القرية إلى بيت أستادي ، فوجدت الشريفة في الطريق مشدوهةً ، ولما رأته صاحت: ياشيخ علي أنظر ! أخذها أخذها ، ها ، ذاك هو ، نزل من هنا !

ونظرت فرأيت الشعلب يحمل دجاجة ويركض منحدراً باتجاه مرج الصفراء في وادي عاشر ، فركضت خلفه وضربت عليه أحجاراً فسبقني وغاب بين الصخور ، فصحت بكلب حرastiي مراراً وإذا به جاء فأشرت له باتجاه الشعلب وركضت فركض معى ، وكأنه شم رائحته أو رأه فسبقني وتوغل بين الصخور الكبيرة ، وبعد دقائق عاد وفي فمه الدجاجة مجروحة في جناحيها فأخذتها منه ، وصعدت بها إلى الشريقة ، ففرحت !

قال لي أحدهم لقد رأيت الكلب في الجهة الثانية من وادي عاشر ، منقضياً من ذلك الجبل كالسهم ، فتعجبت حتى عرفت أنك ناديته فجاءك !

#### دير عامص وال حاج سعيد الأغا

كنت معانياً بمعرفة الناس والقرى ، وقد استفدت كثيراً من فترة العصر- في بيت أستاذنا رحمه الله ، وكان يجلس ويعمل في تأليف ، ويستقبل زائريه الذين يأتون من القرية وخارجها للأنس وشرب الشاي ، أو لمعرفة مسألة شرعية أو لطلب المساعدة في حل مشكلة . كما كنت أذهب مع أستاذي إلى بعض هذه القرى ، في مناسباتهم . وأقرب القرى إلى البياض دير عامص وتكاد تتصل بها ، وأصلها عاموس ، وهو من أنبياء التوراة وفيها سفر عاموس .

كما أن عاموص قرية قرب بيت لحم (معجم البلدان: ٤/٧٢) وأسماء قرى جبل عامل من أصل سرياني ، أو عبراني ، أو عربي ، أو روماني . والبياض والبياضة إسم عربي للأرض التي يغلب عليها البياض .

كان كثيرون من أهل دير عامص يزورون الشيخ رحمه الله ويرونني عنده ، أدرس أو أقدم لهم الشاي ، أو أستمع إلى أحاديثهم . وبذلك تعرفت على عدد منهم . ومنهم المرحوم السيد حسين بزون ، وهو من وجهاء قريته ، وأصل هذه العائلة من العراق ، وهم سادة معروفون .

ومنهم الحاج أحمد البنا ، وهو معمار: كان يذهب في شبابه إلى فلسطين ويعمل في البناء هناك ، وله قصة سمعتها من أستاذيه ، ثم سأله عنها .

ومنهم أولاد الحاج خليل دبوق ، وهم أخوال زميلي الشيخ نجيب رحمه الله .

وكنت أذهب إلى دير عامص ، إما وحدي أتصيد في جوارها حتى أصل إلى كتف وادي عشور العميق الوعرة ، وأحياناً أذهب مع أستاذنا في مناسبة دينية أو مع زميلي الشيخ نجيب إلى بيت خاله .

ومن طرائف أهل هذه القرية أن أحدthem قال لأستاذنا: يا مولانا ماذا أعمل !

أنا دائمًا أغضب وأسبُّ زوجتي ، وهذا حرام لكنني لم أستطع تركه !

فقال له الشيخ رحمه الله: أنا أعلمك طريقة: إذا غضبت فاصرخ عليها على عادتك ، لكن بدل أن تقول (الله يلعن أباك) قل (الله يرحم أباك) ! وقل لها ما تريد واصرخ عليها كما تشاء ، لكن غَيْرُ اللَّعْنَةِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ ، وما شابه !

وبعد مدة عاد الرجل وسلم على الشيخ وهو يتسم ، وقال: الله يرحم والديك يا شيخنا ، ضَبَطْتَ المسألة ، أي نجحت .

وذكر أن زوجته أخذت تضحك من صراخه بالترحم والدعاء لها ولأبيها وأمها !

ومن طرائفهم المرحوم الحاج سعيد الآغا ، وكان مشهوراً في المنطقة بأنه يمسك  
الضبع ويركبها ، وبأنه يستطيع أن ينام وهو يمشي !

وذات يوم أخذني أستاذي معه ليزور الحاج سعيد الآغا ، وقد عرضه الضبع في  
رجله ، فوجدناه في فراشه وكان ضخماً في البدن أحش الصوت ، يحق للضبع أن  
يختلف منه ! فحدثنا كيف أمسك الضبع وكيف عرضه ، قال:

أصطاد الضبع بأن أختبئ في الغابة وأبكي كالطفل ف يأتي الضبع ، لأنه يأتي على  
صوت الطفل ! وأكون حضرت له فخاً بحبل ، وبيدي عصا غليظة ، والمهم أن  
أمسك بأذنيه حتى أسيطر عليه بسهولة ، ثم أربط فمه بالحبل وآتي به إلى القرية ،  
وقد أركب عليه فيكاد يحملني إن كان كبيراً ، أو أمشي وأنا راكب عليه إن كان  
صغيراً ! وأبقىه عندي حتى آخذه إلى سوق يوم السبت في جويا فأبيعه !

وهذا الضبع جئت به وربطته هنا في محوطة الماشية ، وفي اليوم الثاني جاؤوا  
يصيرون بأن الضبع أفلت من رباطه ، فصعدت إلى حائط الصيرة (المحوطة)  
وأنزلت السُّلْمَ من داخلها وأخذت بيدي عصا معول ، وما أن نزلت إلى أسفل  
السلم حتى هاجبني الملعون ، فضررته بالعصا على رأسه فأمسكتها بأسنانه وتلها  
من يدي حتى كسرها ، وعضني في أصابع رجلي ، فناولوني عصا ثانية فضررتها  
وسسيطرت عليه ، وربطته ربطة محكماً !

سأله الشيخ: كيف صار جرحك الآن ، وماذا عملت له ؟ فأخرج قدمه  
الضخمة فإذا فيها آثار عضة الضبع في أصول أصابعها ، قال: أنا داويتها ولا

أحتاج الى طبيب ، قلت لهم أعطوني زيت زيتون مغلياً ، فصببته على عضة  
الضبع وربطت قدمي ، تألمت في وقتها كثيراً ، ثم أخذت أحسن !  
وذات يوم زرت بيت الحاج سعيد رحمه الله ، وكان ابنه أبو عباس يحب الأدب ويقرأ  
لي ما أعجبه من الشعر ، وكانت والدته حسنة الأخلاق تحفي بي إذا زرتهما ،  
وتطلب أن أبقى إلى وقت الغداء أو العشاء ، فلا أقبل .

سألت الحاج سعيد: سمعت من الشيخ يا حاج أنك تمشي وأنت نائم؟ فقال:  
نعم ، أنا نام حتى لو كنت ماشياً في وادي عاشر! وهي واد عميقه وطريقها  
صعب! فسألته: وإذا وصلت إلى مفرق ، فهل تعرف الطريق وأنت نائم؟ قال:  
إذا وصلت إلى مفرق أستيقظ ، فأحدد مسيري ثم أنا نام !

وبعد سنوات حاولت أن أقلده وأنا أسير في طريق كربلاء ، فلم أنجح !  
كنا نمشي من النجف إلى زيارة الحسين عليه السلام بجانب الشارع فحكى قصة  
الحاج سعيد الآغا لزميلي السيد علاء الدين الحكيم والسيد مرتضى- الحكيم  
رحمهما الله ، وقلت لهم أنا نام في أي وقت ، وأريد أن أجرب اليوم النوم ماشياً ،  
فراقباني حتى لا أميل إلى الشارع ، فتدھسني سيارة !

وآخر ما أذكره قبل أن نام أن رجلاً ي كانت تتحرّك هبوطاً وصعوداً! ونممت  
حتى أيقظني زميلاً وقال: أيقظناك لأننا خفنا أن تميل إلى الشارع ، فقد حفَّت  
سرعتك ولم تمش في خط مستقيم، بل كنت تميل يميناً أو شماليّاً!

ومن طرائف أهل دير عامص: أن رجلاً منهم زار الشيخ رحمه الله وكان أخبرنا عنه أنه يأكل الربا ، و كنت سمعت من الشيخ أنك لو أخذت تراباً من تحت قدمي آكل الربا ووضعته على بيت النمل يهرب النمل !  
وكان في حديقة الشيخ الصغيرة بيت نمل عجزنا عن معالجته بالأدوية وبالنفط فقررت أن آخذ له تراباً من تحت قدم ذلك الرجل !  
فوضعت له كرسياً على التراب وحفظت مكان قدميه ، ولما ذهب أخذت من موضعهما تراباً ، فسألني الشيخ: ماذا تريده؟ قلت له: أريد أن أضعه على بيت النمل، فتبسم ، ووضعته عليه ! وفي اليوم التالي لم نجد أثراً للنمل ! فقد غادر ، وكأنه اشمأز من رائحة آكل الربا !

#### دير انطمار وال الحاج عبد الله حجيج

ومن طرائف قرية دير انطمار، أن الحاج محمود حجيج رحمه الله كان عنده كتاب فيه طريقة حساب العمر، وكان يخبر الشخص متى يموت ويصدق قوله! وقد حدثنا أستاذنا رحمه الله أن الحاج خليل دبوق جد زميلي الشيخ نجيب في دير عامص ، كان صديق الحاج محمود المذكور ، و ذات يوم ركب الحاج محمود فرسه صباحاً وكان في قريته دير انطمار ، فسألته زوجته إلى أين؟ فقال: إلى تشيع الحاج خليل دبوق في دير عامص ، فسألوه هل مات؟ قال:اليوم يموت! وكان الوقت صباحاً والمسافة بين قريته ودير عامص ساعات وكان الحاج خليل في ذلك

الصباح صاحياً سالماً ، فصل الظهر وسجد ، فتوفي وهو ساجد حَمْلَة ! ووصل  
ال الحاج محمود بعيد وفاته فشارك في تشييعه !

وكان أستاذنا يعتقد بصحة حساباته ، وقد توفي حَمْلَة وورث كتابه إلى ولده  
ال الحاج عبد الله ! وقد كتب أستاذنا في كتاب ترجمة حياته / ٧٨ ، عن الحاج عبد الله  
قال: « وقد ورث هذا العلم عن والده كما روى لي بنفسه . وقد أخبر عن وفاة  
كثيرين وعن آجالهم ، وصدقت نبوءته ».

ثم ذكر أستاذنا عدداً من نبوءاته التي صدقـت ، وقال: « وفي إحدى الزيارات  
طلبت إليه أن يخبرني عن عمري ، فإن كان أجيـلي قريباً فلا تخبرني وإن كان بعيداً  
فأعلمـني به ، فنظر إلى نظرـة فـاحصة ثم سـألـني عن برجـي ، ثم سـألـني عن إسـمـي  
الوالـدة ، وبعد إجراء حـسابـاته قال: عمرـك مـثـلـ عمرـي طـويـلـ ، لكنـ أمـامـكـ  
قطـوـعاً إذا بلـغـ عمرـكـ سـبـعـةـ وـخـمـسـيـنـ عـامـاًـ ، فإنـ سـلـمـتـ منهـ تـعـشـ هـذـاـ العـمـرـ !  
(حياة الشيخ إبراهيم سليمان بقلمه / ٧٨ ، دار الأضواء ١٤٢٧).

وسمعت من أستاذـي حَمْلَة قصة مشـابـهةـ عنـ شـيخـ منـ قـرـيـةـ عـيـثـيـثـ نـسـيـتـ إـسـمـهـ ،  
قالـ إنهـ كانـ مـدـعـواًـ لـعـقـدـ قـرـانـ فـيـ قـرـيـةـ وـادـيـ جـيلـوـ ، وـكـانـ مـنـ عـادـتـهـ أـنـ يـصـلـوـاـ  
الـظـهـرـ ثـمـ يـذـهـبـوـاـ إـلـىـ بـيـتـ وـالـدـ عـرـيـسـ ، فـيـتـغـدـوـاـ ثـمـ يـجـرـوـاـ مـرـاسـمـ الـعـقـدـ ، وـيـزـفـوـاـ  
الـعـرـوـسـيـنـ . فـكـانـ ذـلـكـ الشـيـخـ يـتـغـدـىـ ، فـعـطـسـ أـحـدـهـ عـطـسـةـ مـنـ نـوـعـ ماـ ،  
فـوـجـلـ الشـيـخـ ، وـقـالـ لـرـافـقـهـ: إـنـهـ طـعـامـكـ وـقـمـ بـنـذـهـبـ ، هـذـاـ عـرـسـ يـتـحـولـ إـلـىـ  
عـزـاءـ ، وـنـهـضـ ! فـتـعـجـبـ النـاسـ وـحـاـلـوـاـ إـبـقاءـهـ فـقـالـ لـهـمـ: لـيـعـقدـ الـعـقـدـ غـيرـيـ لـاـ

بد أن أذهب ! وركب حماره وذهب ، فما لبث العريس أن مات بالسكتة بعد نحو  
ساعة ، فجعلوا عرسه مأتمه !

### مزرعة مشرف والشيخ حسين سليمان

تعرفت على قرية مزرعة مشرف ، التي تقع مقابل البياض ، ويفصل بينهما  
وادي عاشر ، وهي واد عميقه حادة ، لا يمكن النزول اليها مباشرة من جهة  
البياض ، ولا الصعود منها مباشرة الى مزرعة مشرف ، بل لابد من الدوران من  
جهة مرج الصفراء ، الذي يقال إنه باسم الصفراء زوجة موسى عليهما السلام ، وإن  
الحرب بينها وبين وصيه يوشع بن نون عليهما السلام كانت فيه ، وقد وردت الرواية في  
حربها ، لكن لا دليل على أنها في مرج الصفراء هذا.

قال في أعيان الشيعة: ١٢٥/١٠، عن مزرعة مشرف: «الشيخ مشرف الوائي  
العاملي من آل علي الصغير ، توفي في صيدا سنة ١١١٢ في صفر ، واليه تنسب  
مزرعة مشرف التي فوق وادي عاشر بساحل صور ، وداره فيها باقية للاآن ،  
وبنى فيها مسجداً كبيراً إلى جهة الغرب هو الآن خراب . حدثني بعض آل  
سليمان وهم بيت علم قديم ، أن أحد أجداده من العلماء الصلحاء كان في  
المزرعة أيام الشيخ مشرف ، فلما بني المسجد المذكور لم يصلّ فيه ذلك العالم لأن  
بانيه ظالم ! وبنى مسجداً بيده يساعد بعض فقراء القرية ، وهو المسجد المشرف  
على وادي عاشر ويرى من الوادي ».

أقول: تعرّض جد آل سليمان عليه السلام إلى مضائقات الزعيم مشرف ، فهاجر مغاضباً إلى البياض ، وأسس هذه القرية .

ومن طرائف مزرعة مشرف ما سمعته من أستاذي ، أن وجيها والد الحاج عقيل ونبي ، أرسل إلى الشيخ حسين سليمان عليه السلام وهو عم أستاذنا ، يطلب منه الحضور لأنه مريض مرض الموت ويريد أن يوصي ، فزاره الشيخ حسين عليه السلام فقال له: أدع الله لي أن يمد في عمري حتى يرجع ابني من أمريكا وأراه قبل موتي . وكان الشيخ يصلّي في الليل ، فرأى المريض سقف بيته انفتح وفيه شخص واقف يسأل آخر فوقه: هل أنزل ؟ قال له: لا ، إن الشيخ حسين لا يقبل ، وقد جاء الأمر بتمديد عمره خمس سنوات !

فكبّر المريض وأخبرهم بما رأى ، وشفى ، وعاش خمس سنوات بالضبط وجاء ولده بما جمعه من ثروة ، وقررت به عينه !

### قانا الجليل المجاورة للبياض

وتعرفت على قرية قانا ، ويبدو أنها قانا الجليل المذكورة في الإنجيل ، قال في قاموس الكتاب المقدس /٧٠٩: «قانا الجليل: وقانا إسم عبري معناه مكان القصب، وهي مدينة شهيرة صنع المسيح أعيجوبته الأولى فيها وهي تحويل الماء إلى خمر (يو ٢: ١) وبعد ذلك صنع عجيبة ثانية فيها وهي شفاء ابن خادم الملك (يو ٤: ٤٦) وكانت وطن نثنائيل (يو ٢: ٢) وكل ما نعرفه من الإنجيل عن موقعها هو أنها في الجليل بمكان عال بالنسبة إلى كفر ناحوم ، إذ يقول يوحنا في إنجيله (يو ١٢: ٢)

وبعد هذا انحدر إلى كفر ناحوم وخدم الملك الآتي من كفر ناحوم إلى قانا حيث كان يسوع طلب منه أن يتزل ليشفي ابنه (يو 4: 46 و 47) ويرجع أنها خربة قانا شمالي الناصرة بشهانية أميال. وهناك عيون ماء ومستنقعات كثيرة القصب. يوسيبيوس وجيروم يؤيدان هذا الرأي بقولهما إن قانا الجليل تقع بالقرب من صيادة. ويقول بعضهم إنها كفركنا، التي تقع شمال شرقى الناصرة بأربعة أميال».

وفي قاموس الكتاب المقدس / ٧١٠ : «قانا: اسم عربي معناه موضع القصب وهو اسم مدينة في أشير(يش ١٩: ٢٨) غير قانا الجليل المار ذكرها ، والمرجح أنها هي القرية الكبيرة المسماة اليوم باسم قانا الواقعة على بعد نحو ٦ أميال إلى الجنوب الشرقي من صور ».

ونلاحظ أن هذا المرجع الكنسي يجعل قانا التي زارها المسيح عليه السلام قرب الناصرة ، لكن الشهرة والعمل في لبنان على أنها التي قرب صور . ونحن نقبل الشهرة لكن لا نقبل رواية أن المسيح عليه السلام ساعد الناس على شرب خمر وحوال الماء إلى خمر ، لأن الخمر محظوظ في دينه وفي كافة الأديان ، وقد نصت على ذلك التوراة والإنجيل .

وفي قانا سوق الأحد ، يقصد الناس من القرى للتسوق . وفي بنت جبيل سوق الخميس . وفي النبطية سوق الإثنين . وفي جويا سوق السبت . وهكذا قسموا الأسواق في جبل عامل على قرى الجبل والساحل .

وتعتبر مع البياض ساحلاً وقريتنا جبلاً، وكنت أذهب إلى قانا في طريقي إلى قريتنا ياطر، وأحياناً مع أستاذنا لزيارة صديقه الوجيه الحاج حسن فتوبي. وأآل فتوبي أصلهم من النبطية، ومنهم الشريف أبو الحسن الفتوني رحمه الله جد صاحب الجواهر رحمه الله لأمه، فالفتوني أخوال آل الجواهري، وله كتاب ضياء العالمين في العقائد، يجري إعداده للطباعة.

وفي قانا آل الصائغ، وجهاء وعلماء، وقد عرفت منهم الشيخ بدر الدين الصائغ، وقد توفي السنة الماضية رحمه الله وجاوز المئة سنة، ولعله آخر تلامذة الميرزا النايني رحمه الله. وعرفت ابنه الشيخ جعفر الصائغ رحمه الله، وكانت له فراسات عجيبة يخبر فيها عن أحداث فتقع كما أخبر! وله ابن فلكي معروف هو المهندس محمد علي الصائغ، نابغ في الفلك والحساب.

وفي قانا حيٌّ مسيحي فيه كنيسة، يقع على قرن البلد من جهة البياض. ويعيش أهلها مع الشيعة في المنطقة، وتربطهم بهم علاقات حسنة. ولا يتسع المجال لذكر بقية القرى في محيط البياض. وهي أبعد عنها نسبياً.

### تعرف على شخصيات عديدة في البياض

أول من تعرفنا عليه من العلماء الشيخ سليمان سليمان رحمه الله، ابن عم أستاذنا، وكان هادئاً خلوقاً، يحبني أنا وزميلي الشيخ نجيب رحمه الله، ويسألنا في مسألة نحوية أو فقهية، ويدعونا أحياناً إلى منزله. وقد تزوج زميلي الشيخ نجيب من كريمته.

كما تعرفت على المرحوم الأستاذ كامل سليمان رحمه الله أخ أستاذنا ، وهو شاعر وصاحب كتاب يوم الخلاص، وكان مدير ثانوية في صور ، لطيف المعاشر ذكي ، وكان ينشدنا قصائد طريفة . سأله ذات يوم: هل تستطيع أن تذهب ماشياً إلى قانا (٤كم) ولا تضع قدميك إلا على حجر؟ قلت: لا. قال: أنا فعلتها ولم تمس قدماي التراب ، بل كنت أقفز من حجر إلى حجر !

وتعرفت أكثر على أقاربنا مشايخ حاريص، وكثيرهم الشيخ علي الفقيه ، وكان وجيههاً معروفاً في جبل عامل رحمه الله، يقصد الناس للحجاجات وحل المشكلات ، وكان اجتماعياً من الدرجة الأولى ، مرتب الشكل والحديث . وكان يرسل أبناءه كلهم إلى حوزة النجف ويقول: من أراد منهم أن يبقى ويكون عالماً فيها ونعمت ، وإلا يتعلم ما يحفظ به دينه .

وبقي في النجف ثلاثة من أولاده وصاروا علماء وهم الشيخ يوسف والشيخ عبد الرحمن ، وأكبرهم أستاذنا الشيخ مفید حفظه الله ، وقد أسس حوزة علمية في حاريص ، وسيأتي ذكره في الحديث عن النجف .

ومنهم الشيخ عبد الإله الفقيه رحمه الله، وهو زميلي في مرحلة في النجف ، أما كبير آل الفقيه في النجف ، فهو آية الله الشيخ محمد تقى الفقيه رحمه الله .

كما تعرفت على علماء وشخصيات ، في ذهابي مع أستاذنا رحمه الله إلى عدد من قرى المنطقة قانا ، وحنويه ، وعيثيث ، وج gioia ، ومزرعة مشرف ، ودير انطار ، ودير عامص ، وحاريص ، وتبين ، وصديقين ، وزريقين .

### قصة الشيخ رضا فرحت مع الشيخ البهائي

ومن تعرفت عليه من العلماء الشيخ رضا فرحتات رحمه الله ، وهو من قرية عرب صالح ، وهو مؤسس مسجد برج حمود في بيروت ، وهي محلة مختلطة من الشيعة والأرمن واليسوعيين .

ونقل عنه أستاذنا أنه أيام كان في النجف وجد عملاً كتبه الشيخ البهائي لمن أراد أن يراه بعد موته فيسأله سؤالاً واحداً !

فعمل الشيخ رضا العمل ، فصام الأيام المحددة ، والتزم بالسور والأوراد الخاصة ، وكان في آخرها أن يذهب إلى وادي السلام ويجلس وحده إلى الزوال ، فيمر عليه الشيخ البهائي رحمه الله فيسأله سؤالاً واحداً ، فيجيبه عليه وهو ماشٍ ! وعرف الطلبة عمل الشيخ رضا ، ومزح معه بعضهم بأنه سيذهب في اليوم المحدد ليرى الشيخ البهائي ، فغضب وحرّج عليهم أن يخبروا عمله .

وفي اليوم المحدد ذهب الشيخ رضا إلى مقبرة وادي السلام وجلس فيها حتى الظهر ، فرأى الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله يمرُّ أمامه هناك فقال له: لقد حرمت عليكم أن يأتي منكم أحد وين先把 عمل ، فلم يحبه ومرّ ذاهباً .

وعاد الشيخ رضا غاضباً ، ورأى الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله فوبخه لماذا جئت وخربت عمل ! فلحلف له أني لم تطأ قدمي وادي السلام اليوم !

قال أستاذنا الشيخ رحمه الله : كان الذي مرَّ أمامه الشيخ البهائي رحمه الله وهو يشبه الشيخ محمد جواد مغنية ، وتخيل الشيخ رضا أنه هو ، ولم يسأله مع الأسف .

ونقل أستاذنا عدداً من قصص الشيخ البهائي رحمه الله ، منها أنه زار قرية رأس العين وهي قرب صور معروفة بنبعها الكبير ، فشكى له أهلها نقيق الصفادع وأنه يزعجهم ليلاً ، فأخذ ورقة وكتب عليها شيئاً ، وقال: إرموها في النبع ، فرموها ، فسكتت الصفادع إلى يومنا هذا !

#### كتاب الأوزان والمقادير لأستاذنا رحمه الله

كنت أرى أستاذنا يعمل في تأليف كتاب وأمامه ميزان صغير كموازين الصاغة ، يزن فيه حبات حنطة أو حبات شعير بقطعة معدنية صغيرة ، فسألته فقال: أعمل في الموازين الشرعية ، وأحولها إلى الأوزان السائدة . وقد أكمل كتابه: الأوزان والمقادير الشرعية وطبعه بعد سفرنا إلى النجف . كذلك كان يعمل في كتابه: رواة الشيعة وجمهرة الأسانيد ، ويبلغ ٢٧ مجلداً .

وقد أورد رحمه الله في كتاب: حياته بقلمه/ ٦٨ ، دار الأضواء ١٤٢٧ ، عدداً من مؤلفاته، وعمتها مخطوط ، أذكر منها ما أقدر أنه مميز ، ينبغي طباعته:

١ - أعيان آل سليمان . ٢ - بلدان جبل عامل . ٣ - علماء جبل عامل ١٠ مجلدات . ٤ - أمراء جبل عامل . ٥ - وقائع جبل عامل . ٦ - غرر الأدعية ١١ مجلداً .

#### موقف أستاذنا مع القسيس إبراهيم

التبشير المسيحي مفتوح في لبنان ، وكذا التبشير الإسلامي ، لكنهم يعملون ولا نعمل ، ويذهب مبشر - وهم إلى القرى ويستعملون أسلوب الأخلاق والبشاشة ، وقد يتأثر بهم شخص هنا ، وشخص هناك .

وكان يأتي إلى البياض قسيس إسمه إبراهيم ، فيتحدث مع من يراه في الطريق

أو البيت الذي يدعونه اليه ، ويوزع الإنجيل وبعض الكرايس .

فسكى أهل القرية للشيخ بأن هذا القسيس قد يؤثر على بعض الأولاد ، فقال لهم إذا جاء إلى البلد فادعوه إلى بيتنا لأتحدث معه .

وجاؤوا به يوم الأحد ، فرحب به أستاذنا ، وقدم له الشاي ، وقال له: بلغني أنك تدعونا إلى عبادة يسوع عيسى المسيح ﷺ؟ قال: نعم ، إن يسوع جاء بالخلاص لجميع البشر .

قال له: لا بأس ، هل تعرف نسب يسوع الذي تدعونا إلى عبادته ، فهو ابن مريم ﷺ ، ثم ابن من؟ قال: إن نسب يسوع موجود في الإنجيل .

قال: نعم رأيته ، فأخرج لنا إنجيل متى واقرأ لنا نسب المسيح ﷺ . فأخرجه وقرأ ، فقال له أستاذنا: إحسب عدد آباء مريم ﷺ ، فعدهم ، وقال ثمانية وعشرون . وهم في الواقع ستة وعشرون .

قال له: لا بأس ، أخرج إنجيل لوقا واقرأ نسبه ، فأخرج إنجيل لوقا وقرأه فقال أستاذنا: عدّ أجداده كم ترى عددهم؟ فعدهم وقال: واحد وأربعون . فقال له: أيها القسيس ، إنك تدعونا إلى عبادة شخص لا تعرف نسبه! فأرجو أن تبحث وتحقق نسب ربكم أولاً ، ثم تأتي إلى البياض وتدعونا إلى عبادته ! فخجل القسيس ، وذهب ولم يعد إلى القرية !

قال الشيخ البلاغي رحمه الله: المدى إلى دين المصطفى: ١/٢٤٦، ١٧٣: «إن الأنجليل التي يدعون تواتر سندها إلى رسول موحى إليهم، قد اختلفت اختلافاً كثيراً يوضح

أنها ليست من عند الله ، ويكتفي ذلك اختلافها الفاحش في نسب المسيح ﷺ .

وقال سعيد أیوب في ابتلاءات الأمم / ١١٧: «ولقد تضارب إنجيل متى مع إنجيل لوقا في نسب المسيح إلى داود ، في بينما يذكر متى أن من داود إلى المسيح ٢٦ جيلاً ، يذكر لوقا إنه ٤١ جيلاً ! وبينما يذكر متى أن يوسف النجار ابن يعقوب يذكر لوقا ابن هالي ! وبينما يذكر متى أن المسيح من ولد سليمان بن داود ، يذكر لوقا إنه من ولد ناثان بن داود ! وبينما يذكر متى أن شلتائيل ابن يكينا ، يذكر لوقا إنه ابن نيري ! وبينما يذكر متى أن ابن زور بابل يدعى أبيهود ، يذكر لوقا إنه يدعى ريسا » !

#### من آراء أستاذنا السياسية

كان أستاذنا رحمه الله يسمع الأخبار ، لكنه ينخفض صوت الراديو حتى تنتهي الموسيقى قبل النشرة . وكان كعامة الناس يهتم بأخبار العدوان الغربي على قناة السويس ، ويفرح بانتصار الجيش المصري عليهم ، لكنه كان لا يحب جمال عبد الناصر ، لأن سياسته في البلاد العربية لاتخدم الشيعة بل تضرهم .

ففي العراق والأردن واليمن يتبنى عبد الناصر الثورة على الملكية وهم على أي حال من بنى هاشم ، وفي لبنان يتبنى زعماء السنة ويهمل زعماء الشيعة .

كانت العروبة تعني لأستاذنا حكم الخط السنّي المعادي للشيعة ، والميزان عنده مصلحة الشيعة ، كما يفهمها ويقدرها رحمه الله .

وفي السياسة اللبنانية كان ينتقد زعماء الشيعة لأنهم لا يخدمون طائفتهم ، ويضرب مثلاً لذلك تبليط طريق البياض، ويقول: كلما راجعنا أحمد الأسعد يقول: مشايخ البياض عيّنهم بيضاء وقلوّبهم بيضاء ، ويعدنا ولا يفي ! وقد غير ولاءه التقليدي لبيت الأسعد إلى بيت الخليل ، لعلهم يخدمون ! لكن بيت الخليل لم ينجحوا في الانتخابات ، لأنهم محسوبون على رئيس الجمهورية كميل شمعون ، وهو متطرف ضد سياسة عبد الناصر ، بينما وقف أحمد الأسعد إلى جانب المعارضة ، وما سمي بالثورة على شمعون ! هكذا كان الجو السياسي في لبنان خلافاً بين خط عبد الناصر ومعه جمهور السنة وقسم من الشيعة ، والخط الآخر ومعه جمهور المسيحيين وبعض المسلمين . وكان أكثر العلماء نفوذاً آية الله السيد شرف الدين رحمه الله ، فله احترام في أواسط الشيعة ، لكن غاية ما يمكنه فعله أن يخاطب الدولة أو الزعماء مطالبًا ببعض الخدمات ، فلا يستجاب له ، أو يستجاب له جزئياً وشكلياً ! وأما زعماء الشيعة السياسيون ، فلم يكونوا أصحاب قدرة على الفعل المستقل ، بل يعيشون على الهاامش في ظل النفوذ السنوي أو المسيحي . ولذا كان تأثير الشيعة في الحياة السياسية في لبنان شكلياً ، وكانت مناطقهم تغرق في الفقر وال الحاجة والبطالة ، وانعدام الخدمات ! وقد سبب هذا الواقع الصعب ، زيادة في هجرة الشيعة إلى المهاجر المختلفة طلباً لعيش أفضل ، كما سبب نمو الأحزاب اليسارية ، بشعاراتها التي تنتقد

الواقع العربي وتعد الناس بمستقبل أفضل ، ولم يستطع العلماء والمتدينون من معها حتى في بيوتهم ! فقد رأيت أن المدرسة الجعفرية في صور التي بناها السيد شرف الدين رحمه الله بتبرعات مغتربى الشيعة ، وبجهود مديدة ، حوالها أستاذتها إلى مركز حزب البعث ، وكان هناف طلاها:

جينا يا مصر - جيناك

حن الصوت اللي ليّاك

وكان أستاذنا رحمه الله يراهم مغوروين تابعين لميشيل عفلق النصراني الغربي.

كنت أعتقد بأكثر أفكاره أستاذنا رحمه الله ، وأطمح إلى عمل أساسى أنجح من وسائلنا القرروية ، لنشر التوعية في الناس ، وتحقيق النهضة في المجتمع .

لم أكن مقتنعاً بمشروع عبد الناصر ، لأنني أراه شعارات أكثر منه عملاً ، ثم هو مشروع سني لا ينصف الشيعة ، وإن كان القوميون يتقربون إلى الشيعة بأن عبد الناصر منفتح على الشيعة وزوجته شيعية من أصل إيراني . ولا مقتنعاً بوضع الشيعة في لبنان ، لأنني أراهم مضطهدین غير منصفین ، وزعامتهم السياسية على هامش الزعامة السنوية والمسيحية ، وأكثر علمائهم على هامش زعامتهم ، وكنت أتعجب من الأفق القرروي لأكثرهم !

كانت سنوات الخمسينات والستينات في العالم العربي عهد زعامة جمال عبد الناصر ، وقد بلغت أوجها عندما أعلن تأميم قناة السويس ، وأنهى العقود المصرية مع الفرنسيين والإنجليز في استئثارها ، فوقع العدوان الثلاثي البريطاني

الفرنسي الإسرائيلي على قناة السويس لاحتلالها ، فقاومهم عبد الناصر عسكرياً وشعبياً ، وانتصر عليهم .

وقد استمرت الموجة الناصرية حتى انهزم عبد الناصر أمام إسرائيل في حرب حزيران ١٩٦٧ ، فقويت الأحزاب اليسارية المناهضة له .

#### مضار تعدد اهتمامات طالب العلم ومنافعها

لو سألني أحد يومها عن برنامي لقلت له: إنني أعطي لدروسي الوقت الكافي للدرس والباحثة والمطالعة والحفظ ، وأحفظ أكثر ألفية ابن مالك ، ويشهدون لي في اللغة والنحو مع صغر سني ، وقد نظمت الشعر ولم أبلغ الخامسة عشرة. أما اهتمامي بالخروج الى البرية ، أو بزيارة بعض القرى مع أستاذي أو وحدي ، فلم يؤثر على دروسي بل قد يكون نفعني فيها .

لكني بعد أن كبرت سألت نفسي عن فائدة تلك الإهتمامات المتعددة التي كنت أصرف فيها من وقتي وذهني؟ ثم عن تأثيرها على تقدمي العلمي؟ أرى اليوم ضرورة توجيه الطالب من صغره ، وأنه ينبغي له ولأستاذه أن يفهم اهتماماته الطبيعية المقيدة فيشجعه عليها ، كما ينبغي أن يزرع في ذهنه اهتمامات أخرى ، ويفتح له أبوابها .

لست نادماً على تلك الإهتمامات في ذلك السن ، لكن أتمنى لو اتجهت من يومها الى المطالعة في السيرة والتفسير .. وحفظ القرآن ونهر البلاغة... .

وكم أشعر لأستاذِي حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنْوَاحَ الْأَرْضِ بالفضل والجميل ، لأنَّه لم يعنني من اهتماماتي الطبيعية ، بل كان يبدي إعجابه ويشجعني مع زميلي على التحرك واللعب !  
أذكر أنه أمرني ذات يوم أن أشتري كرة فاشتريتها ، فقال تعالوا أنت والشيخ نجيب والأولاد والعبواء هنا ، وكان يجلس على البيدر ، فلعبنا أمامه مع بعض الصبيان ، وكان فرحاً بذلك ! قال حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنْوَاحَ الْأَرْضِ : في هذا السن يجب أن تلعبوا ، ومن لم يلعب في صغره يخشى أن يلعب في كبره !  
كان يقدر صغر سننا يومها ، ويحرص على أن نتلقى الدروس براحة ورغبة ، وأحمد الله تعالى أنني قضيت عنده سنتين وكسرأً ، واستفدت منه ما يدرسه غيري في خمس سنوات ، فجزاه الله عنّي خير الجزاء .

#### الأجزاء الأدبية في البياض وياطر

إلى سنوات خلت ، كان تأثير العلماء في ثقافة الناس في جبل عامل أكثر من تأثير كل المدارس ، ووسائل الإعلام !  
فقد كان الناس يستفيدون من مجالس العلماء العامة والخاصة ، ومن مجالس التعزية التي يعقدونها في أسابيع موتاهم ، وفي المناسبات الدينية .  
وكان عدد من أهل القرية ينجذبون إلى المطالعة ، فيشترون الكتب التاريخية والأدبية ، ويقرؤونها ويتداولون أحاديثها ، ونبغ بعضهم فصار خطيباً أو أديباً ، ومنهم من يشارك في الخطابة أو بقصائده في المناسبات .

من باب المثال كنت تجد الناس حتى العوام في قريتنا ياطر ، يتذوقون الأدب والشعر ، وكان فيهم ثلاثة شعراء عصاميون ، هم الأستاذ توفيق كوراني ، والأستاذ عبد الله قعيق ، وال الحاج شبلي الذيب . والأولان لهما قصائد جيدة ومشاركات في المناسبات . وكان الحاج شبلي أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، لكنه لغوي ينقد المفردات والعبارة العربية ، وشاعر ينظم القصائد الحسنة !

وقد استفدت من الذوق الأدبي للأستاذنا رحمه الله وكان شاعراً ، ومن أخيه الأستاذ كامل سليمان رحمه الله ، فتعلمت وزن الشعر وبعض نقه ، ونظمت وأنا في الرابعة عشرة أبياتاً وقصائد ، منها في تهنئة أستاذنا بزواجه ، فقد طلبت زوجته الطلاق لأنها لم يرزقا أولاداً ، فطلقتها وتزوج ، فرزقه الله ابنتين .

وقد فقدت القصيدة لكن أستاذنا رحمه الله نشر منها أبياتاً ، هي:

أعلنت في يوم الزفاف سروري	وازداد أنسى— واستبان حبوري
لاتبوأ بيتكم علوية	من بيت قدس رائع مشهور
إن شئت يوماً مدحها قل إنها	بنت الرسول الطاهر المنصور
طوبى لموي قدسماً متعالياً	جمُّ الفاخر؟؟ سابق التعبير
سمحُ الخلاق قد حوى بخصاله	من كل وصفٍ فائقٍ بعتبر

(كتاب حياة الشيخ إبراهيم سليمان / ٢٨، دار الأضواء ١٤٢٧).

ونظمت الشعر بعد ذلك ، وشاركت بقصائد في بعض الإحتفالات في النجف والبصرة ، لكنني لم أواصل اهتمامي بالشعر فبقي شعري في الدرجة

الخامسة مثلاً . واهتممت بكتابه النثر الأدبي ، وكتبت مقطوعة بعنوان: سبحة  
كرباء ، وبعض مقطوعات في كتاب: ملائكة الغيب قادمون .

كان الإهتمام الأدبي سائداً في جبل عامل وقريتنا ياطر ، ومن أمثلته أن الحاج  
توفيق كوراني دعانا يوماً إلى بيته لشرب الشاي ، ولما جلسنا أنا وزميلي الشيخ  
نجيب ، والشيخ عبد الإله الفقيه ، قال توفيق: نحن ننتظر سماحة الشيخ يقصد  
الشيخ علي الفقيه ، فقد وعدنا أن يشرفنا . فقلت له: ونحن ننتظر ماذا؟ قال:  
تنتظرون الشاي ، فتبسمنا ، فذهب ثم عاد وهو يقول:

لم يذكروني في هوى وتصاب إلا لكرع الشاي من أكواب	أسفى ويأس الخير من أحبابي لم يطرقوا بيتي لقاء مودة	فأجنته:
--	---	---------

من شايكم تشفى غليل الصاب ليتمم الأفراح للأحباب	لم نطرق البيت الكريم لجرعة لكنما الشاي المحلي خلقكم	ومن شعر الحاج توفيق:
---	--	----------------------

والشاي قيمة كاسه فلسان وأنما الذي لا يكتفي بشمان وقد عودك الماحي دجاج خوازي	أبكأس شاي خلت أنك حاتم وتظن أني أكتفي في واحد أنسيت يا عبد الرحيم موئدي	ومن شعر عبدالله أسد الله قعيق:
---	---	--------------------------------

دموع الحزن في ذكرى الفقيد حذار من دموع المستفيد	بكى قلمي فطارحه قصيدي بني وطني أفيقوا من سباتٍ
--	---

وإسرائيل من خلف الحدود

بقاتل بعضنا بعضاً علىَ مَ

ومن شعرى:

ثيّعونِي لخْرقي بالعُوْيلِ  
ومقرُّ إقْرَارَ عَبْدِ ذَلِيلِ  
فَلَكَطَّافْ بِرْ حَمْتِي وَقَبُولِي  
بِرْسُولِ الْهَدِي وَآلِ الرَّسُولِ  
لَمْ أُطْلِعْ فِيهِمْ كَلَامَ الْعَذُولِ  
وَنَشِيدِي فِي بَكْرَتِي وَأَصْلِيلِي  
أَنْ تَرْوُنِي قُلْادُقْ وَدَالْزَلِيلِ  
هَلْ جَزْءُ الْجَمِيلِ غَيْرُ الْجَمِيلِ  
مَسْتَطِيرًا عَلَى الْعَدُوِّ الْجَهُولِ  
مِنْكُمْ نَفْحَةُ الْعَطَاءِ الْجَزِيلِ  
زَاكِبَاتُ بِحْكَمِ ، وَأَصْوَلُ  
فِي رُبِّي عَامِلٍ بِأَرْضِ الْجَلِيلِ  
إِسْمَهُ عَنْدَنَا شَفَاءُ الْعَلِيلِ  
فَجَرِي فِي دَمِي وَحَلَّ غَلِيلِ.

ما أَرَانِي إِلَّا قَرِيبَ الرَّحِيلِ  
أَنَا يَا رَبَّ مُذْعَنْ بِالْخَطَايا  
غَيْرُ أَنِي مُؤْمِلٌ مِنْكَ عَفْواً  
إِنَّ لَيْ إِلَيْكَ حَبْلَ وَدَادِ  
كَنْتُ فِيهِمْ مُتَيَّمًا مَسْتَهَاماً  
صَفْوُ حُبَّـي هُمْ وَصَفْوُ دَمَوْعِي  
أَيْهَا السَّادَةُ الْكَرَامُ وَحَاشَا  
سَالِمُ أَنْسَ حَبَّـكُمْ فِي حَيَاتِي  
كَنْتُ خَلَاً لِحَبَّـكُمْ ، وَعَذَابًا  
إِنَّمَا الْكَوْنُ بِلَقْعُ أَنْعَشَتُهُ  
أَنَا يَا سَادَتِي رَبِّبُ حُجُورِ  
مُعْرِقٌ فِي وَلَائِكَمْ مِنْ جَذْوِي  
فَخَرُنَا أَنَّا مَوَالِي عَلَيٌّ  
أَرْضُعْتِنِي حُرَّةٌ مِنْ حَلِيَّيِّ

والإهتمام الأدبي لازم لطالب العلم ، لكن بهدف أن يتكون له ذوق أدبي وقدرة على النقد فقط ، ثم لا ينبغي له أن يصرف وقته في الشعر والأدب ، لأن اهتمامه بطلب علوم الحوزة من فقه وأصول وغيره ، أهم وأنفع .

وقد أعطانا الشيخ الأنصاري رحمه الله درسًا عمليًّا عندما: «عرض عليه السيد محمد بن علي بن السيد أبو الحسن العاملي النجفي كتابه: يتيمة الدهر ، وهو على طراز يتيمة الدهر للشعالبي ، وبظنه أن الشيخ سيجيشه عليه ويحبوه ، فكتب عليه هذا البيت ، ولم يسمع منه مدة عمره غيره !

فلا أضيع عمرِي في قراءته

فيما مضىَ عُمْرٍ في كتابته

(ماضي النجف وحاضرها: ٤٧/٢).

وما يبدو لك من قسوة في حكم الشيخ الأنصاري رحمه الله، يزول إذا عرفت أن مخاطبه طلبة العلوم الدينية الذين يفترض فيهم أن يتخصصوا في علوم الدين ، فإن اتجه أحدهم إلى الأدب والشعر أدمن عليه ، وألهاه عن تخصصه الفقهـي ! ونلاحظ أن بعضهم انصرف عن الحوزة إلى الأدب فبقي عادياً كل عمره يراوح مكانه ، فلا هو تفقـه ، ولا هو نبغـ في الشعر !

أما الطالب الذي عنده نبوغٌ شعري ، كالجواهري رحمه الله الذي كان طالب حوزة وظهر نبوغـه الشعري ، فينبغي له أن يوجه اهتمامـه لخدمة دينه بهذه الموهبة التي أنعم الله بها عليه ، لأنـها لا تقل عن موهبة الفقـاهـة .

◎ ◎

#### الفصل الرابع:

### الهدف كل الهدف.. حوزة النجف

#### هب علينا نسيم النجف

عشت في النجف منذ بدأت بطلب العلم ، فهي هدف الطالب وأمنيته ، لأن فيها الحرم المقدس لأمير المؤمنين علیه السلام ، وفيها العلم ، والعلماء ، والرجعية .  
وعشتها من أستاذي ، فقد كان حديثه دائماً عن علمائها وطلابها ، من أساتذته وزملائه ، وعن أجوائها ، وأحیائها ، ومجتمعها ، وطرائفها ! فالنجف تطبع طالب العلم بطبعها ، وتصوغه بصياغتها ، فتصبح شخصيته نجفية ، تعيش انتهاءها الى النجف قبل أي مكان ، ويبقى يحنُ اليها ، مهما بعدها به الدار !  
كان أستاذي رحمه الله مطبوعاً بطبع النجف ، يحدثنا عن أساتذته خاصة السيد حسين الحمامي ، والميرزا النائني ، والسيد محسن الحكيم ، وعن زملائه الشيخ محمد تقي الفقيه ، وأخيه الشيخ علي ، والشيخ رضا فرات... الخ.  
وعن ذكرياته عن شخصيات علمائية مميزة كالشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، والسيد محسن الأمين ، وغيرهما . فكان معجبًا بالواقف الشجاعة للشيخ كاشف الغطاء رحمه الله ، وبجدية السيد الأمين رحمه الله في البحث والتأليف ، قال: كنا مجموعة من الطلبة قصدنا بيته ذات ليلة من ليالي الصيف وطرقنا الباب ، فأطل من شرفة السطح ورد سلامنا وقال: ماذا تأمرون؟ قلنا: جئنا نسهر عندكم سيدنا

ونشرب الشاي . فاعتذر بأنه مشغول في التأليف وقال: سأدلي لكم بالزنبيل من أحسن أنواع الشاي والسكر ، فاذهبو الى بيت أحدكم ، واسربوا الشاي !

وكم كانت فرحتي كبيرة عندما جاء والدي رحمه الله وقال لي: إن أولاد الشيخ علي الفقيه جاؤوا من النجف لقضاء الصيف ، فتعال معن لزارورهم ونرتب أمر إرسالك معهم الى النجف ! وأخذ لي الوالد رحمه الله إجازة من أستاذي ، وذهبنا الى حاريص فرحب بنا الشيخ على الفقيه رحمه الله ، وتعرفت على ابنه الشيخ عبد الإله ، وكان أمضى مدة في النجف ودراسته في مستوى دراستي ، وكنت أدرس الشرائع والمعالم ، ودعوته الى قريتنا .

ثم أخذني الوالد الى بيروت لنحصل على جواز سفر ، وتأشيرة العراق .

وعدت الى البياض لأودع أستاذي وزميلي ، وأشخاصاً وأشياء وبقاياً عزيزة على ، لكن فرحتي بالسفر الى النجف لا تفوقها فرحة .

وفي ذلك الصيف واصلت دراستي حتى يحين موعد سفري الى النجف ، وذهبت قبل الموعد بأسبوعين ، لأودع أهلي وأقارب في قريتنا ياطر .

أما زميلي الشيخ نجيب رحمه الله فتأخر سفره الى النجف نحو سنة ، لظروفه .

### من برج أبي حيدر.. الى النجف

ودعت قريتنا ولم أودع جbagها وأوديتها ، فقد كان الوقت ضيقاً ، وأمرني الوالد رحمه الله أن أدور على أقاربنا فأودعهم ، وكنت أذهب الى بيروت لمتابعة صدور الجواز من الأمن العام ، وتأشيرة السفارية العراقية .

ولم أودع السيد شرف الدين قدس الله نفسه الزكية ، فقد توفي في تلك السنة ، وكانت أول سنة يمرُّ صيفها على قريتنا بدونه !  
كنا نصلي في المسجد الجديد الذي بناه وسط القرية ، والجميع يتذكرونها . ويقولون: المقدس السيد عبد الحسين ، ويقرؤون له الفاتحة .

أكملت وداع الأقارب في القرية ، وإخوتي وأخواتي ، وكانت الوالدة رحمها الله تبكي وتدعوا ، ثم ودعتها وهي تشمني وتبكي ، وتقول: كفلتك لأمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُرْبُّ ! لكن جدي لوالدي كانت من نوع آخر ، كان عمرها أكثر من مئة وعشرين سنة ، وهي في صحة جيدة وحالة ذهنية يقظة ! فقالت وهي تودعني: هنيئاً لك يا علي ، سلم لي على أمير المؤمنين والأئمة ، وزرهم عندي .  
وكنا تواعدنا مع أقاربنا آل الفقيه في بيت جدهم الشيخ يوسف حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُرْبُّ ، في برج أبي حيدر بيروت ، وكان رئيس محكمة التمييز الشرعية .

وجدنا الشيخ علي الفقيه حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُرْبُّ جاء مع أولاده من الجنوب ليودعهم ، فجلسنا قليلاً ونهضنا ، فقبلت يد الشيخ الفقيه ويد الوالد حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُرْبُّ مودعاً ، ووضعنا أسبابنا في السيارة التي ستوصلنا الى الشام وركبنا ، فرأيت الوالد رغم متناته ووقاره ، وقف على شباك السيارة ينظر اليّ بعاطف ومحبة ، ثم مشى قليلاً وأدار وجهه لحظات ، ثم عاد وأشار دمعتين في عينيه ، فانحنى على شباك السيارة ، وقال:  
إذهب يابني وهبتك الله ! إذا وصلت الى النجف فأمسك بضربيح أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُرْبُّ وقل له: يا أمير المؤمنين ، إن والدي وهبني لكم ، فاقبلني واجعلني

في حماك !

هزني مشهده وكلامه وبكيت ، وتحركت السيارة ورنين صوته الهادي  
الواشق يتردد في أعماقي: إذهب يابني ، وهبتك لله ...

كنت أعيش في طريقي الى الشام مزيجاً من الفرحة والرعب ، في زيارة السيدة زينب عليها السلام ، ثم في سيارة (نيرن) الأجنبية الضخمة ، التي تنقل المسافرين بين دمشق وبغداد . وغادرنا دمشق عصراً الى أبي الشامات ثم دخلنا في الصحراء نحو العراق . وقد أنسست عندما نام رفيقي الشيخ عبد الإله وتركني في عالمي وتفكيري ، فأنا بحاجة الى الوحدة ، لأهضم ما تراكم عليّ من أحداث !

كنت أنظر من نافذة السيارة الى الصحراء فأرى نفسي أقطع الطريق وما زال يرنُ في أعماقي صوت المرحوم والدي يذهب يابني فقد وهبتك لله ...  
وأتساءل: هل يهب الأب ابنه؟ وأقول: تصح الهبة ، لأن الولد وما يملك لأبيه ،  
ولأنها هبة متفق عليها بين الأب والإبن !

وأعود أفكراً: ما معنى أني موهوب لله ؟ وأفهمها بأن أدرس جيداً ، وأخدم ديني مخلصاً ، فأقوم بتعليم الناس الإسلام ، ومذهب أهل البيت عليهم السلام .

لم يقطع تفكيري إلا تعزية الزوار الهنود ! كانوا مجموعة في المقاعد الأمامية ذاهبين الى زيارة الأئمة عليهم السلام في العراق ، وأخذ أحدهم يقرأ لهم بالهنديّة بصوت هادئ ، حتى لا يعترض الركاب ، ثم قرأ شعراً حزيناً فرددوه معه ، وهم يلطمون على صدورهم لطماً خفيفاً ، ثم كانت نبرتهم تصاعد .

لم أفهم كلامهم ، لكن أثر في هذا الحنان المهندي الرقيق الذائب ، المنساب في  
كلماتهم ، ووجيب قلوبهم ، ودموع عيونهم !

جميل أن ترى المشاعر العالمية تشارك النبض بمودة أهل البيت عليه السلام ، فكيف  
يعيش هؤلاء التشيع وولاية أمير المؤمنين عليه السلام في بلادهم وبيوتهم ؟!

وقفت السيارة في الليل للإستراحة في آخر صحراء الأردن والعراق ، وكانت  
المنطقة مظلمة ، فيها مقهى ومطعم ليس فيها من ذلك إلا الإسم ، والإسم  
عليهما كثير ، لأنك تحتاج إلى جهاد النفس حتى تنظر إلى الظروف والظروف  
والشاي والطعام ! وكنا نسمع من قريب أصوات قيثارة ، لأن أهلها في عرس ،  
فنظرنا فإذا هم بدؤ يسمرون ! جلسوا حلقة ذات اليمين وذات الشمال ، لأنهم  
أكثروا من الطعام فاتكاؤا ، وأباريق القهوة في وسطهم ، وأحدهم يصدح  
بقيثارته بلحن الرقص والدبكة ، بينما كانوا بحاجة إلى لحن ينامون عليه !

قدرت أنهم رعاة في تلك المناطق ، أو هَجَّانة ، موظفون كحرس حدود ، ولم  
أَرْ فيهم من صفات عرب البايدية الذينقرأنا عنهم إلا أنهم من نسلهم !

مهما يكن ، فليس قد صدنا هذا المقهى ولا أولاء البدو ، وإنما النجف . وفي  
صبيحة اليوم التالي وصلنا إلى بغداد ، وأخذنا سيارة إلى النجف .

#### في المدرسة العاملية في النجف

حطَّ رحالنا في النجف الأشرف ، وأنزلني أقرباؤنا في المدرسة العاملية ، ثم  
ذهبنا إلى زيارة كبير العاملين آية الله الشيخ محمد تقي الفقيه ، فرحب بي وسألني

عن أستادي الشيخ إبراهيم ، وعن دراستي ، وأبدى إعجابه .  
وأمرهم أن يعطوني غرفة في المدرسة ، وأن يعمموني ، و كنت ألبس عقالاً ،  
وأمرهم أن لا أخرج وحدني ، وأن يكون الشيخ مفید مسؤولاً عن أموري ،  
وقال لي: بإمكانك أن تحضر عندي درس المعالم واللمعة .

ودعانا الشيخ مفید لطعام العشاء ، وكان كبير العاملين بعد عممه الشيخ محمد  
تقی . وفي اليوم التالي ذهبت معه إلى زيارة أمیر المؤمنین علیه السلام ، والشیعی مهیأ  
بطبعه لزيارة إمامه علیه السلام ، والحادیث الحار معه ، لأنه صلوات الله عليه ، هو  
انتهاؤه ومذهبه ، ونبضه وأنشودته .

كانت الهمية والإجلال مسيطرین على في أول زيارة ، وأنا أقرأ مع الشيخ مفید  
الإستئذان عند الباب الأول ، والزيارة ودعاءها في مواجهة الضريح المقدس ،  
ثم أشار لي أن أمسك بالضريح ، فأمسكت وسلمت على إمامي صلوات الله  
عليه مجددًا ، وقلت له ما أمرني الوالد علیه السلام أن أقوله ، وبكيت . وأشار الشيخ  
مفید أن نصلي ركعتي الزيارة ، فصلينا ودعونا ، ثم نهضنا .

وبعد الزيارة ، رجعنا من السوق الكبير الذي جئنا منه ، فاشترينا الوسائل  
اللائمة للغرفة ، وذهبنا وربناها ، فأكملت بذلك إعداد سكني ، لأبدأ في اليوم  
التالي أول أيام دراستي في حوزة النجف .

## الشيخ مفید الفقیہ أستاذی ولم أدرس عنده !

للأستاذ في الحوزة العلمية مقام وحقوق على تلاميذه ، ويطلق الأستاذ على من درستَ عنده ولو دروساً قليلة ، لذلك يختار التلميذ أستاذه بعناية من مستوى علمي وروحي جيد ، ومستوى اجتماعي يتناسب معه ، حتى لا يقال بعد ذلك: فلان أستاذ فلان ! ويوصي الآباء أبناءهم أن لا يدرسواعند أي شخص ، حتى لا يغيرهم أحدٌ لا سمح الله بأنه أستاذهم .

ومن أخلاقية الأستاذ أن لا يُمْنَّ على تلاميذه ، ولا يتبرج أمام الناس بأني أستاذ فلان وفلان ، أو إن فلاناً درس عندي ! وقد يخالف ذلك بعضهم فيتبرج ، أو يحاول كسب الشهرة ، لأن تلميذه عالم مشهور !

ومن أخلاقية التلميذ أن يقدر أستاذه ويحفظ له حقه وجيشه ! وقد يخالف ذلك بعضهم ، فيُخفي أنه درس عند فلان ، لأنه عند نفسه كبير وأستاذه عادي ، فاعترافه بالتلُّمُذُ عليه ينقص من مقامه ، أو يرفع مقام أستاذه ! وهذا خطأ وسوء توفيق ، وسببه قلة الشجاعة ، أو النقص في تدين الشخص ، وغلبة الحسابات الدنيوية عليه .

وهناك حالات أستذة في الحوزة ، في غير الدروس العلمية ، قد يكون الأستاذ فيها أكثر تأثيراً في حياة الطالب من أستاذه في مادة علمية .

من ذلك أستاذ الأخلاق ، الذي يثق الطالب بدينه وتقواه ومستواه ، فيتعلم منه الأخلاق والروحانيات .

ومن ذلك الأستاذ في حل مشكلات ، فيراجعه الطالب في مشكلاته وأموره

الشخصية والإجتماعية ، ثقة منه بعقله ورأيه ، ويعمل بتوجيهه .

ومن ذلك الأستاذ الموجه العام ، ومن هذا النوع كان لي الشيخ مفید الفقيه حفظه الله ، فأنا أعبر عنه بأستاذي اعترافاً برعايته وخدماته وفضله علىَّ ، رغم أنني لم أدرس عنده ، وافترقت عنه في خطى العملي والسياسي .

فهو الذي دلني على السيد الصدر رحمه الله وحزب الدعوة ، لكنه انسحب من الأيام الأولى دفعة واحدة ، وترك حتى بحث السيد الصدر رحمه الله ، وقد كان مع بضعة طلاب أول من حضره !

وسأله عن السبب فلم يخبرني إلا بعد سنين ، قال إن السيد الصدر يتبنى بعض نظريات الميرزا النائيني رحمه الله وينسبها إلى نفسه ، ولم يقنعني ذلك واعتبرت أن السبب الحقيقي تخوفه من التهمة التي شاعت في الحوزة بأن السيد الصدر حزبي !

وبقيت أنا على علاقتي بالسيد الصدر رحمه الله وعلى علاقتي بالشيخ مفید ، الذي تولى توجيهي من يوم دخولي إلى النجف ، وأخجلني بنبله وخدماته ، فأنا مدين له بالفضل كأستاذي الشيخ إبراهيم سليمان ، وما زلت أدعوه الله تعالى أن يجزيها عنى خير الجزاء .

ومن صفات الشيخ مفید حفظه الله ، أنه قوي الإيمان ، هادئ ، صبور ، قليل الكلام ، كثير الفوائد في تعليقاته وتوجيهاته .

وهو من ناحية علمية في درجة عالية ، ولعل عنده شهادات اجتهاد ،

لاظهرها ، وقد أسس حوزة علمية في بلده حارisch ، وهو مجاز ومعتمد من مراجع النجف القدماء والمعاصرين ، رضوان الله على الماضين منهم ، وحفظ الله المعاصرين .

#### وفائي لأستاذي الشيخ إبراهيم سليمان

أضفت هذا العنوان لأن بعض الأعزاء أشار على أن ذكر وفائي لأستاذي ، قال: إن هذا ليس تبجحاً ، بل ليتعلم منه الطالب كيف يفي لأستاذه إذا اختلف معه في السليقة ، أو في الخط السياسي .

يمتاز أستاذنا رحمه الله بصفات كثيرة رائعة في الإيمان والعلم والتقوى ، وله صفات تخص شخصيته كأي إنسان . وكان رحمه الله يحبني كثيراً وقد يفتخر بي ، وأقدر أنه بقي يحبني إلى آخر حياته ، لأنني كنت أحتمل غضبه وكلامه على ، وكانت فيه حدة يتحدث هو عنها ، وكل من يعرفه .

كان موقفه من الإمام الخميني رحمه الله شديداً ! لأنّه يفسر الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: « كل رأية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل ». (الكافى: ٢٩٥ / ٨).

بأنه عام يشمل كل من أراد الحكم وإقامة دولة ، وكان يواجهه من يؤيد الإمام الخميني بإشكالاته حتى لو كان ضيفه !

فكان على كلما أردت زيارته أن أهيئ نفسي لهجوم من أستاذي المحبوب ، وكنت أسك مودباً بين يديه حتى يكمل هجومه ، فيأمر لي بضيافة ، وأفتح

مسألة علمية ، فربما تكلم فيها ، أو يقي غاضباً حتى أودعه !  
ودخلت يوماً إلى حسينية قرية دير انطار في مناسبة أسبوع ، وكان رَحْمَةُ اللَّهِ موجوداً  
فقصصته وسلمت عليه ، و كنت مدعواً للقاء كلمة ، فتطرقت إلى وضع  
الجنوب و اعتداءات إسرائيل المتكررة عليه ، و تقصير الدولة في الدفاع عنه ، ثم  
ذكرت الإمام الخميني رَحْمَةُ اللَّهِ و صفتة بالقائد الشجاع ، وكان يومها في باريس .  
فوقف أستاذي رَحْمَةُ اللَّهِ في القاعة وقال بصوت مرتفع: الخميني طاغوت ، ونحن  
رئيسنا الياس سركيس ، وليس الخميني !

فقلت له: يا مولانا ، أنا دعوت سركيس ليقودنا ويدافع عن الجنوب !  
فأجابني بحده ، فصاح ضده بعض الحضور واتجه بعضهم نحوه ، فخشت أن  
يهينه أحد بكلام ، فقلت لهم على المكبرة: رجاء أيها المؤمنون ، إحترموا مولانا  
الشيخ ، فالمسألة بين أستاذ وتلميذه ، ومهمها قال أستاذي فأنا أقبله وها أنا أختتم  
كلامي وأترك المنبر لأجلس بخدمته ! ونزلت عن المنبر وجلست إلى جنبه مهدئاً  
، حتى قام ليذهب فودعه .

وكان بدأ تغيره على رَحْمَةِ اللَّهِ من الكويت ، فقد انتبه المرجع السيد الحكيم رَحْمَةُ اللَّهِ  
قاضياً شرعاً في الكويت سنة ١٩٦٠-١٩٧٩ م. فسكن هناك نحو عشر سنين . كما  
انتدبني السيد الحكيم رَحْمَةُ اللَّهِ وكيلًا عاماً له في الكويت سنة ١٣٨٧-١٩٦٧ م. وبادرت  
منذ وصولي إلى زيارة أستاذنا ، وكان يزورني ويحضر المناسبات في مسجدنا.  
و كنت دقيقاً في احترامه طوال المدة التي كنت وإياه في الكويت وهي نحو أربع

سنين ، فكنت أزوره ، و كنت مشغولاً بأعمال ، وكان لا يميل الى النشاط العام فكان يقول لي: أترك هذا المشروع ، وهذا العمل وذاك ، أنا أريدك أن تكون بقري وأجعلك أحد الأمانة على مكتبتي . و كنت أجبيه: إننا بخدمتك ، لكن على مسؤولية اجتماعية بصفتي وكيل المرجع ، ولا يمكنني تركها .

و وقعت المصيبة عندما جاءني شخص في قضية راجعه فيها فحكم لخصمه عليه ، فقلت له: إن فتواي السيد الحكيم لمصلحتك ، و ذهبت معه الى أستاذنا وبينت له الأمر، فغضض عليّ وقال: أنا أعرف منك بفتاوي السيد محسن الحكيم ، أنا درست عنده قبل أن تدرس أنت عندي ! فقلت له: مارأيكم أن نكتب له استفتاء ؟ فاستنشط غضباً ، وقال: إذا أجاب السيد الحكيم بما قلت ، فسألنزع عمامتي !

و كتبت استفتاء وأخذه صاحب القضية السيد محمود عاشور ، وجاء بفتوى السيد الحكيم رحمه الله فكانت كما قلت ، فقلت له خذ الجواب الى الشيخ بكل لطف ، فأخبرني أنه كرر قراءته وتعجب ، ثم زرته رحمه الله ولم نذكر الموضوع أبداً ، ولكن رحمه الله حكم في المحكمة حسب جواب الإستفتاء .

كان يبلغني عنه رحمه الله كلام عليّ ، فأقول للناقل: أرجو أن لا تنقل لي ما يبعدني عنه، لأنني أحبه وأريد أن أبقى محبّاً له ، و كنت أفسر غيته لي بأنه يستحل ذلك شرعاً ولا أتهمه بارتكاب حرام ، لكنه في اعتقادي قطاع ، أي سريع القطع ، والقطع حجة على صاحبه ، لا يؤاخذ إذا عمل بموجبه ، إلا إذا قصر- في

مقدمات قطعه ، وهذا أمر بينه وبين ربه عز وجل .

قلت له يوماً: هل بلغكم عنِي حرف واحد؟ قال: لا ، قلت: أما أنا فبلغني الكثير ، وكلما بلغني أساحككم ، فأنت أستاذِي وصاحبِ فضلٍ على لا إنساه ما حييت . فسكت الْجَلَلَةُ ، ثم قال: الله يرحم والديك .

### انتظمت في الدراسة وصرت مدرساً

اشتهر بين الطلاب أنني متقن للنحو والمعانِي والمنطق واللمعة الدمشقية ، فطلب مني بعضهم أن أدرسَه قطر الندى ، وبعضهم درساً في الألفية . فأشار علىَّ أستاذِي الشيخ مفید أن أقبل ، فبدأت بالتدريس ، واتسع الدراسان ، ثم أضيف إليهما درسان في المنطق ومحضر المعانِي ، فصارت أربع تدريسيات ، ودرسان ومحاضتان في اللمعة والمعالم . ونقلت تدريسياتي إلى مسجد الهندي ، لأن طلابي كانوا من اللبنانيين وال العراقيين والبلاد العربية الأخرى . وأعود فأنبئه إلى أن العوامل التي تجعل الطالب يهضم المادة وترسخ في ذهنه ، هي: شرح الأستاذ للدرس ، وكتابته ، والباحثة فيه ، وتدريسه ومحالس الباحثة والأسئلة ، ويمكن أن نضيف إليها الإمتحان بشروطه.

### زرت أكثر علماء النجف ورأيهم عن قرب

انتظمت حيّاتي في النجف: دروسٌ وتدريس من طلوع الشمس إلى قرب الظهر ، وكنت قبيل المغرب أذهب إلى صلاة الجماعة في الصحن العلوي ، بإماماة المرجع السيد الحكيم الْجَلَلَةُ ، وألتقي بعدد من الطلبة ، أو أزور أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ،

ثم صرت أذهب بعد الصلاة الى بحث السيد الخوئي رحمه الله ، ولعلي كنت أصغر طالب سنًا حضر بحثه الخارج .

زرت عدداً من العلماء في النجف ، فتعرفت على المرجع السيد عبد الهادي الشيرازي رحمه الله ، والمرجع السيد محمود الشاهرودي رحمه الله ، والمرجع السيد الخوئي رحمه الله ، ثم حضرت بحثه ، وعلى الشيخ مرتضى آل ياسين ، والشيخ عبد الكريم الزنجاني ، والسيد إسماعيل الصدر ، وأخيه أستاذنا السيد محمد باقر الصدر رحمه الله وأول ما زرته في بيته مع الشيخ مفيد الفقيه ، وتكررت زيارتنا له ، وعندما أكملنا دراسة الكفاية أنا والشيخ سامي الفقيه ، والشيخ عبد الإله الفقيه ، طلب منه الشيخ مفيد أن يجد لنا أستاذًا في المكاسب ، فكلف السيد عز الدين بحر العلوم بتدريسنا فقبل ودرّسنا .

وكلت كبقية الطلبة العاملين نذهب الى بيت المرجع السيد الحكيم رحمه الله ، فننوره ، أو نلتقي في مكتبه بالعلماء الزائرين له أو المراجعين لمكتبه .

وفي بيت السيد الحكيم رحمه الله تعرفت على العديد من الطلبة والمدرسین وكبار العلماء ، وزادت علاقتي بالحكيم ، حيث درست اثنين من أبناء السيد رحمه الله ، ودرست شيئاً من الكفاية الجزء الثاني عند ابنه الشهيد السيد محمد باقر رحمه الله ، ودرست رسائل الشيخ الأنصاری رحمه الله عند المرجع السيد محمد سعيد الحكيم ، وهو حفيد السيد المرجع رحمه الله ، ولكنه أكبر سنًا من عدد من أخوالي وأولاد السيد . وفي السنة الثانية من دخولي النجف توفي آية الله السيد حسين الحمامي رحمه الله وقد

زرته أول ما جئت الى النجف ، وأبلغته سلام أستاذی وطلبت منه الدعاء ،  
وكان تشيعه مهياً شاركت فيه مع أستاذی الشيخ مفید الفقیه ، من مدخل  
النجف الى الصحن الشريف . ورأينا في التشییع أستاذنا السيد محمد باقر  
الصدر حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ذِكْرَهُ ، وكان وحده فانضممنا اليه .

وحدثني يومها الشيخ مفید أن السيد محمد باقر بدأ قبل أيام بحث الخارج ،  
أي الدراسات العالية في الحوزة ، وأنه يحضر عنده مع بضعة نفر منهم السيد محمد  
باقر الحکیم ابن المرجع ، والشيخ عبد العالی مظفر ، والسيد ذی شان جوادی  
من الهند ، وربما السيد عبد الغنی الأردبیلی من إیران . كان ذلك سنة ١٣٧٩ -  
١٩٥٩ م. ولعله العالم الوحید الذي بدأ بحثه الخارج قبل أن يتزوج ، ثم تزوج من  
قریبته شقيقة السيد موسی الصدر .

### آية الله الشيخ حسين الحلي

كنا نحضر درس المكاسب عند أستاذنا السيد عز الدين بحر العلوم رحمه الله ، مع زميلي الشيخ عبد الإله والشيخ سامي ، ونعتبر أنفسنا من أهل الفهم والذكاء ، ونتعجب من أستاذنا لماذا يطيل في شرحه ويكرر ، حتى كان درسنا ساعة وربعًا ، وهو يحتاج برأينا إلى ربع ساعة !

قال الشيخ عبد الإله: يتصور أنا لأنفهم ، فأثبتوا له أنكم تفهمون! وقررنا أن نشكل عليه ليعرف أنا نفهم! وفي اليوم التالي ما أن بدأ في شرحه حتى أمطرناه بالإشكالات ، وما كان ينتهي من جواب أحدهنا حتى يشكل عليه الآخر ! وكانت النتيجة أن نظرة الأستاذلينا تحسنت ، لكننا ارتكبنا ذنبًاً أخلاقياً ، فلم تكن إشكالاتنا حاجة علمية قربة إلى الله ، وإنما لإثبات ذاتنا !

وكان أستاذنا يحضر بحث الخارج عند آية الله الشيخ حسين الحلي رحمه الله وكنا نسمع به وبمقامه العلمي وزهره وورعه ، وأن المرجع السيد الحكيم رحمه الله يرجع إليه في الإحتيات ، ومعناه أنه يشهد بأنه الأعلم بعده ويرشه للمرجعية ، لكن الشيخ الحلي رحمه الله كان لا يقبل أن يقلده أحد .

فقررنا أن نحضر درس الشيخ الحلي لتفرج عليه ونرى منطقه ، وذهبنا قبل الوقت إلى مكان الدرس ، وكان غرفة في صحن الحرم دفن فيها المرجع الراحل الميرزا النائي رحمه الله عرفت باسم: مقبرة الميرزا ، فجلسنا في طرف القاعة حتى لا يكون المكان لبعض تلاميذه ، وجاء أستاذنا بحر العلوم رحمه الله فنظرلينا وسلم ولم يقل شيئاً ، وأخذ التلاميذ بالحضور ونحن نفترس في وجوههم لنعرف

نوعية تلاميذ الشيخ الحلي رحمه الله وكان بضعة عشر.

وجاء شيخ بعين واحدة ، يلبس ثياباً عادية جداً ، وعمامه غير منظمة ، فقلنا بعضنا: هذا المعيدي أيضاً ، يحضر بحث الشيخ الحلي ؟ !  
وعندما دخل تفاجأنا بأن التلاميذ وقفوا احتراماً له وأخذ صدر المجلس فإذا هو الشيخ الحلي رحمه الله ! وشرع بالبحث ، فسمعنا بعضه ، وخرجنا ! وزرناه مرة أخرى بعد درسه وسألناه أسئلة فقهية .

### فوائد مجالس التعزية ليلة الخميس

يلتقى الطلبة في الدروس ، وفي المباحثات ، وفي المدرسة التي هي مسكن الطلبة العزاب ، وفي الصحن بعد الصلاة .

ومن أكثر اللقاءات فوائد مجالس التعزية ، وأكثرها في ليلة الخميس ، لأن ليلة الجمعة يكثر فيها ذهاب الطلبة إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ، أو كربلاء . ويمتد مجلس التعزية في الحوزة نحو ثلاثة ساعات ، وتكون قراءة المجلس نصف ساعة ، وبباقي الوقت لطرح مواضيع ومسائل علمية مختلفة . وال المجال مفتوح لمن أراد أن يطرح مسألة ، ثم يدلي الحاضرون بآرائهم ، وقد يحتمل النقاش ، ويحتاج إلى تدخل بعضهم ، أو صاحب المنزل .

وقد تكون المسألة المطروحة نحوية ، أو لغوية ، أو أدبية ، أو أصولية ، أو فقهية . فهذه المجالس في الحقيقة دواوين علم ، ومجالس بحث وحوار ، ومعاهد تربية علمية واجتماعية ، وهي تكشف مستوى الطالب ، ومدى هضمه واستيعابه للمسألة التي يطرحها ، أو يشارك في نقاشها .

كما تكشف طريقة تفكير الطالب وأسلوب مناقشته ، ومدى منطقيته وعقله وتدينه ، عندما ينكشف له خطأه ويظهر له وجه الحق في المسألة .

وتكشف الطالب الشاذ الذي يعتبر البحث العلمي منازلة شخصية ، فلا يقنع بالرأي المخالف ، ويواصل الجدل الى حد المهاجمة والمراء ! فيعرفه الطلبة بذلك ويسجلون عليه في أنفسهم درجة سلبية ، بينما يحترمون الطالب المنصف الذي يصغي ويفهم ، ويقبل الحق عندما يظهر له .

كما تكشف عن نوعية أخرى من الطلبة والعلماء ، تراهم طول المجلس ساكتين يستمعون ، لكن إذا تكلم أحدهم سكت الجميع وأنصتوا ، لأنهم يعلمون أنه من الوزن الثقيل ، يتكلم بزبدة القول وفصل الخطاب !



**إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بعين الله !**

صحَّ الحديث عن النبي ﷺ بأنَّ المؤمن قد يتفرس وينظر بنور الله عز وجل ،  
فيري حوادث وأشياء من المستقبل ، ويخبر بها فتكون كما أخبر !

ففي الكافي: ٢١٨/١، عن الإمام الباقي عَلَيْهِ السَّلَام قال: « قال رسول الله عَلَيْهِ السَّلَام : إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل ». .

وفي عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَام: ٢١٦/١، عن الحسن بن جهم قال: « حضرت مجلس المؤمن يوماً وعنده علي بن موسى الرضا ، وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم فقال له: يا ابن رسول الله بأي شيء تصح الإمامة لدعيعها؟ قال بالنص والدليل. قال له: فدلالة الإمام فيما هي؟ قال: في العلم واستجابة الدعوة . قال: فما وجه إخباركم بما يكون؟ قال: ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله عَلَيْهِ السَّلَام . قال: فما وجه إخباركم بما في قلوب الناس؟ قال: أما بلغك قول رسول عَلَيْهِ السَّلَام : إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله. قال: بلى . قال: ما من مؤمن إلا وله فراسة ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصراته وعلمه ، وقد جمع الله في الأئمة ما فرق في جميع المؤمنين، قال عز وجل في حكم كتابه إن في ذلِكَ لآيَاتٍ لِمُتَوَسِّمٍ»

وقد رأيت أشخاصاً تفسروا فصحت فراستهم! منهم بدوي رأيته في النجف وكان حلو الحديث، يشع منه نور الإيمان ، يبيع الرطب والبازنجان في دكان صغير، وكنا بعد الدرس نشتري منه ونتحدث معه ، أنا وزميلي الشيخ عبد الإله الفقيه والشيخ سامي الفقيه ، فنظرلينا يوماً وقال مشيراً إلى عبد الإله:

«أنت ما تصير عالم» ، وينطقونها بفتح اللام ، ثم نظر الى الشيخ سامي ، وقال: «وأنت ما تصير عالم» ! ونظر اليّ وقال: أنت تصير عالماً كبيراً ، ويصلي خلفك ناس كثير...!

فتعجبنا ، وجادله الشيخ سامي ، فقال له جازماً: الأمر كما قلت لك .

وفي السنة التالية ذهبنا الى لبنان ، وقرر الشيخ عبد الإله أن يترك الحوزة ويذهب للعمل مع أخيه في سيراليون . وبعد عودتنا من الصيف كنا ندرس الكفاية عند آية الله الشيخ محمد تقى الفقىء رحمه الله ، ومررنا على البدوى فنظرلينا وتبسم وقال: أين صاحبكم، لقد ذهب وترك الدرس ، أليس كذلك؟ قلنا: نعم ، قال: نعم كما أخبرتكم . فقال له الشيخ سامي: أما أنا فلا أذهب وأصيير عالماً . قال: ما تصير! فقال له مازحاً: أنا سأواصل الدراسة وأصيير عالماً غصباً عليك ! فقال بهدوء وثقة: أنت ما تصير عالماً ، بل تذهب الى مكان بعيد ، وتفتح محل ساعات ، ثم تصير معلمًا .. الخ..!

وأكملنا مع الشيخ سامي الكفاية ، وفي السنة التالية ذهب الى لبنان فتزوج وعاد بأهله ، وكان البدوى إذا رأه قال: ها، مازلت هنا في النجف؟! ثم ذهب الشيخ سامي الى لبنان فحصلت له أمور ، قرر بسببها ترك النجف ، وذهب الى لييريا بأفريقيا ، ففتح محل ساعات !

وأخذت أبحث عن صاحبنا البدوى فلم أجده في دكانه عند خان المحضر- ، حتى رأيته يوماً قرب بيتنا فسلمت عليه فقال لي: أين صاحبك الذي كان

يجادلني ، لقد ذهب وترك الدرس ، أليس كذلك ؟ قلت له: نعم ، ودعوته إلى منزلنا ، ولما جلس قال: أعرف أنك تريد أن تسألني من أين تعرف ما أخبرتنا به؟ أنا ليس عندي كتاب ولا حساب لكنني أهذس ، أي أحذس ، وينطقوها باهاء أحس في قلبي بهذا الشيء ، فيكون كما أتصوره .

قلت له: حدثني عن أمور حدست بها . قال: كنت يوماً في هذا الدكان الذيرأيتني فيه، فهدست في قلبي أن بيتنا يحترق ، فأقفلت دكاني وذهبت إلى العباسيات ، فوجدت بيتنا في أول ما شبّت النار فيه ، فأطفأته .

فحسبت المدة التي يحتاجها حتى يصل من النجف إلى الكوفة ثم إلى بيته ، فكانت ثلاثة ساعات بالأقل ، وقد وصل أول ما اشتعلت النار في بيته !

**موجة الشيوعيين قلصت النزهة على شاطئ الفرات**  
يمر الفرات بالكوفة دون النجف ، لأن أرض النجف مرتفعة ، وتبعد عن الكوفة نحو عشرة كيلومتر ، وتسمى ظهر الكوفة ، ونهر الكوفة .

ويذهب طلبة الحوزة إلى الكوفة لزيارة مسجدها ومسجد السهلة القريب منها ، وزيارة قبرى مسلم بن عقيل وهانى بن عروة ، رضي الله عنهم .

كما يذهبون يومي الخميس والجمعة لقضاء عطلتهم في شاطئ الفرات ، تحت أشجار النخيل والطرقاء ، ببعضهم يطالع ، وبعضهم يسبح ، وبعضهم يتحدث أو يتباخت ، وبعضهم يأخذ عائلته وأطفاله معه .

وكنا الطلبة اللبنانيين ، نذهب في مجموعات يوم الجمعة ، وقد نذهب ليلة

الجمعة ، فنبت في مسجد الكوفة ، ونذهب صباحاً إلى الفرات .

وفي الفرات تعلمت السباحة ، أو أكملت ما تعلمته منها في شاطئ بيروت فقد كنت فيها سنتين ، أسكن في بيت أخي في محلة تلة الخياط ، وأدرس في محلة المصيطبة ، وأذهب معهم أحياناً إلى البحر في منطقة أربعاء أيووب عليه السلام .

وسَبَحْتُ في الفرات مرات ، وعبرته سباحةً مرة في الصيف ومرة في الشتاء ، لكنني لم أكن أهوى السباحة ، فقد صار الوقت عندي أغلى ، وكنت كثيراً ما أقتصر التعطيل بيوم الجمعة ، وأعمل كل يوم الخميس .

كما تلاشت عندي هواية استطلاع البراري، بسبب الوضع الأمني ، فقد بدأت الموجة الشيعية بعد دخولي النجف بقليل ، وكان الطلبة يتعرضون لمضايقات من الشيعيين ، وكانوا يتهموننا بأننا طبقة تخدم البرجوازية ! فلم نكن نتحرك إلا قليلاً ، وفي مجموعات .



## المنهج الدراسي في الحوزة

### ١- ثبات المنهج الدراسي في حوزاتنا

نلاحظ أن مناهج حوزاتنا العلمية ثابتة في مضمونها ، وإن تغيرت بعض كتبها ، فقد بدأت قبل أكثر من نصف قرن بدراسة مادتين لا أكثر: النحو والفقه ، لأن الأساس في منهج الحوزات دراسة اللغة العربية ، والشريعة . ودرست النحو بكتبه الثلاثة: قطر الندى ، وألفية ابن مالك ، ومعنى الليب ، وهي ثلاثة مراحل في النحو البسط ، والتفصيلي ، والعمق .

ودرست بعدها المنطق الصوري الأرسطي ، وهو تقوية لذهن الطالب في الدقة والتعقل والإستدلال ، يحتاجه في دراسته خاصة في الفقه وأصوله .  
والى جانب المنطق ، درسنا علم المعاني والبيان والبداع ، وهو علم يقوى ذهن الطالب في فهم الفصاحة والبلاغة والتراكيب العربية ، ويحتاج اليه الطالب في فهم نصوص القرآن والسنة ، والمتون العربية عموماً .

أما في الفقه فنبدأ بدراسة (الرسالة العملية) وهي فتاوى لأحد المراجع ، في أبواب الفقه المختلفة ، مجرد عن الإستدلال . ليعرف الطالب ما يحتاج اليه من أحكام الشريعة، ويعرف عموماً على أحكام العبادات والمعاملات.

ثم ندرس كتاب شرح اللمعة الدمشقية ، وهو فقه شبه استدلالي، يتعرف منه الطالب على شيء من مستندات فتاوى الفقهاء في أبواب الفقه المختلفة.

ثم ندرس مستوى ثالثاً من الفقه فيه استدلال عميق ، وأشهر كتبه: المكاسب المحرمة للشيخ الأنصاري رحمه الله .

ثم ندرس المرحلة العليا من الفقه: بحث الخارج ، أي خارج الكتب ، حيث يلقي المجتهد المسألة ويعرض الآراء فيها ، ويناقشها ويصل إلى نتيجة ، فيتعلم الطالب كيفية الإجتهاد واستنباط الحكم الشرعي .

أما أصول الفقه فهو أهم علم في تقوية ذهن الطالب وتكوين شخصيته العلمية ، ويعمله كيف يستدل ويستنبط الأحكام الفقهية ، لأنه بقسميه الأصول اللغوية والعملية ، بحوث تخصصية معمقة في قوانين دلالة الألفاظ والعبارة العربية ، منطوقاً ومفهوماً ، ثم في موقف الفقيه في حالة عدم وجود النص ، أو تعارض النصوص.. الخ.

وندرس أصول الفقه في حوزاتنا بثلاثة مستويات أيضاً:

الأول: باستدلال مختصر ، ويمثله كتاب أصول الفقه للشيخ المظفر رحمه الله .  
والثاني: أكثر تفصيلاً وعمقاً ، ويمثله كتاب فرائد الأصول أو الرسائل ، للشيخ الأنصاري ، وكتاب كفاية الأصول للاخوند الخراساني .

والمستوى الثالث: بحث الخارج أي خارج الكتاب ، حيث يلقي المجتهد المسألة الأصولية ويستعرض الآراء فيها ويناقشها ، فيتعلم الطالب كيفية الاستنباط والإجتهاد ، سواء في علم أصول الفقه ، أو علم الفقه نفسه .

إن كل ما تراه من عمق ونبوغ في علماء الشيعة ، يرجع الى دراستهم علم أصول الفقه ، فالذهن الذي يستطيع أن يشق طريقه في مسائله وتفرعياته الصعبة ، يستطيع أن يمشي في غيره بسهولة !

وينبغي الإشارة الى أن علم أصول الفقه يعاني ضموراً شديداً عند بقية المذاهب ، بسبب ضعف عملية الإجتهاد عندهم ، والبحوث المتعلقة بها .

أما المذهب الوهابي فلا يعرف مشايخه علم أصول الفقه أبداً ، ولا يحسن بالحاجة اليه ، لأن فتاواهم لا تقوم على تأصيل وقواعد ! بل على الإنقاء الكيفي من تفسيرهم الشخصي لآيات القرآن والحديث، وكلمات الفقهاء!

وبسبب واقعية هذا المنهج في حوزاتنا ، لم يتغير إلا بأن يحل كتاب مكان كتاب . وهذه خلاصة منهجه وضعه أحد مراجع النجف الكبار الشيخ البشير ، دام ظله:

« المستوى الأول: الأجرامية . تبصرة المتعلمين . عقائد الإمامية .

الثاني: قطر الندى أو هداية النحو . شرائع الإسلام ج ١. كتاب في الصرف . ميزان المنطق .

الثالث: شرح الألفية لابن الناظم . أو الكفاية لابن الحاجب . حاشية ملا عبد الله .  
شرح الشمسية . شرائع الإسلام ج ٢ . مطالعة منطق المظفر - القسم الثالث .

الرابع: مختصر المعاني . شرح الباب الحادي عشر . شرائع الإسلام ج ٣ و ٤  
الخامس: معالم الدين ويعقبه أصول المظفر أو ما يعادله مثل القوانين مطول . شرح التجريد . سلم العلوم .

السادس: شرح اللمعة الدمشقية. كفاية الأصول ج ١. رسائل الشيخ الأنصاري منظومة في المعقول . الكفاية ج ٢. مكاسب الشيخ الأنصاري .

مرحلة البحث الخارج: يحق للطالب بعد الفراغ من الكفاية ج ٢ حضور بحث الخارج في الأصول ، وبعد الفراغ من المكاسب بحث الخارج في الفقه .

ولا ينتقل الطالب إلى المرحلة التالية إلا بعد الفراغ من السابقة » . انتهى .

إن السبب في ثبات المنهج الدراسي في الحوزة قروناً طويلاً ، أن هدفه الإجتهاد في الكتاب والسنة ، والعلوم التي يتوقف عليها التفقه والإجتهاد محددة ، وفي أهلها علوم اللغة العربية ، وعلم أصول الفقه ، وعلم التفسير ، والحديث..الخ.

وهي علوم قطعت مراحل نموها وتطورها إلى حد كبير ، حتى اكتمل نضجها أو كاد ، فلا بد للطالب من أن يستوعبها ويتعمق فيها بدراسة كتبها المعتمدة في الحوزة ، ومطالعة مصادرها الأخرى .

## ٢- الدراسة الحلقية وحرية الطالب والأستاذ

من ميزات المنهج الدراسي في حوزاتنا: الدراسة الحلقية ، ويرجع تاريخها إلى تخلق المسلمين حول النبي ﷺ ثم حول الأئمة علیهم السلام والرواة .

وسرعان ما تحول المسلمون إلى طلبة علم ومعلمين ، وتحولت مساجدهم إلى حلقات للدراسة .

بل إن الدراسة الحلقية هي الدراسة الطبيعية عند كل الأمم، على يد الأنبياء والأوصياء علیهم السلام والعلماء ، والفلسفه ، والأطباء ، وعلماء الطبيعة . فقد كانت الدراسات في العالم كله بالنظام الحلقى، حيث يتحقق التلاميذ حول أستاذهم .

وقد كتب ذلك الباحثون عن أنظمة التعليم عند الأمم والحضارات القديمة ، المصرية ، والإغريقية ، والهندية ، والفارسية ، فقد كان الأستاذ هو المحور ، وحلقة درسه هي المدرسة ، وإجازته هي الشهادة. (راجع قصة المضمار ، تأليف ول

ديورانت: ١٧١ و ٣٢٩ و ٤٦٠ و ٣٤ و ٥: ٣٦٣).

وتتشكل حلقة الدرس في حوزاتنا ، عندما يطلب بعض الطلاب من أستاذ درساً ، ويعينون مكاناً ، مسجداً أو مدرسة أو غيرهما .

ويُعلن عادة في الحوزة في أول السنة الدراسية ، عن حلقات الدروس وأوقاتها ، فيختار الطالب الأستاذ الذي يريده ، ويحضر في حلقة درسه .

فالطالب يختار المادة والأستاذ ، والأستاذ يختار الطالب فيحضر- بإجازته ، أو يعتذر منه فيمنعه من الحضور. بينما لا يتيسر ذلك في الجامعات المعاصرة. وينبغي التحذير من اتجاه جديد في حوزاتنا، يتخيّل أصحابه أنهم يخدمون الحوزة ويطورونها إلى الأحسن ، بأن يجعلوها شبيهة بكليات الجامعات العصرية ! فتراهم يمتحنون الطلبة للقبول ، ثم يعينون لهم المواد والمدرسين ، وساعات الدوام ، والإمتحانات .

ويجعلون دراسة الطالب للمرحلة الأولى أربع سنوات مثلاً ، ويقسمون موادها على وحدات دراسية ، كالجامعة العصرية الغربية .

يتصورون أنهم بهذا يخدمون الحوزة وطالب العلم ، ولكنهم يصادرون حرية الطالب والأستاذ ، ويساودون بين الطالب الذكي والغبي ، والمجدد والكسول ، ويجعلون الإنتاج الطبيعي في التعليم إلى إنتاج صناعي !

فالوضع الصحيح للحوزة أن يجتاز الطالب امتحان القبول ، ثم يعطى الحرية ليختار الأستاذ والمادة ، ولا يلزم إلا بما يشجعه على استيعاب الدرس كالمباحثة ، وكتابة بعض الدروس ، والتدرис ، ومجالس المذاكرة ، وامتحان آخر السنة ، الذي يشمل المواد التي قد يختارها الطالب.

### ٣- نظام المباحثة بين الطلبة

من مزايا الدراسة في حوزاتنا: المباحثة . فالطالب لا يكتفي بسماع الدرس من الأستاذ ، بل يتباحث فيه مع زملائه. وقد يكون البحث بين اثنين أو أكثر ، فيتولى الشرح كل يوم أحدهم ويستمع له الآخرون ويشكلون عليه. ومن فوائدها: أنها تركز المادة في ذهن الطالب ، خاصة إذا كان البحث قريباً من زمان أخذ الدرس . وأنها تدرب الطالب على التدرис ، فكل طالب يكون معيداً . ومن فوائدها ، أنها تبني قدرة الطالب على الدفاع عن معلومته ، في مجالس المذاكرة ، وفي كتاباته ، وفي عمله التبلغي .

### ٤- كتابة الطالب لدروسه

يُلزم بعض الأساتذة تلاميذهم بكتابة الدرس ، ويرى كتابته قبل الدرس الثاني ، كما كان يفعل أستاذنا رحمه الله ، ويصححها ، أو يذكر ملاحظاته عليها. والدروس التي تُكتب هي التي يحتاج الطالب إلى جهد لتركيزها في ذهنه ، فيكتب ما فهمه من الدرس بتعبيره هو ، بدون التقيد بعبارة الكتاب . ويطلب عادة كتابة درس النحو ، والمنطق ، والأصول ، والفقه الإستدلالي

دون الفقه المجرد .

ولكتابة الدرس فوائد كثيرة ، منها ترسیخه في الذهن ، لأن الطالب يحتاج عادة إلى قراءة الدرس بدقة ليكتب ما فهمه منه ، ويحرص على كتابته بعد درس الأستاذ بفاصلة قصيرة ، ليتذكر شرحه ، ويكتب ما فهمه منه .

ومن فوائد كتابة الدرس ، ترين الطالب على كتابة الموضوعات ، فهو يتعلم ما ينفعه في كتابة المقالة ، وقد يتعلم ما ينفعه في التأليف .

#### ٥- لماذا لا تأخذ الجامعات العصرية بنظام الإجازات ؟

من ميزات منهج حوزاتنا: نظام الإجازات في شهاداتها ، وهو أصح من نظام الشهادات المتبعة في الجامعات العاصرة .

أعتقد أنا لو أرِينا الجامعات الغربية محسن نظامنا الحوزوي ، لأعجبوا به ، وطبقوه على عدد من جامعتهم .

وقد قرأت أن بعض الجامعات الأمريكية بدأت بتطبيق نظام الإجازات ، فالأستاذ يقبل في الهندسة مثلاً ثلاثين طالباً ، ويعمل معهم نظرياً وعملياً ، كمجموعة في حوزة هندسية ، ثم يحيى من ينجح منهم .

إن الجامعات العالمية المعاصرة تشكو من انخفاض المستوى العلمي في كل فروعها ، سواء فروع العلوم الإنسانية ، أو العلوم الطبيعية .

وتحاول بعض الجامعات معالجة هذه المشكلة بتكوين مجموعات علمية ، كل مجموعة منها بإشراف أستاذ متضلع ، أو تؤسس مراكز علمية تخصصية بإدارة

أستاذ معروف مشهود له .

وهذا يعني أنهم توصلوا عملياً إلى ما يشبه نظام الإجازة في حوزاتنا !

إن أهم هدف للمؤسسة العلمية: تربية الكادر العلمي أو الكفاءة العلمية فإذا وُجِدَتْ في علم من العلوم ، فقد وجدت الحوزة العلمية في ذلك العلم فهـي حجر الأساس لأي نهوض علمي ، في الحوزات أو الجامعات .

وقد كانت الأمة الإسلامية تعرف قيمة هؤلاء العلماء الأكفاء ، فكان العالم في الفقه أو الحديث أو الطب هو الحوزة أينما حل وارتحل ، يقصده الطلاب، ويمدهم الحاكم والممولون ويدرسون عنده ويتخرجون على يده .

ولا شك أن نظام الدراسة الطبيعي في الحوزة ، أكثر قدرةً على تربية الكادر العلمي من نظام الدراسة في الجامعات الغربية .

ويكفي أن نعرف أن طالب الحوزة يفكر في المادة العلمية أربع مرات أكثر من طالب الجامعة ! فهو يسمعه من الأستاذ ، ثم يكتبه ، ثم يتباحث فيه مع زملائه ، ثم <sup>يُدَرِّسُهُ</sup> ، وربما يذاكره في المجالس ، فيكون مرة خامسة .

والقضية الأساسية في العلم والتجزئة والتحليل إنما هي: المادة التي يحتضن فيها ذهنك المسألة ويعيشها ، ثم كيف يتناولها ويعامل معها .

#### ٦- أيهما أفضل كثرة المواد أم قلتها ؟

يعترض بعضهم على المنهج الدراسي في الحوزة بقلة مواده ، وبعد استكمال أدبيات اللغة العربية ، والمنطق ، يكاد ينحصر المنهج في الفقه والأصول ، فترى

البحوث العالية (بحوث الخارج) تتركز على الفقه وأصوله ، وقد توجد بحوث في التفسير والحديث والعقائد.. لكنها قليلة.

يقول المعارضون: أين علوم القرآن وقراءاته وتفسيره ، وعلوم الحديث ، من الدراسة ، ورجال الحديث ، والنقد والتجريح ؟

أين علوم العقيدة ، أصولها وفروعها ، والبحوث المقارنة بين الإسلام وغيره ، وتعليم الطالب رد الشبهات التي تثار على الإسلام وعقائده ؟

أين علم السيرة ، وعلوم تاريخ الإسلام ، وعلوم الأدب والشعر ؟ وأين اللغات التي يحتاجها العالم للتبلیغ ، أو للرجوع إلى المصادر المكتوبة فيها ؟ وأين تعلم الطالب أوضاع عصرنا من فكر وسياسة .. وأين .. وأين ؟ !

ويخضع بعض واضعي المناهج لهذه التساؤلات ، فيقولون: نعم إن هذه العلوم لازمة لطالب العلم ، فيدخلون في برامجهم أقصى- ما يستطيعون من موادها ، ثم يرون أنها صارت أكثر من الوقت ، فيقلللون من حصصها !

ثم يرون أن الوقت لا يكفي للكتب الواافية فيها ، فيختارون كتاباً خفيفاً أو يتركون الأمر لاختيار الأستاذ حسب فهمه وسلبيته ، أو يكلفون أستاذًا ليضع في المادة كراساً ينتخبه ويسمونها خلاصات أو لباباً وما هي بباب !

ثم يفتخر واضعوا هذا النوع من البرامج بأنهم يدرّسون طلابهم عشرة علوم ، لكن الواقع أن يُشتمونهم رائحة هذه العلوم ، كمن يُشمُّ رائحة شواء من بعيد ! وكثيراً ما يكون شواؤهم محروقاً !

ثم يزيدون على الطالب ساعات الحضور لإكمال المواد ، فيغضّ فيها الطالب .

وقد عَبَرَ أحد الطلبة عن هذا المنهج بأن الإدارة تعاملهم كأنهم بُطْ مصرِي !

قال: رأيت بعض النساء في مصر تحشو الحبوب في فم البطة بالقوه لكي تسمن ،

وهؤلاء يخشون المواد في رؤوسنا بالقوه لنصير علماء !

وقال طالب آخر: ملؤوا البرنامج بالممواد ، وهيئوا من كل مادة قطعة ،

وألزمونا بست ساعات من الدوام ، وقد يضيفون ساعتين بعد الظهر ، وجعلوا

الإمتحان تلو الإمتحان ، فلا وقت لنا للمطالعة ، ولا للمباحثة ! فكيف

نستوعب المواد ونحن نركض ركضاً ، وأعصابنا متوترة ؟ !

قد تقول: على هذا يبقى السؤال: كيف نلبي حاجة الطالب من هذه المواد ؟

والجواب: أنه لا حلّ إلا بأن نُنْفُوي قدرة الطالب الذهنية والفكرية والعقلية

ليتمكن هو من تحصيل ما يحتاج اليه من هذه العلوم ، ولن نجد ما يقوى

قدراته مثل علم الفقه ، وأصول الفقه ، بعد أن يتقن اللغة العربية .

فأيُّ طالب يستوعب بحوث علم أصول الفقه ، ويستطيع أن يشرحها ويدافع

عن نظرياتها ، يستطيع بجهده الشخصي أن يكون عالماً ، في أي فرع من العلوم

المذكورة .

إن تركيز منهج الحوزة على علم أصول الفقه ، يعني حرص علمائنا على أن

يبذل الطالب جهداً ليملك مفتاحاً إلى العلوم المذكورة وغيرها . وهذا أصح من

محاولة حشوها في رأسه ، أو تشيممه رائحتها !

وقد تقول: فمتى وكيف يحصل الطالب على ما يحتاج اليه من هذه العلوم ؟  
والجواب: أنها علوم تخصصية أو شبه تخصصية ، بعضها يحصل عليه الطالب  
بعد تضلعه في علم الأصول ، بجهده الشخصي بدون أستاذ . وبعضها يحتاج  
إلى أستاذ ، والعديد منها لها أستاذة في الحوزة ، وهم من قديم يُنْجِرُّون طلبتهم  
فيها ، بأساليبهم المتعددة .

والنتيجة: أن تقليل المواد لطالب العلم حاجة منطقية ، ليستوعبها ويعايشها ويتعمق  
فيها ، وأن التركيز على أدبيات اللغة العربية والمنطق والفقه وأصوله صحيح أيضاً ،  
ليملك الطالب القدرة على التخصصات الالزمة .

لقد نسي حبوا البرامج المحسودة ، أن النمو العلمي لا يتحقق بكبس المواد في الذهن  
، وأن القليل القار خير من الكثير الفار ، وأن مهمتهم ليست أن ينْجِرُّوا طلاباً ملمين  
بعدة علوم ، شكلاً بدون مضمون ، بل تخريج متخصصين في علم يعطيهم القدرة على  
التخصص في علوم أخرى !

ورحم الله الشيخ البهائي القائل: غلبتُ كل ذي فنون ، وغلبني كل ذي فن !

#### ٧- محاولات تحديث متون الدراسية

في الحوزة متون مقررة للتدرис ، في النحو ، والمنطق ، والحديث ، والفقه  
والأصول ، يتعصب لها بعض الأساتذة والطلبة لإعجابهم بها وأفتقهم لها ،  
وينتقدوها البعض ، ويطالبون باستبدالها بكتب أكثر عصرية .

ولا يهانع المراجع والعلماء في تبني متون درسية جديدة ، إذا كانت أفضل من  
الكتب الفعلية ، ولكن إشكالهم على الكتب المقترحة بأنها لا تتوفر فيها الشروط

، فالمتن الدراسي له مواصفات في عبارته ومطلبها ، فيجب أن يكون مطلبها علمياً قوياً ، وعباراته فصيحة بلاغية لا خلل فيها ، ولا تطويل .

وقد ألف بعضهم كتاباً لهذا الغرض ، ومن أو لهم الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله فقد ألف كتاب المنطق ، وأصول الفقه .

وألف السيد الصدر رحمه الله كتاب دروس في علم أصول الفقه ، جعله بثلاث حلقات ، لثلاثة مستويات .

وارتضى بعضهم كتاب النحو الواضح للشيخ علي الجارم ، وهو أزهري كان كبير المفتشين في وزارة المعارف المصرية ، توفي سنة ١٩٤٩ م. وشاركه في التأليف مصطفى أمين وهو كاتب وصحفي مصرى ، توفي سنة ١٩٩٧ م.

وقد تبنت بعض مدارس الحوزة تدريس هذه الكتب ، بدل الكتب التقليدية ، ونجح بعضها ، وبعضها لم ينجح .

والحاصل: أنه ما زالت كتب المقدمات في اللغة هي السائدة من زمن طويل ، كالإجرامية للصنهاجي المشهور بابن آجروم ، وشرح قطر الندى ومعنى الببيب ، وكلاهما لابن هشام الأنصاري ، وألفية ابن مالك .

وفي المعاني والبيان: مختصر المعاني لفتنازاني . وقد تدرس قبله أو بدله بعض الكتب الجديدة ، وأكثرها تأليف علماء مصريين .

وفي المنطق: يدرس كثيرون كتاب المنطق للمظفر ، ويدرسون معه أو بدله حاشية ملا عبد الله اليزدي على تهذيب المنطق لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ). وشرح الرسالة الشمسية: لقطب الدين الرازمي (ت ٧٦٦هـ).

وفي الفقه ما زالت الكتب السائدة في المنهج بدون منافس: كتاب شرح اللمعة الدمشقية للشهيدين ، وكتاب شرائع الإسلام للمحقق الحلي ، وكتاب المكاسب للشيخ الأنصاري رحمه الله.

أما في أصول الفقه ، فما زال كتاب الكفاية للمحقق الخراساني ، وكتاب فرائد الأصول المعروف باسم الرسائل للشيخ الأنصاري ، هما السائدان ويدرس بعضهم كتاب السيد الصدر رحمه الله ، المعروف بالحلقات .

والنتيجة: أن الكتاب الدراسي في الحوزة يخضع إلى حد كبير لقانون الانتخاب الطبيعي، ويجب أن يبقى خاضعاً لهذا القانون ، وأن يترك اختيار الكتاب إلى الطالب والأستاذ ، ولا يفرض عليهما كما تفعل بعض المدارس.

فالكتب المقررة في منهج الحوزة ليست قرآنًا منزلًا ، لكن لا يجوز الإستعجال في استبدالها ، فإن العاقل لا يترك كتاباً ثبت جدارته وربى أجیالاً من العلماء ، إلى كتاب بديل لم يثبت نجاحه !

إن تحديد مناهج الحوزة واستبدال الكتب المقررة ، مبدأً مهمًّا يتنااسب مع طبيعة مذهبنا في فتح باب الإجتهاد وعدم جواز إغلاقه .

لكن لا بد أن يوضع لبابه المفتوح شروط ، كما أن للإجتهاد شروطاً . ومنها أن

يثبت الكتاب نجاحه عملياً بدرجة أفضل من الكتاب المستبدل . فيجرب تدريسه على عدد محدود من الطلبة ، ويطلب من الأستاذ والتلاميذ تسجيل نقاط قوته وضعفه . لتدرس من قبل العلماء.. الخ.

كما يجب أن نعرف قيمة المتون المميزة ، التي رَبَّتْ أجيالاً من الطلبة والعلماء ، ككتب ابن هشام الأنصارى في العربية ، وكتاب شرائع الإسلام وشرح اللمعة في الفقه ، وكفاية الأصول والرسائل والمكاسب ...

وأختم بما سمعته من الشيخ المتضري من أن بعض العلماء طلبوا من المرجع الكبير السيد البروجردي رحمه الله أن يؤلف كتاباً في الفقه بدل الشرائع ، ليكون عليه مدار البحث في الحوزات ، فسكت ولم يجب ، ثم أعادوا عليه في مجلس آخر ، فقال للمتكلم: ماذا تقول؟! أنتم لا تعرفون قيمة كتاب الشرائع! أنا لا أستطيع أن أكتب سطراً بمستوى كتاب الشرائع!

وصدق المثل القائل: لا يُعرف الفضل إلا ذووه !

#### ٨- لماذا عارض أكثر العلماء تأسيس كلية الفقه؟

تعرف المعاهد والمدارس والحواضر العلمية الدينية عند الشيعة باسم: الحوزات العلمية ، بمعنى المجموعة العلمية ، لأنها من حاز حِيزاً وحوزة ، وفي الحديث النبوى: حَوْزَةُ الْإِسْلَامِ ، أي بيضته وأصله . وتأقى الحوزة بمعنى الناحية والدائرة والذمة والذمار . (لسان العرب: ٣٤٢ / ٥، الصحاح: ٨٧٦ / ٣).

وتميز الحوزات العلمية الشيعية عن مثيلاتها من المؤسسات الدينية الإسلامية ،

وعن الجامعات العصرية ، بأمور:

الأول: استقلالها السياسي والمالي . لأن ماليتها من الأختام والزكوات والتبرعات ، التي يدفعها جمهور الشيعة في العالم إلى مرجع التقليد ، الذي يعتقدون أنه الأفقه من بين العلماء المعاصرين .

وقد حاولت الدول قديماً وحديثاً تغيير عقيدة الشيعة ، وتحويل استلام الحقوق الشرعية إلى وزارات أو هيئات ، فلم تنجح ، لأن الحكم الشرعي أن يعطي المكلف الحقوق التي في ذمته إلى مرجع تقليده الذي يثق به .

الأمر الثاني من ميزات حوزاتنا: منهاجها الدراسي كما تقدم ، وهو يحفظ إلى حد كبير حرية اختيار الأستاذ والتلميذ ، بعكس الجامعات العصرية .

وقد تمسك المراجع بهذا المنهج ، لأنه أكثر واقعية ، ولأنه الطريقة الحلقية الأصيلة ، المتصلة بحلقات دروس النبي ﷺ والأئمة الراشدين علیهم السلام وتلاميذهم ، والسلف الصالح من علمائنا .

الثالث: تميز الحوزة بنظام الإجازات الإسلامي ، وهو أفضل من نظام الشهادات في الجامعات العصرية ، لأنه يقوم على معايشة علمية أكثر للأستاذ مع تلاميذه ، ومعايشة الطلاب للمواد بنظام المباحثة وغيره .

ويشمل نظام الإجازة العلمية من كبار العلماء أنواع الإجازات ، كإجازة الإجتهاد ، وإجازة الرواية ، والإجازة الوظيفية ، كإجازة القضاء ، وإجازة الوكالة عن المرجع ، وإجازة التبليغ ، وإماماة الجماعة وال الجمعة .. إلخ.

وقد طرح بعضهم مشاريع لتحديث الحوزة وتطويرها ، في المنهج الدراسي والإدارة ، وواجهها المراجع وكبار العلماء بالتحفظ أو الرفض ، ومن ذلك مشروع كلية الفقه ، الذي تبناه بعض العلماء المحترمين ، وعملوا له حتى تم تأسيس كلية الفقه في النجف ، وافتتحت سنة ١٩٥٩ ميلادية .

وكان من المبررات التي طرحتها أصحاب مشاريع التحديث: أن الحوزة العلمية يجب أن تساير العصر وتلبي حاجاته ، وتدرس علوماً أخرى كعلم النفس والإجتماع والتاريخ والسياسة ، مع الفقه والأصول .

وكان المرجع السيد الحكيم رحمه الله وغيره من المراجع لا يجدون ذلك خوفاً من تحويل الحوزة إلى كليات ! وكان معهم الطلبة التقليديون ، بل كنا ننظر إلى من يناصر مشروع كلية الفقه بأنه متاثر بالأفكار العصرية ، ولذلك رفضنا التسجيل فيها ، بل نهينا الكثيرين عن ذلك .

وبسبب معارضة هؤلاء المراجع لتحويل الحوزة إلى جامعات وكليات:  
أولاً: خوفهم من مصادرة الدولة للحوزة وتحويلها إلى جامعة عادية تابعة للدولة ، كما حدث لجامعة الأزهر في مصر ، والزيتونة في تونس ، والقرويين ، التي صارت كليات ، باسم أصول الدين ، والشريعة.. إلخ.

ثانياً: خوفهم من استبدال التعمق العلمي الحوزوي ، بسطحية المعاهد والكليات المنتشرة في العالم الإسلامي .

ثالثاً: خوفهم من تسييس الحوزة ، وسيطرة الدولة عليها ، أي دولة ، حتى لو

كانت دولة شيعية .

رابعاً: يعتبر الفقهاء أن أصل مهمة الحوزات ضمان وجود مبلغين للدين من خطباء وعلماء . وجود مجتهدين على مستويات عالية ، يكون منهم مرجع التقليد الذي يقتضي بأعلميته عموم الشيعة .

بينما تطرح هذه المشاريع إضافة علوم أخرى للحوزة ، والتقليل من التركيز على الفقه وأصوله ، الأمر الذي يشعرون معه أنه انحراف بالحوزة عن هدفها ، وصرف الطلبة عن التعمق الضروري في الفقه وأصوله .

خامساً: لأنهم يرون أن مواد المناهج المقترحة ضعيفة ، لا تصل إلى مستوى المواد المقررة في الحوزة ، سواء في أدبيات اللغة والمنطق والبلاغة ، والفقه وأصوله . وأن من شأنها أن تربى طلاباً سطحيين ، ليس لهم أهلية الإجتهداد ولا الكفاءات العلمية الأخرى .



## نقاط عن المؤسسة الدينية الشيعية

### ١- لحة عن المؤسسة الدينية الشيعية

يتكون الجهاز الديني الشيعي ، أو ما يعبر عنه ب المؤسسة الدينية الشيعية ، من المرجعية العليا للشيعة في العالم ، وكبار علماء الحوزة ، وألوف طلبتها ، وعلماء المناطق والبلاد التي يسكنها الشيعة ، والحوزات العلمية التابعة لهم. ويبلغ عدد هذا الجهاز في العالم نحو مئه ألف (رجل دين) .

وإذا قايسناه بالأجهزة الدينية الأخرى لأتباع المذاهب السنوية ، وجهاز الدين اليهودي ، وأجهزة المذاهب المسيحية ، لوجدناه يمتاز عن غيره بثلاث ميزات: استقلاله السياسي ، والمالي ، واستمرار وجوده عبر العصور الى اليوم . فهو الجهاز الديني الوحيد الذي حافظ على حياته وفاعليته من عهد الأئمة الأطهار عليهما السلام الى عصرنا الحاضر ، واستعصى على الإبادة والخضوع ، وقاوم أحداث الدهور ، وصروف الزمان !

فجهاز الحاخامات مثلاً خضع في تاريخه وحاضره للحكام ، ولزعماء بنى اسرائيل ، حتى فقد الكثير من مصداقيته ، حتى عند اليهود أنفسهم . وأضعف منه الجهاز الكنسي الذي تحمل أوزار الحكم البابوي في القرون الوسطى ، فثار عليه جمهوره ، وسجنه في قفص الفاتيكان والكنيسة .

أما الأجهزة الدينية للمذاهب السنوية ، من أزهر مصر-، وجامع الزيتونة ، وجامعة القرويين ، ومشيخات الصوفية في العالم الإسلامي ، ومشيخة الإسلام في استانبول ، فلم تصمد أمام الغزو الغربي ، فقدت نفوذها وصارت مؤسسات بيد الحكومات ، وصار علماؤها موظفين !

بينما قاوم الجهاز الديني الشيعي فحافظ على استقلاله ، حتى في مقابل الحاكم الشيعي ! لذلك يفتخر الإنسان الشيعي بأن مرجعيته وجهازه الديني هو الإستثناء الوحيد بين الأجهزة الدينية ، الذي حفظ استقلاله عبر العصور ، وواصل فاعليته لخير طائفته وعامة المسلمين ، معتمداً على صمود مراجعه وعلمائه ، وتمويل متدينين الشيعة وأخيارهم .

## ٢- أنواع طلبة الحوزة واتجاهاتهم

يلغى عدد طلبة الحوزة في النجف وقُم الوفاً كثيرة ، ويترافق عدددهم أو يقل حسب ظروف المجتمع والحوزة . وتوجد حوزات صغيرة ومتوسطة في أكثر البلاد التي فيها شيعة .

ويعيش الطلبة العزاب في مدارس داخلية ، والمتأهلون في بيوت في أحياء المدينة ، وتوجد مجتمعات سكنية خاصة للطلبة ، تستوعب جزءاً منهم . ومن طلبة الحوزة من يعمل في التبليغ في المدن والأرياف ، فيذهب في عطلة الخميس والجمعة ، ويدرس في بقية الأيام .

أما في العطل والمناسبات الدينية ، فينتشر أكثرهم للتبلیغ في البلاد ، خاصة في

شهر رمضان ومحرم ، فيعملون في تدريس الأحكام ، وإماماة الصلاة ، وقراءة مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام وبقية الفعاليات الدينية .

وطلبة الحوزة مجتمع واسع ، تتنوع بلدانهم وأعراقهم وشخصياتهم ، وتفاوت مستوياتهم ، الفكرية والثقافية والروحية . فلا يصح النظر إليهم وكأنهم نوع واحد ، وكأنهم إخوة لأب وأم !

نعم ، إن الحوزة تصوغ شخصية الطالب وتطبعها بطبعها الفكري والروحي ، لكن تبقى صفاته الذاتية وإرادته في أن ينطبع بفكر الحوزة وروحيتها ، كثيراً أو قليلاً . بل قابلية لذلك .

إن وحدة الزي والمركز العلمي والمذهب ، قاسم مشترك بين طلبة الحوزة وعلمائها ، لكنها وحدة تتسع للتنوع بينهم ، إلى حد التضاد أحياناً . وفيما يلي تقسيم عام لطلبة حوزة النجف عندما كنت فيها:

١ - الطلبة التقليديون ، الذين يغلب عليهم الإهتمام بالدراسة أكثر من غيرها ، وينتقدون مشاريع العصرنة السياسية أو الثقافية ، ويتبعون المراجع والعلماء ، ويعتبرون أنفسهم الإمتداد الصحيح لمذهب أهل البيت عليهم السلام ولرواته وعلمائه وجمهوره . وكانت أنا وأمثالني نصف من هؤلاء .

٢ - المعجبون بعصرنا ثقافياً ، وهم مغرمون بالأدب والشعر ، والكتب الحديثة والمجلات والجرائد . منفتحون على الغرب ، وينتقدون التخلف في بلادنا ، ويدعون لأن تحول الحوزة إلى جامعة كالجامعات العصرية .

**٣- المعجبون بعصرنا سياسياً** ، مضافاً إلى إعجابهم الثقافي ، وهم يؤيدون تيارات سياسية ، أو زعماء سياسيين ، وبعضهم يرتبط بهم ! فقد كان في الحوزة طلبة قوميون يؤيدون جمال عبد الناصر ، وكانوا كثرة نسبياً ، ومنهم من يرتبط بجهات سياسية ناصرية .

كما كان فيها أفراد يميلون إلى الشيعيين ، ويهاجرون المرجعية بحججة سوء نفقاتها ، وكانوا ينشرون الشائعات الكاذبة والخيالية عن إنفاقات المرجعية ! وكان في الحوزة أفراد قليلون يؤيدون البعثيين ، وبعضهم ذهب لاستقبال ميشيل عفلق في مطار بغداد !

**٤- الطلبة المهتمون بالسياسة الحوزوية** ، فهم يهتمون بأخبار الماجع وكبار العلماء ، وزوار الحوزة من شخصيات سياسية وعلمية ، وموافق الحوزة من الحكومة والعكس ، ويهتمون بأوضاع الطلبة وأخبارهم . وهؤلاء مستويات ، وفيهم شخصيات من أبناء الأسر العلمية وكبار العلماء ، وأفضلهم الذين يعتزون بالحوزة والمرجعية ، ويعيشون العصبة النجفية باعتبارها مركز الحوزة العلمية ، وبلد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام .

**٥- أهل العبادة والعرفان والتصوف** ، وهم طلبة يعيشون قبل هم الدرس والتدريس ، هم معرفة الله تعالى وجihad النفس وتربيتها ، ويمضون أكثر وقتهم في العبادة في حرم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام أو الكوفة وكربلاء . وهم أنواع واتجاهات ، فمنهم ملتزمون بشيخ يسمونه أستاذ أخلاق ، أو

أستاذ سلوك ، وبعضهم يغالي في أستاذته وينقل له معجزات . وبعضهم لا يتقييد بشيخ ، بل يهتم بتطبيق مفاهيمه عن المعرفة والعبادة ، والدعوة إليها ونشرها بين الطلبة .

وبعضهم يتخذ هذا الإتجاه حزبًا له يتغصب له ، وينتقد غيره . وبعضهم يتخذ كطريق لتهذيب نفسه ، ولا يرتكب توبیخ الآخرين .

وهم منقسمون بين منهجين مختلفين إلى حد التضاد ، أو التناقض: فبعضهم يميل إلى قمع النفس لأنها العدو الأول ، ويدعو إلى تربيتها بجهادها والخذر منها ، ومنعها من المحرمات والشهوات المحللة ، إلا قليلاً . وهذا النوع عادة من النوع الجاد المتشدد .

وبعضهم يميل إلى تكميل النفس بمدح طاقاتها العظيمة ، التي أودعها الله تعالى فيها ، فيدعوا إلى تنميتها وترقيتها حتى تبلغ مستوىً عالياً من العبودية والقرب من الله تعالى ، بل تصل إلى الفناء فيه عز وجل! وأصحاب هذا الإتجاه من المعجبين بالفلسفة اليونانية والصوفية الفارسية .

وفي كلا الإتجاهين إيجابيات وسلبيات ، وينبغي التنبيه على سلبية العنف والقسوة في الإتجاه الأول ، وإغراء الطالب بالذاتية في الإتجاه الثاني وتضليله بأنه يسير في مراحل التكامل حتى يصل إلى مقام الفناء في الله تعالى ، ويبلغ بهم الغلو أنهم يصادرون بعض صفات الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم ، ويخلعنها على شخص لم يتصر على نفسه في أداء الواجبات وترك المحرمات

والشبهات ، وترك الدنيا الحرام ومغرياتها !

٦- الهامشيون ، وهم طلبة علم بالإسم لكنهم عاديون جداً . مُتهمون بطلب العلم وهم منه براء براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام ، فترى أحدهم لا يُتعب نفسه في درس ولا بحث ولا فتح كتاب ومطالعته ! ليس في العير من العلم ولا النفير، لكنهم حاضر دائمًا ، في أول عير الحوزة وأخر نفيرها !

وينبغي الإلتفات إلى أن هذه الأقسام التي ذكرناها ، لا تستوعب كل أنواع الطلبة في الحوزة . كما لا يتسع المجال لوصفهم وعرض أفكارهم .

○ ○

### ٣- الخريطة الشيعية لبناء رجل الدين

من الكتب الفريدة في توجيه الطالب والأستاذ ، التي تستحق التعميم على جامعات العالم وتدريسها ، كتاب: منية المريد في أدب المفید والمستفید ، الذي ألفه الشيخ زین الدين الجبعي ، المعروف بالشهید الثانی عليهما السلام ، ويقع الكتاب في نحو ٣٠٠ صفحة ، ويعتبر هو البرنامج ، وخطة العمل ، والخريطة الشرعية ، لبناء شخصية الطالب ، والأستاذ ، والباحث ، والمناظر ، والمؤلف ، لتحقيق النموذج الكامل لهذه الشخصيات .

وقد بحث المؤلف عليهما السلام الموضوعات التي يحتاج إليها هؤلاء ، في أكثر من ٢٠٠ عنواناً ، على ضوء آيات القرآن ، وأحاديث النبي وأهل بيته عليهما السلام . ونورد فيما يلي خلاصةً لفهرس موضوعاته:

### مقدمة في فضل العلم من الكتاب والسنّة والأثر ودليل العقل

#### في آداب المعلم والمتعلم:

- إخلاص النية لله تعالى في طلب العلم وبذله .
- في الغرور في طلب العلم والمغتربين من أهل العلم .
- حسن الخلق والتواضع ، و تمام الرفق وبذل الوعس .
- عفة النفس ، والإنتباذ عن الملوك وأهل الدنيا .
- الإجتهاد في الإشتغال ، قراءةً ومطالعةً وغيرهما .
- عدم المراء والسؤال تعتنًا وتعجيزاً .
- عدم الاستنكاف من التعلم من هو دونه .
- الإنقياد للحق بالرجوع عند المفهوة .
- عدم حضور مجلس الدرس إلا متظهراً من الحديث والخبر .

#### آداب يختص بها المعلم:

- عدم الإنصاف للتدرис حتى تكمل أهليته .
- عدم الإمتاع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية .
- بذل العلم عند وجود المستحق ، وعدم البخل به .

#### آداب المعلم مع طلبه:

- ترغيبهم في العلم ، وتذكيرهم بفضائله ، وفضائل العلماء .
- حبه لهم ما يحب لنفسه ، وكراهته لهم ما يكره لنفسه .
- استعلام أسماء طلبه ، وأنسابهم وكناهم .

تحريضهم على الإشتغال ، ومطالبتهم بإعادة محفوظاتهم .

طرح مستفاد المسائل الدقيقة لهم ، واختبار أفهمهم .

#### آداب المعلم في درسه:

عدم الخروج إلى الدرس إلا كاملاً الأبهة .

الجلوس بسکينة ووقار ، وتواضع وخشوع وإطراف .

تفهيم الدرس بأيسر الطرق ، وأعذب ما يمكنه من الألفاظ .

عدم تطويل مجلسه طويلاً ملأاً ، وتقصيره تقصيراً مخلاً .

وأن يزجر من تعدد في بحثه ، أو ظهر منه ترك إنصاف .

الإرافق بهم في خطابهم ، وسماع سؤاهم .

نصلب نقبيطَ نِ كِيسٍ لهم .

#### الآداب المختصة بالتعلم:

تحسين نيته ، وتطهير قلبه من الأدناس .

اغتنام التحصيل في الفراغ وحالة الشباب .

ترك التزويع حتى قضاء وطره من العلم .

علو الهمة وعدم الرضا باليسير ، وترك التسويف .

آدابه مع شيخه وقدوته ، وما يجب عليه من تعظيم حرمته .

#### حق العالم على المتعلم:

الآداب المستفادة للمتعلم مع معلمه ، من سؤال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

نظر الشيخ بعين الإحترام ، وضرب الصفح عن عيوبه .

الصبر على جفوة تصدر من شيخه ، وتأويل أفعاله .

الدخول على الشيخ كامل الهيئة فارغ القلب .

عدم السؤال عن شئ في غير موضعه .

آدابه في درسه وقراءته:

الإبتداء أولاً بحفظ كتاب الله ، حفظاً متقدماً .

الإقتصار من المطالعة على ما يحتمله فهمه .

المذاكرة بالمحفوظات ، وإدامه الفكر فيها .

تقسيم أوقات ليه ونهاره على ما يحصله .

الإنتقال إلى المسوطات ، إذا بحث المختصرات .

التأدب مع رفقةه ، وحاضرى المجلس .

في آداب الفتوى والفتى والمستفتى:

أهمية الإفتاء ، وما ورد فيه والتخذير منه .

الإفتاء وتحصيل مرتبته ، وأنهما فرضاً كفاية .

عدم الإفتاء في حال تُغْرِي خلقه ، وحصول المانع من التأمل .

لزوم إعلامه المستفتى برجوعه إذا تغير اجتهاده .

لزوم تبيان الجواب بياناً يزيل الإشكال .

عدم إطلاق الجواب إذا كان في المسألة تفصيل .

كتابة الجواب بخط واضح وسط ، والتوسط في سطوره .

إعادة النظر في الجواب ، وتأمله بعد كتابته .

ذكر حجة مختصرة في الفتوى .

أحكام المستفتى وأدابه وصفته:

الرجوع إلى الأعلم الأتقى ، إن اختلفوا في الفتوى .

عدم جواز تقليد الميت ، مع وجود الحي عند أصحابنا .

تقليد من شاء من المفتين ، لو تعددوا وتساوا .

التأدب مع المفتي وتبجيله .

#### في المناظرة وشروطها وأدابها وأفاتها:

عدم الإشتغال بالمناظرة وهناك ما هو أهم من المناظرة .

كون المناظر مجتهداً ، يفتني برأيه لا بمذهب أحد .

لزوم كون المناظر في طلب الحق كمنشد ضالة .

آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق:

الإستكبار عن الحق وكراحته . الراءة وملاحظةخلق . الغضب . الحقد . الحسد .

الهجر والقطيعة . الكلام فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وغيرهما ...

#### في آداب الكتابة والكتب التي هي آلة العلم

أهمية الكتابة ، وشرفها .

وجوب إخلاص النية على الكاتب في كتابته .

عدم الإهتمام بالبالغة في حسن الخط ، والإهتمام بصحته .

اجتناب قرطة الحروف ، والإتيان بها مشتبهة بغيرها .

كتابة الترجم والأبواب والفصول بالحمرة ونحو ذلك .

#### خاتمة في مطالب مهمة:

أقسام العلوم الشرعية الأصلية ...

لزوم مراعاة مرتبة كل علم من العلوم .

الغرض الذاتي موافقة مراد الله تعالى .

كون هذه العلوم بمنزلة الآلة للعمل .

تتمة الكتاب ، في نصائح مهمة لطلاب العلوم .

#### ٤- نموذج لطالب غبي

كان صاحبنا جاداً وقوراً خجولاً ، لا يضحك إلا تبسماً وهو يضع يده على فمه ، ولا يجلس معنا في باحة المدرسة ، ويقضي وقته في غرفته بالصلاوة وقراءة الأدعية والقرآن .

كان يعتقدنا إذا رفعنا صوتنا بالضحك ، أو أطلنا في السهر فيقول: كيف تريدون الإستيقاظ لصلاة الصبح ، وأنتم تسهرون كثيراً؟

وكان يدرس وكأنه لا يدرس ، فلا يتحدث بشيء من دروسه ، ولا يباحث أحداً ، وإذا طرحت مسألة علمية بقي على الشاطئ ولم يمد يده إلى بحرها ولا نهرها. بينما يتكلم بحماس في أمور أخلاقية جزئية ، فيتشدد مثلاً في النهي عن القهقهة ويويخ صاحبها ، وكأنه ارتكب كبيرة من الكبائر !

ومع سطحيته وشدة، كان يعجبني في سنته وهديه قلت في نفسي:- أطلب منه مباحثةً لعلي أفيده علمياً ، وأستفيد من سنته وأخلاقه . وطلبت منه بحثاً في مغني الليب قبل مرحباً ، وفي الوقت المحدد طلبت منه أن يبدأ فقرأ: «الألف المفردة: تأتي على وجهين: أحدهما أن تكون حرفأً ينادي به القريب كقوله: أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل. ونقل ابن الخباز عن شيخه أنه للمتوسط ، وأن الذي

للقريب: يا . وهذا خرق لِإجماعهم . والثاني: أن تكون للإستفهام وحقيقة  
طلب الفهم نحو: أزيد قائم ، وقد أحيز الوجهان في قراءة الحرميين: كُمْ مَنْ  
هُوَقَادَ مُتْ آنَاءَ اللَّيْلِ .. الخ .

وشرح صاحبنا المطلب فخلط بين أدوات نداء القريب والبعيد والمتوسط وفسر طلب الفهم في الإستفهام ، بطلب التعمق لمعرفة الحقيقة ! لكن المصيبة عندما وصل الى قول ابن هشام: «فصل: قد تخرج الهمزة عن الإستفهام الحقيقي فترد لثانية معان: أحدها: التسوية.. والثاني: الإنكار الإبطالي.. والثالث: الإنكار التوبخي.. والرابع: التقرير.. والخامس: التهكم.. والسادس: الأمر.. والسابع: التعجب.. والثامن: الإستبطاء.. الخ.

فخاضها معركة دموية مع هذه المعاني ، يخبطها ويخلطها ، ويشتبك مع أحدها !  
ويقعان أرضاً ! وأخذت أصحيح له بلطف ، فكان يقبل الشيء ثم يتبني نقيسه !  
فقبول الفكرة عنده له معنى مختلف عن معناه عند الناس !

وبعد أيام تيقنت أن مشكلته في بنية الفكرية التحتية ، فالبداهي عنده غير  
بداهي ، والكسبي قد يكون بداهياً ، والمتناقض غير متناقض !  
والامر المعضل فيه: أنه اتخذ قراراً حاسماً حازماً جازماً، باتاً قاطعاً قطعياً ،  
وكأنه حلف يميناً مغلظةً: أن لا يغير طريقة تفكيره ! فودعته على خير .

وأكمل صاحبنا دراسته في الحوزة ، ودرس نصيبيه من الفقه والأصول ، وبحث الخارج ، وتخرج عالماً ! وصار عالم بلدة ، فكان يوم الناس في مسجد ،

ويدرسهم الأحكام الشرعية ، ويلقي عليهم موعظه !

ورأيته بعد مدة ، فسألته عن عمله فكان راضياً ، وسألت بعض المصلين في  
مسجده فشكوا من تشدده الذي عرفناه في المدرسة .

إنه من النوع الذي يدرس في الحوزة ويعود منها حافياً من العلم ، كما دخلها!  
والسبب أن شخصيته تكتمل في وقت مبكر من عمره ، حيث يمتليء إناؤه بأول  
أشياء تصادفه وتعجبه ف تكون قالباً لشخصيته ، وثبتت على ذلك القالب الى يوم  
يعيشون ! فلو صار إمام مسجد بدون سفر الى الحوزة لما اختلف عليه الحال ، ولا  
على المصلين المستمعين الى موعظه !

وصاحبنا من خيرة هذا النوع الذي يجمع بين قلة الفهم ومظهر التقوى ، لأنه  
ليس عدوانياً ، بل هو مشغول بنفسه وبمن يستجيب له ويقبل أن يصبه في قالبه  
. ومن نعم الله عليه أنه يخاف من المجتمع المتدين والعلماء ، فيحرص أن  
لا يغضبهم ، وبذلك يكفي الله الدين شر جهله وحمقه !

ويوجد من نوعه أحق لا يخاف من المجتمع والعلماء ، ويملك ذراة لسان ،  
ويجيد تسفيط الكلام ، فيضر الدين وأهله أي إضرار !

قال لي المرجع السيد الحكيم رحمه الله ذات مرة: يافلان إختري وكلاء من تعرفهم ،  
فقد طلبوانا وكلاء للمحافظات بمناسبة شهر رمضان ، إنهم يأتون الى النجف  
فيرون الصحن مملوءاً بالمعممين ، فيتصورون أن عندنا معملاً ينبع العلماء  
كمعمل الصحون والكتوس ، ولا يدركون أن أكثر هؤلاء إذا أرسلناهم يضرون

ولا ينفعون !

◦ ◦

## ٥- من صفات الطالب الذكي الجاد

في معرفة الله تعالى:

طالب العلم إنسان آمن بالله عز وجل بفطنته ومحيطة ، وعرف عنه بعض المعلومات ، ويرى أن وجوده في الحوزة العلمية هو الفرصة لأن يعرف ربه بعمق ، بالدراسة والمطالعة والتعلم من يعرفه عز وجل .

والأهم عنده: كيف كان النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ يعرفون ربهم عز وجل ويعبدونه ؟ ماذا قالوا عنه ، وكيف علمونا معرفته وعبادته ؟

فالقضية المركزية عند الطالب: أن يعرف ربه معرفة عقلية نظيفة ، خالية من الهرطقة والسطح والخيالية . من أي كتاب أو درس أو تأمل ، لكن الحكم فيها دائمًا نمط معرفة النبي والآئمة ﷺ ، لاسواهم .

وأن يعرفه معرفة شعورية صحيحة: فيراه حاضرًا فاعلاً في كل الوجود ، بخطبه وألطافه ، حتى في القضايا العلمية والإجتماعية والسياسية .

وأن يعيش معه غالباً ، فلا ينساه إذا فرح أو حزن ، أو استغرق في جد أو هدوء ! فالله معه دائمًا وهو معه غالباً ، إن نسيه عاد اليه ، وإن عصاه تاب اليه .

فالأصل في الإنسان الضعف والقوة استثناء ، والمؤمن كالغصن ينحني فينهض ، والمنافق كالخشبة تنحنني فتنكسر !

والمؤمن إنسان واقعي ، لا يغتر بنفسه ، ولا يقنط من رحمة ربه ، بل يخافه

ويرجع رجته ، ويضرع اليه طوال طريقه .

ولا ينسى الطالب أن عليه أن يكون صادقاً في انتسابه إلى ربه عز وجل ، فقد اختار أن يكون عالماً بدينه ، يُوجه الناس إليه ، والى نبيه وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام . وهي دعوى عظيمة تحتاج إلى صدق وجدية .

#### في معرفة النبي عليه السلام:

وطالب العلم آمن بالنبي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام ، فهو يريد أن يتعرف عليهم ، ويتوثق معهم علاقته .

يريد أن يقرأ أي شيء عن نبيه عليه السلام ، ويسمع عنه ، من هو ، وكيف عاش ، وكيف عرف ربه ، وكيف أوحى إليه ، وكيف بلغ ما أوحى إليه من ربه ، وأنشأ هذه الأمة ، وأطلق هذا المد التوحيدي الحضاري في العالم ؟

لقد كتبوا عنه عليه السلام كثيراً ، ورووا عنه أكثر ، لكن طالب الحوزة الجاد يريد أن يرسم لنبيه عليه السلام في عقله ووجوداته ، تصوراً صحيحاً ، بعيداً عن كذب مصادر الحكومات ، وعن خيالات العوام السذج ، وشطحات مدعى التصوف والعرفان . فعليه أن يقرأ ويفكر ، ثم يقرأ ويفكر ، ثم يطرح المسائل مع من يثق بعلمهم ، وفي مجالس المذاكرة .

#### في معرفة عترة النبي عليه السلام:

وكذلك معرفة المعصومين من العترة الطاهرة عليهم السلام ، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة التسعة من ذرية الحسين عليهم السلام ، فهؤلاء هم العترة الذين

حددهم النبي ﷺ بالكساء والأسءاء ، وأخبر الأمة أن الله تعالى فرض ولا يتهم وطاعتهم ، وأوصى بهم إلى حنب القرآن .

وطالب العلم معنٌ بأن يرسم عن كل واحد منهم في عقله ومشاعره صورة صحيحة . وكل واحد منهم عليه أفق رباني ، وعالم واسع ، وطالب العلم يعيش معهم في دروسه ، وفي ذكرياتهم طول السنة ويزورهم .  
لكن عليه أن يقرأ عنهم أحسن ما كُتب ، ويفكر فيهم ، ويذاكر في سيرتهم ومقاماتهم ، حتى يبني عقيدته فيهم .

#### في طلب العلم:

ومن هم طالب العلم أن يدرس الكتب المقررة في منهج الحوزة ويتقنها ، ويكتب دروسه ويباحث دروسه ويداكرها . ويدرس إذا طلب منه أحد ذلك .  
لكن المنهج المقرر لا يستوعب كل وقته ، لأنه يحتاج نحو أربع ساعات أو ست ، ويبقى له وقت فائض ليصرفه في بقية أهدافه . لذا ينبغي له أن يبرمج وقته ليومه وأسبوعه ، وللعمل الأسبوعية ، وقطع المناسبات الدينية ، وعطلة السنة .

سأل أحدهم طالباً: كم ساعة تشتغل في اليوم ، وحسب معه فوجد أنه يعمل ساعات قليلة ، فقال له: إن أقل موظف أو مهني أو عامل بناء ، يعمل أكثر منك ، فكيف لا تخجل لقلة عملك ، وأنت تنسب نفسك للإمام المهدي عليه السلام وتدعى أنك موظف عنده !؟

إن أساس برجمة الوقت وسرها وقودها ، أن تكون في قلب الطالب شعلة

الإيهان المتوجه وحب المعرفة المتوقد ، فهذا يجعله يستثمر كل وقته في العمل ، وينسى أكثر مشاغله ومشاكله التي تعوق طلبه للعلم .



#### ٦- ملاحظات مفيدة لطالب العلم

١- قرأت لباحث غربي أن الذهن الغربي ليس أقوى من الذهن الشرقي، لكن مدة تركيز ذهن الغربي على النقطة المطلوب فهمها أطول بست مرات من الشرقي ، فهو يركز ١٢ ثانية ، بينما يركز الشرقي ثانية فقط ! لذلك كان من الضروري أن يسأل طالب العلم نفسه: كم ثانية أركز على المسألة العلمية ؟ ويصحح تعامله مع المعلومة .

ثم يسأل نفسه: هل أن طلب العلم أكبر همي أم لا ؟ فإن كان اهتمامه بغير طلب العلم أكثر ، فلا بد أن يصحح النية والعمل .

ثم يسأل نفسه: كم ساعة أعطي من يومي لطلب العلم؟ فلا يرضي بأقل من نصف ساعات نهاره .

ولا بد أن يكون عنده تصور ولو تقريري للسنوات التي سيعطيها من عمره متفرغاً لطلب العلم ، ونية بأن يطلبه كما قيل: من المهد إلى اللحد .

٢- من المشكلات التي تعترض طالب العلم فتبيهه قليل البضاعة من العلم إلى آخر عمره: أنه يشعر بأهمية العمل الإجتماعي في هداية الناس ، والتبلیغ والخطابة ، ويرى أن القليل من العلم الذي عنده يكفيه لهذه المهمة فيقرر أن يقنع به ، ويصرف وقته في المجتمع .

وقد اتسعت هذه الظاهرة في بعض البلدان ، وسببت انخفاض المستوى العلمي ، حتى قل أصحاب التخصص والمستويات العالية .

إن مقوله: ما عندي من العلم يكفيوني للتبلیغ والعمل الإجتماعي ، قد تصح بالنسبة إلى محدود القابلية الذي امتلاه إناوه ، أو الذي لا تسمح له ظروفه بالتلراغ لطلب العلم . لكن صاحب القابلية العالية الذي يمكنه التفرغ والتخصص والوصول إلى مستويات عالية ، عليه أن يأخذ إجازة من العمل الإجتماعي، كالموظف الذي يأخذ إجازة دراسية ، والجندي الذي يأخذ إجازة لدورة ليكون ضابطاً أو قائداً .

وينبغي للطالب أن يأخذ رأي من يثق به ، ليحدد من أي نوع هو ، وأن لا تكون عقبة للمعيشة عائقاً أمام قراره ، لأن طالب العلم يسعى رزقه إليه .

٣- إذا وجب على الطالب أو جاز له التفرغ لطلب العلم ، فعليه أن يرضي في معيشته بما تيسر له ، وأن يكون على يقين بأن الله تعالى قد تكفل برزقه .

قال الشهيد الثاني عليه السلام في منية المرید / ٢٢٧: « ويرضى بما تيسر من القوت وإن كان يسيرًا ، وبما يستر مثله من اللباس وإن كان خلقاً ، فالصبر على ضيق العيش تنال سعة العلم ويجمع شمل القلب عن مفترقات الآمال ، ليتفجر عنه ينابيع الحكمة والكمال ». .

وقال عليه السلام في / ١٦٠: « ورد في الحديث عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: إن الله تعالى قد تكفل لطالب العلم برزقه ، خاصة عما ضمنه لغيره . بمعنى أن غيره يحتاج إلى السعي على الرزق حتى يحصل عليه غالباً ، وطالب العلم لا يكلفه بذلك الطلب وكفاه مؤونة الرزق إن أحسن النية وأخلص العزيمة . وعندي في ذلك من الواقع والدقائق ما لو جمعته بلغ ما يعلمه الله من حسن صنع الله تعالى بي وجميل معونته ، منذ اشتغلت بالعلم ، وهو مبادئ عشر الثلاثين وتسع مائة إلى يومي هذا ، وهو منتصف شهر رمضان سنة ثلاثة وخمسين وتسع مائة . وبالجملة فليس الخبر كالعيان » !

وقال عليه السلام في / ١٠٣: « قوله صلوات الله عليه وآله وسلامه: من غدا في طلب العلم أظللت عليه الملائكة وبورك له في معيشته ولم ينقص من رزقه ». .

٤- ينبغي للطالب أن يعترف باستعداده العلمي الطبيعي ، فقد قسم الله القابلities بين الناس ، وكل إنسان مُيسَّرٌ لما خلق له . بعض الطلبة كأنه مخلوق

ليكون متخصصاً في القرآن ، أو الحديث ، أو التاريخ . أو ليكون كاتباً ، أو خطيباً ، أو إدارياً ، أو سياسياً ، أو فقيهاً .

وقد رأيت طفلاً دقيقاً في كلماته وتصراته ، يميل إلى التجزئة والتعمق ، فكأنه مخلوق ليكون فقيهاً ، فقلت لأهله: إبعثوه إلى الحوزة! وكم رأيت شيخاً يتكلم في الفقه فيُملئ من التفريع فيعمم ، ويُسامِّ من التعمق فيُسْطَح .  
والإنسان على نفسه بصيرة ، لكنه يخطئ ويغالي بسبب حسن ظنه بنفسه ، فيحتاج إلى أن يشهد به غيره ، لئلا يضيع جهده وعمره .

٥ - إحذر أن تكون حشوياً ، والخشوي من يحشو ذهنه بأفكار بدون دليل أو يقبل أفكاراً متناقضة فيها بينها ، فيأخذ كل ما يسمعه أو يقرؤه بحججة أنها معلومات دينية ، فهو كالذى يأكل ما تصل اليه يده ، فيحشو به بطنه !  
فعليك أن تدقق فيها تأكل لتعرف ماذا تحوى بطنك ، وتدقق فيها تغذى به عقلك ، فلا تقبل معلومة إلا بدليلها وشروطها ، فإن لم تستكمل الشرط فضعها في بقعة الإمكان . وهي بقعة واسعة لكنها احتمالات وليس لها علمًا .

٦ - عود نفسك التعمق ، ولا ترض بالنظرية السطحية ، فمن الكلمات الحكيمية: العلم بحر ، الغرق فيه في الشاطئ والنجاة فيه في اللجة . وكان أستاذنا السيد الصدر رحمه الله يقول لنا: مَرْ المطلب على ذهنك عشر مرات ، فقد يأتيك ولو في المرة العاشرة إشكال عليه ، أو التفاتات إلى شيء ، وهذا هو العلم والتعمق .

٧ - كنت محبًا لدراسة الفلسفة ، ودرست شرح التجريد وقسمًا من شرح

منظومة السبزواري عند المرحوم السيد محمد جمال الماشمي رحمه الله، وأعجبت بكتاب أستاذنا السيد محمد باقر الصدر رحمه الله (فلسفتنا) واستو عبته ودرسته مرات ، لكنني كنت أعاني من سؤال كبير: حتى لو قلنا بعدم التعارض بين الفلسفة والدين ، فأيهما أحرى بالتخاذله منبعاً للمعرفة والتفكير: الوحي ، أم نتاج تفكير رجال يونانيين ، كأرسطو وأفلاطون ؟

ومهما يكن ، فإني أنصح الطالب أن لا يدرس الفلسفة إلا بعد أن يتعمق في العقيدة والفكر الإسلامي ، ويكون بمستوى بحث الخارج على الأقل .

وقلت يوماً لأستاذنا السيد الصدر رحمه الله: اشتغلت بالفلسفة كثيراً وألفت كتاب فلسفتنا ، وكتاب الأساس المنطقي للإستقراء ، فهذا استفادت منها؟

فأجاب: الإنسان عندما يعشق الفلسفة ويدأ بدراستها ، يتصور أنها ستحل كل مشكلاته الفكرية ، ثم يتقدم فيها فيرى أنها لا تحل شيئاً منها !

قلت له: وأحاديث أهل البيت عليهم السلام هل تحل المشكلات الفكرية للطالب؟ فتأمل وقال: نعم تحلها ، وهي التي تحلها .

- إن قناعة المتكلم والخطيب والواعظ والكاتب وروحيته ، هي التي تؤثر في الناس أكثر من فكره ومعلوماته التي يقدمها لهم؟ لأن كلماته تحمل أجزاءً من روحه ، والمخاطب يحس بها ويراهـا ، ويرى نوع إيمانه بما يقوله ، فيؤثر ذلك فيه أكثر من المعادلات العقلية التي يتضمنها كلامـه .

وهذا يعني أن يقينك بأصول الدين وفروعـه ، وقناعتك بمعلوماتـك التي

تقديمها للناس، هي الأساس في تأثيرك فيهم .

فإن كنت صاحب بصيرة ويقين فسيؤثر كلامك ، لكن اليقين ليس سلعة تشتري أو ثوبًا يلبس لِ بسًا ، بل غرسه يغرسها الله تعالى في عقول عباده وقلوبهم ، فيرعاها بعضهم وينميها ، ويهملا آخرها فتذبل أو تييس !

٩- من تعابير النجفيين: فلانْ معمم أفندي ، وفلانْ أفندي معمم ! والأفندي الكلمة تركية تشبه كلمة خواجه في مصر- وبلاد الشام ، ومعناها الشخص العصري على الطريقة الغربية . والمعنى أن بعض الطلبة المعممين ليس فيهم من أصالة عالم الدين إلا الزي ، فهم في أفكارهم وسلوكياتهم عصر-يون متغربون . وبعض الأفندية رغم أن زيهم عصري ، فهم أصيلون في فكرهم وسلوكياتهم كعلماء الدين الأصيلين .

ومن أمثلة الحوزة في النجف: فلان الطالب كتفسير جوهري طنطاوي فيه كل شيء إلا التفسير؟ ومعناه أن ذلك الطالب فيه كل شيء إلا علوم الدين وتبلغها ! والشيخ طنطاوي بن جوهري ، أزهري ومدرس ، توفي ١٣٥٨ - ١٩٤٠ (الأعلام: ٢٣٠ / ٣) وتفسيره كبير يقع في ٢٦ مجلداً ، حشد فيه كل ما أعجب به من علوم الغرب ، وقال إن هدفه تفهيم المسلمين العلوم الكونية وحثهم على الإقبال عليها، لذلك كثرت استطرادات وخروجه عن مواضع الآيات ! واستخدم فيه الرسوم والجدواں وصور النباتات والحيوانات والمناظر الطبيعية !

<http://www.almultaka.net>ShowMaqal.php?cat=>

١٠ - أطفئ التلفزيون وطالع . وأطفئ الإنترت وطالع . وإن كان لابد من

التلفاز لتسمع الأخبار وبعض البرامج ، فاجعل وقتاً محدداً . وإن كان لا بد من الإنترنـت لك كباحث ، فاجعل له ساعات محددة .

وبعض الناس يقرأ بجهاز الحاسـب أو النـت ، والمهم أن يكون قارئاً جاداً ، لأن المطالعة لطالب العلم في غير مواد دروسـه ، ليست عملاً كما يـا بل ضرورة ، لأن بناء شخصيته كـعالم وـمثقـف يتوقف عليها .

وأول ما يجب عليه أن يستعين بالله تعالى ويغالـب ظروفـه ويغلـبـها ويفـرغـ وقتـاً كافـياً للمطالـعة ، فيحـذـفـ من أـعـالـهـ ما لا يـجـبـ عـلـيـهـ شـرـعاًـ ، وـيـدـبـرـ بـدـيـلاًـ عنـ اـشـغـالـهـ شـخـصـياًـ فيـ بـعـضـ ماـيـجـبـ عـلـيـهـ عـرـفاًـ ، وـسـيـجـدـ الـبـدـائـلـ وـيـوـفـقـهـ اللهـ: وـمـنـ  
يـقـنـعـ بـالـلـهـ يـهـدـ قـلـبـهـ وـالـلـهـ يـكـلـلـ شـعـلـهـ يـمـ .

وطالبـ الـعـلـمـ يـعـرـفـ ماـذـاـ يـطـالـعـ ، فـمـطـالـعـاتـهـ قـرـآنـيـةـ وـحـدـيـثـيـةـ وـتـارـيـخـيـةـ وـعـقـائـدـيـةـ ، قـدـيمـةـ وـحـدـيـثـةـ ، وـثـقـافـةـ عـامـةـ ، حـوـلـ إـلـيـانـ وـمـجـتمـعـاتـ ، وـماـ يـحـتـاجـهـ مـنـ الـعـلـومـ الـطـبـيـعـيـةـ .

ويـبـنـيـ لـهـ أـوـلـاًـ أـنـ يـبـنـيـ عـقـائـدـهـ وـفـكـرـهـ وـرـوـحـهـ بـكـتـبـ عـلـمـائـنـاـ النـابـغـينـ أـمـثالـ الـكـلـيـنـيـ وـالـصـدـوقـ وـالـمـفـيدـ وـالـمـرـتضـىـ وـالـطـوـسـيـ ، قدـسـ اللهـ أـنـفـسـهـمـ الزـكـيـةـ ، فـيـقـرـأـ كـلـ ماـ كـتـبـهـ إـنـ اـسـطـاعـ ، ليـحاـكـمـ ماـيـقـرـأـ بـهـذـهـ الأـصـوـلـ .

ويـتـصـورـ بـعـضـ الـطـلـبـةـ أـنـ مـطـالـعـتـهـ تـحـتـاجـ إـلـىـ تـرـتـيبـ وـتـعـيـنـ ماـيـطـالـعـهـ أـوـلـاًـ وـثـانـيـاًـ ، وـنـقـولـ لـهـ لـاـ تـخـفـ إـقـرـأـ ماـشـيـتـ أـوـلـاًـ أـوـثـانـيـاًـ ، فـإـنـ الـذـهـنـ يـنـظـمـ مـعـلـومـاتـكـ وـيـرـتـبـ مـطـالـعـاتـكـ فـيـ خـزـائـنـهـ وـرـفـوفـهـ ، فـاـشـكـرـ اللهـ تـعـالـىـ .

١١ - سمعت يوماً نقاشاً حاداً بين طالبين أحدهما أكبر سنًا ، فقال له كبير السن: إنك تجادل بالباطل شخصاً طالع من الكتب بقدر وزنك عشر- مرات على الأقل ! فأعجبني تعبيره وأنا أثق بصدقه ، ودفعني ذلك الى المزيد من المطالعة . فكنت الى جانب دراستي وتدرسي ، أقرأ كل يوم نحو ثلاثة ساعات ، وأذكر أنني قرأت وأنا أدرس الكفاية المجلد الثاني ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديدي كله في شهر وكسر .

ثم قرأت أكثر التفاسير الروائية ، وبعض التفاسير الجديدة ، وقرأت أكثر كتب الصدق والمفيد ، وقرأت كثيراً من الكتب الإسلامية الجديدة .

وقرأت أنا وغيري في حكم عبد الكريم قاسم كل كتب الإخوان المسلمين حيث امتلأت بها مكتبات النجف ، وكانت رخيصة الثمن !

وأخذت دفتراً للمطالعة أكتب فيه أسئلة حول بعض ما أقرأ ، لأسأل عنها بعض الأساتذة . وأكتب فيه بعض الأمور المفيدة الملفقة ، لئلا أنساها.

ومن الكلمات المعروفة: أن مصر تكتب ن وبيروت تطبع وبغداد تقرأ ، ولعل الشعب العراقي أكثر الشعوب العربية قراءة ، وقد سمعت من بعض الناشرين أن السودان هو الأول في قراءة القصص .

لكن العشرين تعمدوا أن يفصلوا الإنسان العراقي عن مصادر دينه وثقافته ، وجعلوا الكتاب الإسلامي جريمة كالسلاح ، فلا بد من تعويض خسارة ثلاثين سنة من التجهميل ، وأن ينشر طلبة العلم والبالغون العراقيون عادة القراءة

ويشجعواها ، ليس في الحوزة فقط ، بل في عامة الناس .

١٢ - يشجع الأستاذ تلاميذه عادة أن يشكلوا عليه ، وبعض الأساتذة يتقبل الإشكال عليه في الدرس وفي المسائل العلمية ، ويشجع من يُشكل .  
لكن الإمتحان عندما يُشكل عليه الطالب في أمر خارج الدرس ، على خطه الفكري ، أو السياسي ، أو شئ من سلوكه ، فالقليل يتقبل ذلك ، وبعضهم يعتبره تطاولاً من التلميذ ، أو عدواً !

#### ٧- العلاقة الجدلية بين التدين والفهم

كلما تأملت في أمر التدين وحالة الناس فيه ، وجدت أن المعادلة التالية صحيحة مئة بالمائة ، وهي: أن التدين هو الفهم ، وعدم التدين عدم الفهم ، ونقص التدين نقص الفهم !

وقد ناقشني بعض الأفضل في عمومها ، وجاء بأمثلة لمن يفهم وهو غير متدين ، فأثبتت له أنه إنما أتيَ من عدم فهمه أو من نقص فهمه !  
ذلك أن وراء فعل الإنسان لشيء أو تركه له ، معادلةً فكرية ، تُريه أن من مصلحته أن يفعل أو يترك . وحتى الأفعال الغريزية يجب تفسيرها بالفهم ، فما دام فيها إرادة فهي تستند إلى معادلة كلية اتخاذ قرارها صاحبها وترك لغريزته أن ت العمل بها .

وعليه فإن عملك لتقويم سلوك إنسان ، يتلخص بأن تغير المعادلة التي عمل بها ، وتقنعه بمعادلة صحيحة نظرياً وعملياً !

وهناك معادلات لأفعالنا في كل عمل ، ومنها ما يشمل كل أفعالنا كالمعادلة التي تدخل في حسابنا الحياة الآخرة والثواب والعقاب ، فهي تقوم على فهم الإنسان للأفق الأوسع لمصلحته ، بينما المعادلة التي تحدّف ذلك من حسابه تقوم على حصر وجوده في دنياه ، وهذا نقص في فهمه !

وكذلك المعادلة التي تقول: إن تدبير ربِّي خيرٌ من تدبيري لنفسي- ، وإن الحكم الشرعي تدبير رباني ، فهي حقيقة تحتاج إلى فهم نافذ .

ويقابلها أن أرجح ، نظرياً أو عملياً ، تدبيري لنفسي على تدبير ربِّي !

وقد عبر عن ذلك النبي ﷺ في قوله تعالى ﷺ: «يا علي إنك باق بعدي ومبتلٍ بأمتٍي ومخاصم بين يدي الله ، فأعدد لـلخصومة جواباً ، فقلت: بأبي وأمي أنت بين لي ما هذه الفتنة التي أبتلى بها وعلى ما أجاهد بعده؟ فقال لي: إنك ستقاتل بعدي الناكثة والقاسطة والمارقة ، وحلّ لهم وسماهم رجالاً وتجاهد من أمتي كل من خالف القرآن وستي من يعمل في الدين بالرأي ، ولا رأي في الدين ، إنما هو أمرُ الرب ونبيه ! فقلت: يا رسول الله فأرشدنِي إلى الفلاح عند الخصومة يوم القيمة ، فقال: نعم . إذا كان ذلك كذلك فاقتصر على المدى ، إذا قومك عطفوا المدى على الهوى ، وعطفوا القرآن على الرأي ، فتأولوه برأيهم بتبع الحجج من القرآن لمشتهيات الأشياء الطارية عند الطمأنينة إلى الدنيا ، فاعطف أنت الرأي على القرآن . وإذا قومك حرفوا الكلم عن مواضعه عند الأحوال الساهمية ، والأمراء الطاحنة ، والقادة الناكثة ، والفرقة القاسطة ، والأخرى المارقة ،

أهل الإفك المردي والهوى المطغي، والشبهة الخالفة ، فلا تنكلن عن فضل العاقبة، فإن العاقبة للمتقين». (الإحتجاج: ٢٨٩ / ١، والدر المشور: ٤٠٧ / ٦، وجمع الزائد: ١٨٠ / ١).

### الفهم في عمقه هو العقل

الفهم في عمقه هو العقل ، فإذا غلبه هوى الحمق والجهل ، فهو ليس فهماً ولا عقلاً وإن كان شبيهاً به . ولذا أجاب الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمَ من سأله: « ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان. قال قلت: فالذى كان في معاوية؟ فقال: تلك النكراء! تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليس بالعقل ». (الكافى: ١١ / ١).

ويكفي لإثبات عدم فهم معاوية أنه اشتغل كل عمره ، وبذل جهوده في الليل والنهار ، وتحمل أنواع المتاعب ، وخاص خاطر المخرب ، فأسس دولة بل أمبراطورية كبيرة ، كانت أعز شئ عليه لأنه دفع ثمنها غالياً جداً . لكنه سلمها عن سبق قصد وإصرار ، لولده يزيد وهو يعلم ويشهد أنه سوف يبدها ويدمرها ، فقد كان يردد ، وأحياناً يصبح:

« لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي »!

(تاریخ دمشق: ٥٩ / ٦١، و٤١، و٢١٤، و١٥٥ / ٣، وسیر أعلام الذهبي: ٢٤١ / ٤، وتاریخ الطبری: ٤ / ٢٤١).

« قال ابن حجر الهيثمي: فيه غایة التسجيل على نفسه بأن مزيد محبته ليزيد

أعمت عليه طريق الهدى ! وأوقعت الناس بعده مع ذلك الفاسق المارق في  
الردى » ! (النصائح الكافية لمن يتولى معاویة للحافظ محمد بن عقیل / ٦١).

وقد طال مرض معاویة فكان باستطاعته أن يرتب وصيته ، ويتجنب الخطر  
على دولته بعد وفاته .

فقد أصابت اللّقوة ، وهي اعوجاج الفم ، حتى صار فمه تحت أذنه ! وأصابته  
بردية شديدة ! وخرجت في ظهره قرحة عميقه !  
وأصابته هلوسات ، فكان يرى عليهما علیاً علیه السلام وحجر بن عدي وعمرو بن الحمق ومن  
قتلهم ، كأنهم أرواح تطارده !

قال ابن الأعشن: ٤/٣٤٤: «وجعل معاویة يكى لما قد نزل به وكان في مرضه يرى  
أشياء لاتسره ! حتى كأنه ليهذى هذيان المدنس وهو يقول: إسقوني إسقوني،  
فكان يشرب الماء الكثير فلا يرثى ! وكان ربها عشياً عليه اليوم واليومين ، فإذا  
أفاق من غشوطه ينادي بأعلى صوته: ما لي ومالك يا حجر بن عدي ! مالي  
ومالك يا عمرو بن الحمق ! مالي ومالك يا ابن أبي طالب» ! (راجع عجائب حالته في:  
جواهر التاريخ: ٤/٢٤٥، والطبرى: ٤/٨٥).

ولكنه مع كل ذلك أصر على تسليم دولته إلى شاب أهوج مدمداً خمر ، وهو  
يعرف أنه ربها وأنهى آل أبي سفيان إلى غير رجعة !  
فلو كان يفهم ، لما وضع كل جهوده على كف عفريت !  
ولو كان يفهم لما اشتري سنين من نعيم السلطة ، بالخلود في العذاب !

## الفصل السادس:

### الموجة الشيوعية التي عاصرناها

#### ١- ثورة عبد الكريم قاسم والموجة الشيوعية

أحدث جمال عبد الناصر موجةً في كل البلاد العربية ، شعارها التحرر من الإستعمار ومواجهة إسرائيل . ووقفت بعض الأنظمة العربية ضده ، وأولها النظام الملكي السعودي ، ثم النظام الملكي في العراق ، وفي الأردن .

وعندما وقع العدوان الثلاثي الفرنسي-الإنكليزي الإسرائيلي ، على قناة السويس ، خرجت المظاهرات المؤيدة لعبد الناصر في البلاد العربية. (فقد شهد العراق مظاهرات صاحبة دامية كان أعنفها وأكثرها تأثيراً مظاهرة النجف الأشرف ، التي قمعتها السلطة بوحشية رهيبة ، وتلاها إعلان الأحكام العرفية في البلاد...ورغم ذلك استمرت التظاهرات في النجف وأبرزها تلك التي خرجت يوم ٢٣-١١-١٩٥٦ وشاركت فيها علماء الدين ، وأسفرت عن مجزرة دموية ارتكبتها السلطة ». )

[http://www.mettransparent.com/spip.php?page=imprimer\\_article&id\\_article](http://www.mettransparent.com/spip.php?page=imprimer_article&id_article)

فاستنكر المرجع السيد الحكيم سياسة السلطة ، وطالب بإخراج المعتقلين . واستطاع عبد الناصر أن يحقق الوحدة بين مصر وسوريا ، فأعلن التوقيع على ميثاق بينه وبين الرئيس السوري شكري القوتلي ، وبموجبه ولدت «الجمهورية العربية المتحدة» في ٢٢/٢/١٩٥٨، واستمرت نحو أربع سنوات حتى انتهت بانقلاب عسكري في دمشق يوم ٢٨/٨/١٩٦١، وعادت سوريا إلى إسمها

«الجمهورية العربية السورية» وبقيت مصر على اسم «الجمهورية العربية المتحدة» حتى سميت عام ١٩٧١: جمهورية مصر العربية .

وفي هذه الموجةعروبية التي وصلت الى حدود العراق ، قام عبد الكريم قاسم في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ بانقلاب على النظام الملكي ، فقتل العائلة المالكة وأعلن النظام الجمهوري ، ورفع شعارات يحبها الناس كالديمقراطية والعدالة والتنمية والعروبة ، وأعلن دستوراً مؤقتاً للعراق ، ومجلس سيادة جعله أعلى هيئة دستورية ، وأعطى رئاسته لنجيب الريعي ، لكن بدون صلاحيات ، ووعد الناس بانتخاب رئيس جمهورية في ستة أشهر .

وشكل حكومة أخذ هو رئاستها وأخذ وزارة الدفاع ، ومنصب القائد العام للقوات المسلحة ، وجعل عبد السلام عارف نائبه ووزير الداخلية .

وفسر السياسيون هذا الإنقلاب بأنه عمل إنجليزي لامتصاص النسمة على النظام الملكي ، وبأنه عمل لمنع وصول الوحدة الى العراق .

وتفسير الأحداث بأن وراءها الإنكليز ، له حجته في العراق ، فقد عانوا من الإنكليز منذ أن احتلوا العراق في مطلع القرن ، ورأوا منهم ألواناً من الدهاء والمخداع ، حتى صار من الأمثلة عندهم: إذا اختلفت سمعتان في شط الفرات ، فهو من تحريك الإنكليز !

وقد جزم السيد مهدي الحكيم رحمه الله في مذكراته بأن خلفية عبد الكريم قاسم إنكليزية ، لكنني لا أستبعد الأصبع الأمريكية ، لأن مجلة واشنطن بوست نشرت

على غلافها صورة عبد الكريم بعد الإنقلاب، وكتبت: ثائر ولكن صديق.  
ويصعب تفسير صداقته لهم بأنها بسبب ارتباطه بالإنجليز!

ومهما كانت المؤثرات الأجنبية على عبد الكريم ، فلا يصح أن نتجاهل قوة شخصيته وأفكاره الوطنية ، ولذلك تجاوبت الحوزة مع شعاراته الوطنية فأرسل له المرجع السيد محسن الحكيم رض رسالة تأييد ، وكان ذلك منسجماً مع دور المرجعية الإصلاحية ، وعدم سعيها للوصول إلى الحكم .

وكان القوميون والبعشيون يعادون عبد الكريم لأنه ضد عبد الناصر ، لكن أكثرية الشعب العراقي كانوا يحبونه ويشعرون أنه منهم ، إلى أن سلط الشيوعيين على الناس ، وأصدر قانون الأحوال الشخصية ، وحل مجلس السيادة ، وفشل في الإصلاح الزراعي ، فتراجع شعبيته ، واصطدم بفتات واسعة من الشعب .

وكان الحزب الشيوعي في العراق أقوى الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية ، تنظيراً وتنظيمياً وحجماً ، ويليه الحزب الشيوعي السوداني ، ويوازيهما حزب توده الإيراني ، أي حزب جمهور الشعب .

ويرى بعض المحللين أن الإنجلترا دفعوا عبد الكريم لتبني الحزب الشيوعي العراقي وإطلاق يده ، ليكشفوا الشيوعيين ، ويضرّ بهم .

لكن الحقيقة أن عبد الكريم كان يرى أن عبد الناصر يعمل لإسقاط نظامه وأن الشيوعيين قوة تحمي حكمه من القوميين والبعثيين والمتدينين ، وهذا هو السبب الأساس لتسليمها المقاومة الشعبية لهم ، وإطلاقه أيدיהם . وقد استغل الشيوعيون الفرصة وકأن العراق صار ماركسيًا لينينيًّا ، فأنشأوا المنظمات الشعبية ، وأشهرها منظمة أنصار السلام ، وسيطروا على أكثر الإتحادات والنقابات ، كاتحاد الجمعيات الفلاحية، واتحاد الطلبة.. الخ.

وأمسكت هذه المنظمات بالعراق ، وحكمت مدنه وقراه ، وكان أسوأها ميليشيا المقاومة الشعبية ، التي انتشر مسلحوها في نقاط تفتيش وحكمو البلاد ، فكانوا يعتقلون ويرعبون ، وقد يقتلون ولا رقيب ولا حسيب !

وما زال الناس إلى اليوم يذكرون أفاعيلهم ، خاصة في الموصل بعد ثورة الشواف الناصرية الفاشلة، في آذار ١٩٥٩م ، وما ارتكبوه من قتل وسحل ، وتعليق للقتل على أعمدة الكهرباء !

○ ○

## ٢- الحوزة العلمية تواجه التحدي !

أطلق الشيوعيون في وسائل إعلامهم شعار: الدين أفيون الشعوب ! وهو مقوله كارل ماركس عن المسيحية ، فكان تحديًّا للإسلام وعلماء الدين ومؤسساته ، بل قبلة تدعوه إلى الإلحاد ، ورفض الدين من أساسه !

وبلغ بهم الأمر أنهم صوروا كل متدين على أنه مجرم ، لأنه يعيق تقدم المجتمع !

أما طلبة العلم أمثالنا فهم بزعمهم من بقايا البرجوازية والإقطاع الرأسمالي ،

ومن بقایا الدين الذي يخدر الشعب ويمنعه من التقدم والثورة على الإقطاع !  
 وانتقدوا حتى وجود المساجد والمشاهد المشرفة ، خاصة مناراتها وأبوابها  
 المذهبة، فكتبوا على جدار صحن مشهد أمير المؤمنين علیه السلام : من أين لك هذا ؟!  
 وبلغ من جرأتهم أن صاحب دكان مجاور لمنزل السيد محسن الحكيم عليه السلام وهو  
 المرجع العام للشيعة في العالم ، كان إذا خرج السيد رفع صوت المذيع في دكانه  
 بأناشيد الشيوعيين ، فإذا وصل السيد رفع صوته: عفلقي عفلقي ! أي: بعشى  
 من جماعة ميشيل عفلق ، وكان ذلك اتهامهم الجاهز لمن لا يحب عبد الكريم !  
 وكان من شعاراتهم: ولما يصفك عفلقي ، والحال موجودة ! أي: من لم يصفق  
 للزعيم فهو بعشى ، والحال حاضرة لسحله في الشوارع !

ولك أن تقدر تأثير ذلك على شعب العراق المسلم ، بشيعيته وسننته !

كنا نحن طلبة الحوزة لا نخرج من مدارسنا وبيوتنا إلا جماعة ، ونخاف في  
 الليل أن تدخل علينا المقاومة الشعبية فتقتلنا أو تقتادنا ! وقد وصف الدكتور  
 محمد حسين الصغير جانباً من الوضع في تلك الفترة ، فقال:

« بعد الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ اشتدت الأزمات السياسية في العراق وانقسم  
 الشعب العراقي إلى اتجاهات متعددة في الإنماء الفكري والعقائدي ، وتصاعد  
 المد الأحمر بشكل ينذر بالخطر ، واستقال الوزراء الستة من حكومة الزعيم عبد  
 الكريم قاسم ، وترك الأستاذ الشيخ محمد مهدي كبة منصبه عضواً في مجلس  
 السيادة وهو أعلى سلطة في البلاد ، إذ لم تقبل استقالته ، فهو (عبد الكريم) »

والفريق نعيب الريعي وخالد النقشبendi الذين يقبلون استقالة الآخرين ضمن الدستور المؤقت .

وكانت النجف الأشرف مركز الثقل الديني والوطني في العراق، وكان الضغط عليها سياسياً وحزبياً ضغطاً ماضعاً ، وقد أتيحت لها قيادة فذة حكيمة متمثلة بسماحة الإمام السيد محسن الحكيم (توفي ١٩٧٠) فأدار الشؤون ببروية وصلابة وثبات ، وسيطر مع انفلات الأمر ، وأمسك بزمام المبادرة مع شدة الصدام ، وقوة التحرك المضاد ، ووقف إلى جنبه المراجع العظام الشيخ عبد الكريم الجزائري ، والسيد عبد الهادي الشيرازي ، والسيد محمود الشاهرودي ، وسيدنا الأستاذ الإمام الخوئي رضوان الله عليهم أجمعين . ونهضت جماعة العلماء بقيادة آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين بواجبهم الشرعي بما أصدروه من بيانات تحت على التمسك بشرعية سيد المرسلين عليه السلام ، فأنصت لها العراق من أقصاه إلى أدناه .

ومرت الظروف الصعبة شديدة ، يصاحبها العنف الثوري حيناً ، والإستهتار الممجي بالقيم حيناً آخر ، والإحتجاج الكلامي بعض الأحيان . وكانت الصحف العراقية تمثل هذه المفارقات كافة ، حتى إذا لقد اقتحمت شرارة الموصل بقيادة العقيد عبد الوهاب الشواف في آذار ١٩٥٩ اختلفت الحال ، وصبّ البلاء صباً على الفصائل الدينية والوطنية والقومية في البلاد ، وأفرغت الساحة للحزب الشيوعي العراقي يصلو فيها ويجهول وسفكت الدماء في الموصل

وكركوك والبصرة والمسيب والنجف الأشرف وكربلاء ، وعدة قصبات أخرى

·  
· وانتهت شرارة الموصل بقتل الشواف والحكم بإعدام ألمع الضباط العراقيين ، كالزعيم ناظم الطبقجي والعقيد رفت الحاج سري ورفاقهما.

وكانت الوفود تترى على الإمام السيد محسن الحكيم للتتوسط بإيقاذهما من تنفيذ حكم الإعدام ، وكان غاضباً على الزعيم عبد الكريم قاسم بسبب صدور قانون الأحوال الشخصية المخالف لنص كتاب الله: **يُوصِّيْكُمُ اللَّهُ فِيْ كُلِّ كُمْ لَ مَلَدَّكَرِ مُثْلُ حَظَّ الْأَنْثَيْنِ** ، فجعلها في قانون الإرث والقضاء: للذكر مثل حظ الأنثى . فأرسل كتاباً لرئيس مجلس السيادة الفريق نجيب الريعي يحيشه بنص رئيس الوزراء على حد تعبير الإمام الحكيم ، بعدم تنفيذ أحكام الإعدام بحق هؤلاء الضباط من ذوي السمعة الوطنية ، لأن الإعدام يدع الديار بلا قع ، فلم يتتصح عبد الكريم قاسم مع وعده الريعي بالإستجابة لأمر الإمام الحكيم ! ونفذ حكم الإعدام في أم الطبول في ٢٠/٩/١٩٥٩ ...

والطبقجي وسري لها شعبية ومحبة لدى العراقيين ، وقد أوصى بأن يصلّى عليه الإمام الحكيم والإمام الجزائري ، فإن لم يتمكننا فليقرئنا عند قبره الفاتحة . وهنا أطبق الوجوم على النجف الأشرف وتملكه الذهول المطلق ، والدماء غضبي في العروق تكاد أن تنفجر .

ويُتوّف فيما يشبه الفجأة الإمام السيد حسين الحمامي ١٩٥٩، بقمة الأحداث ، ويقام له تأبين عظيم برعاية السيد محسن الحكيم وحضوره ، فيلقى كاتب هذه السطور قصيده ويعرض للmAساة والمقاومة الشعبية في الموصل وغيرها ، منها

قوله:

سترأ فصمتني من مقالي أشعر	والموصلُ الحدباء أسلل فوقها
بالفوضوية سيلها يتحرر	ما زا يحدّث شاعر عن فتنة
قد لفّهم أجل رموه مقدر	وبأرض كركوك ضحايا أمة
للأجنبي يقودها ويسير	وإذا بانصار السلام عصابة
هم الحروب قذائف تتفجر	وإذا السلام على الشعوب لما ارتأى
شرقية الأهداف لا تستبصر...	وإذا الجموع مسخرون لطغمة

ويقيم النجف الأشرف أضخم احتفال في ميلاد الإمام علي عليه السلام في مسجد الهندی من قبل الشباب النجفي ، وهو أول مهرجان جماهيري في ١٩٥٩ ، ويخضره الآلاف ، وكان عريف الإحتفال الشيخ الدكتور أحمد الوائلي ، وقدم كاتب هذه السطور بعبارات أنيقة ، فألقى قصيده وكانت عنيفة منها:

لينين فيه أقر الذل والهوننا	وإن حزباً دخيلاً في مبادئه
لлизيف زيفاً وبالتلوين تلوينا	يكاد يعرب عن فحوى مؤسسه
عيافاليت شعرى من يداوينا	الفوضويون داء لا دواء له
والنهب والسلب ألفوه موازيينا	القتل والسحل والتخريب ديدنهم
وجرعوا الشعب زقماً وغسلينا	ضج العراق بأهليه بما ارتكبوا

وسوف تحميه في الحال مواضينا	تهرأ الحكم وامهارت قواعده
وسوف يشرق فجر في مغانيينا	وسوف ينجب ليل ساد أربده
أو يرسون بأشغال مساجينا	لابد نقضي - عليهم فانتظر فرجاً
بنو للقيطة من أتباع لينينا	لو كنت من مازن لم تستريح إبلى
لا يدرؤن شيوعاً وصهيونا	لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد
زوراً وإفكاً لكي يرضوا ستالينا	وهكذا كل ما في الدين قد لصقوا

وهجم الشيوعيون على المسجد الهندي وقطع الحفل وتفرق الناس ، وحامى  
 أغلبهم عن الشاعر ووقفوا سداً بشرياً دونه، حتى إذا انقضت الغوغاء  
 اصطحبه ثلاثة من الرجال الأشاؤس كان من بينهم مسلح واحد وهم السيد  
 جواد شبر ، والشيخ هادي لايد ، والشيخ عبد الوهاب محبي الدين ، واتجهوا  
 نحو الحرم مخاطين بجملة من النجفيين المدافعين ، فدخل الشاعر والسيد  
 الخطيب جواد شبر معه إلى الروضة الحيدرية ، ووقف الآخران بالباب ، وهيات  
 للشاعر سيارة نقلته إلى المبيت في غير داره ، وبات في منطقة الحنانة عند المغفور  
 له الحاج عبد الحسين القاموسي، حيث غادر صباحاً مبكراً إلى بغداد ».

(<http://www.almawsem.net/private/NAJAF/TURIHI/sageer.htm>)



### ٣- تشكيل جماعة علماء النجف

كانت موجة الشيوعية أكبر تحديًّا واجهته الحوزة العلمية في تاريخها الحديث فهو أكبر حتى من تحدي الغزو الوهابي في سنة ١٢١٦ هجرية ، حيث أغروا على النجف مرتين بعد احتلالهم كربلاء وتخريبيها !

وهو أكبر من الغزو الإنكليزي بعده بقرن ! لأن الموجة الشيوعية كانت غزواً من الخارج والداخل معاً ، عسكرياً وفكرياً معاً ، ولا يوازي خطرها إلا خطبة البعشين لإبادة الحوزة والشيعة !

كان الطلبة يحثون العلماء والمرجع على المواجهة ، وكان الم الدينون يأتون من المحافظات يعلّلون استعدادهم للمواجهة والتضحية ، ويستغثثون من سطوة الشيوعيين في مناطقهم ! فقادت الحوزة بتشكيل «جماعة علماء النجف» ل تكون جبهة المواجهة ، وتتخذ الموقف ، وتصدر البيانات والتوجيهات للناس . وكان تشكيلها بعد تشاور بين المرجع السيد الحكيم ، والمرجع السيد عبد الهادي الشيرازي ، والمرجع السيد الشاهرودي ، والمرجع السيد أبي القاسم الخوئي ، فاتفقوا على أن يترأسها الشيخ مرتضى آل ياسين ، رضوان الله عليهم .

وسمعت من السيد الصدر رحمه الله أنهم طلبوا من السيد الحكيم رحمه الله أن يكون هو رئيس جماعة علماء النجف ، فقال: لا ، إختاروا أنتم أحدكم ، وأكون أنا خارج التشكيلة ، فإذا وقع عليكم ظلم أستطيع أن أدافع عنكم . وبدأت جماعة العلماء بإصدار منشوراتها ، توجه الناس وتنتقد الشيوعيين وتمدح الزعيم الأوحد ،

الفصل الخامس: الموجة الشيوعية التي عاصرناها  
وأذيع بيانهم الأول من الإذاعة الرسمية ، ووزعه الشباب المتحمس في  
المحافظات ، وقرأه الخطباء على المنابر !

وفارت زنابير الشيوعية على جماعة العلماء والمرجعية والحوارة عموماً، بالإعلام  
والصراخ والشتائم ، وملحقة من يوزعون المنشورات ، فتصدى لهم المتدينون  
، وصمدوا في مواجهتهم ، حتى انكسرت هيبة الشيوعيين !

وفرح القوميون والبعثيون بأن المرجعية نزلت الى الميدان ، وعملوا على تأجيج  
الصراع بينها وبين النظام لأن هدفهم إسقاطه ، لكن منشورات جماعة العلماء  
كانت تمدح الرعيم الأوحد ، لتميز أتباعها عن غيرهم .

وقام السيد الحكيم رحمه الله والمراجع بإصدار فتاوى تأيد لمنشورات جماعة علماء  
النجف ، وهذا نص فتوى السيد الحكيم:

«بسم الله الرحمن الرحيم . إن جميع ما أصدره فريق من أعلام أهل العلم  
باسم جماعة العلماء في النجف الأشرف ، وما سيصدرونه من النشرات وغيرها  
، مما يتضمن الدعوة إلى دين الإسلام ، فهو من أهم الوظائف الشرعية التي يجب  
القيام بها في سبيل إعلاء كلمة الدين ، وترويج مبادئه الشريفة وتعاليمه المقدسة  
، فعلى عامة المسلمين العمل على مؤازرتهم والوقوف إلى صفتهم ، ومشاركتهم  
في تحمل هذه الدعوة الدينية المباركة ». محسن الطباطبائي الحكيم - ٢٧ ج ٢ - ١٣٧٨ .

ثم أصدر السيد الخوئي ، والسيد الشاهرودي ، والميرزا مهدي الشيرازي ،  
والشيخ عبد الكريم الجزائري ، فتاوى مشابهة:

«إن النشرات الدينية التي يتولى إصدارها (جماعة العلماء) والتي أقبل عليها المسلمون في كلّ مكان ، وعرفوها أنها دعوة إسلامية خالصة لوجه الله تعالى ، وهي بLarryip تستمدّ دعوتها من القرآن ، وتأخذ أهدافها من تعاليم الدين ، فعلى أبناء المسلمين أن يسترشدوا بها أبداً ويتدبروا حقائقها ، ويعملوا بما جاء فيها من نواميس إسلامية تُسعد حياة المسلمين ، وعليهم أن يدفعوا عنها كل غائلة ، ويجتهدوا في نصرتها: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتُ أَفْدَامَكُمْ». وأسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لذلك ، ليعيشوا في ظل عدالة الإسلام ونومسيسه الخالدة ، وهو سبحانه ولي التوفيق» . في ٦ شهر رجب المُرْجَب ١٣٧٨ أبو القاسم الموسوي الخوئي.

«إن جماعة العلماء في النجف الأشرف أداة الله تأييدهم من أعلام أهل العلم ، المعروفين بدينهم وصلاحهم وإخلاصهم ، وإن جميع ما صدر عنهم وما سيصدر من الدعوة إلى الدين والإسلام ، ليس إلا القيام بوظيفتهم الدينية التي هي من أهم وظائف رجال الدين ، المكلفين من الله تعالى بإرشاد الأمة وتوجيهها إلى منهاجها القويم . فالمرجو من المسلمين أن يقفوا إلى جنبهم مؤيدين ومؤازرين ومعاضدين . والله تعالى الموفق» .

كربالا ٦ رجب ١٣٧٨ مهدي الحسيني الشيرازي

«إن ما أصدره جماعة العلماء في النجف الأشرف ، وهم من علماء الدين العاملين وما سيصدرونه من نشر أحكام الإسلام والدعوة للدين هو من صميم الواجب الشرعي . فعلى كافة إخواننا المسلمين تأييدهم ومؤازرتهم مؤازرةً للإسلام وصالح الأمة ، والله ولي التوفيق» .

٧ رجب ١٣٧٨ هجرية - عبد الكرييم الجزائري.

#### ٤- منشورات جماعة العلماء مادة تاريخية

صدر عن جماعة علماء النجف سبعة مناشير ، وهي مصدر تاريخي من الدرجة الأولى لتلك المرحلة ، تكشف ما طرحته الشيوعيون من أفكار وتشير إلى ما اقتربوا ، وتوجه الناس إلى مواجهتهم والتمسك بدينهم ، وتمدح الحاكم وتطمئنه بأن المرجعية والحوza لا يريدون الثورة عليه ، بل يرضون به حاكماً وزعيماً ، لكن يريدون الإنفاق من الشيوعيين الرعناء ، الذين وقفوا ضد الدين ، وعاشو في البلد فساداً .

وهي بذلك مادة لدراسة اتجاهين سيبرزان في مستقبل الحوزة وال伊拉克 ، وهما الإتجاه الإصلاحي ، الذي لا يعمل للوصول إلى السلطة ، بل يقدم مطالبه الإصلاحية للحاكم أياً كان ، ويطمئنه بأنه لا يعمل لإسقاطه .  
والإتجاه الإنقلابي الذي يعمل لإسقاط الحكم ، وإقامة الحكم الإسلامي .

#### ٥- المنشور الأول لجماعة علماء النجف الأشرف

«بسم الله الرحمن الرحيم»

أيتها الجماهير المسلمة ! أيتها الجماهير الكادحة ! أيها الشعب العراقي المجاهد:  
الآن ولأول مرة منذ مئات السنين ، تشرق في بلدنا الحبيب أضواء الحرية  
والاستقلال بفضل الثورة التحريرية الكبرى ، والمعركة الفاصلة التي وقف فيها  
الزعيم الأوحد والبطل المنقذ ، سيادة الزعيم الركن عبد الكرييم قاسم حفظه الله رائداً  
لإسلام والمسلمين .

والآن ولأول مرة أيضاً منذ قرون ، يشهد العراق زعامة حاكمة منبثقة من صميم الشعب ، تسهر على مصالحه ، وعلى تحقيق آماله وأحلامه ، وتبجاوب مع عواطفه ورغباته ، وتستمد منه قوتها الجبارية ، وسياستها الرشيدة .

في أيتها الجماهير المؤمنة بربها ، المخلصة لدينها ، الواثقة بزعميها ، الى رفع راية الإسلام بقيادة الزعيم الأوحد ، والإلتلاف حوله تحت هذه الراية المقدسة ، راية السماء التي رفعها أجدادكم في ظل قيادة مخلصة ، فقفزوا قفزتهم التاريخية الجباره وإذا بأمة متهالكة فقيرة كان يسودها الإستعمار والجهل ، تضحي بعد أن عاشت ربع قرن في ظلال الراية المقدسة ، أرقى أمم الأرض وأعظمها حضارة وسياسة وكرامة ، تحمل بيدها مشعل النور والهدایة للعالم كله ، وترسم لجميع الشعوب طريق الخلاص من الظلم والإستعباد . هيا الى راية السلام ، راية الكرامة الإنسانية والعزة ، راية الحرية والسعادة ، راية الإنعتاق والتحریر من القوى الطاغية ، فإن الإسلام اليوم هو الإسلام الذي ساد بالأمس في طاقته الجباره ، في مبادئه الرشيدة، في أهدافه الضخمة، في غايته الخيرة . وهاهو حاضر يلبي كل راغب في المساواة والعدالة الإجتماعية ، وكل محارب للظلم والطريقية والإستغلال الفظيع ، وكل طالب للسيادة والعزة والكرامة ، وكل من يؤمن بنفسه وببلاده وأمته .

إن الإسلام هو المحرر الأكبر للإنسانية ، من شتى ألوان الظلم والطغيان.. ومن نظام الطبقية الفاجر .. ومن الأثرة البغيضة .. ومن سيادة الهياكل الإجتماعية التي تخلقها الأنانية في مجتمعها . وثورتنا المباركة هي الثورة الكبرى لشعب العراق المسلم، فمن الطبيعي أن ترفع راية الإسلام باعتباره الطاقة السماوية التي في إمكانها أن تُمْوِّن ثورات التحرير بكل ماتصبو اليه من عدالة وسلام ومساواة ، وتحقيق أهدافها النضالية العالمية

أيها المسلمون: إن الإسلام ثروة فلا تخسر وها ، إنه دين الإنسانية الخالد الذي صاحبناه وعشنا معه قرونًا ، وقرونًا فلم نجد الكرامة المتعالية ، والسيادة الصحيحة إلا في ظله ، ولم ندق ألوان الشقاء الاجتماعي والسياسي والإقتصادي ، إلا لأننا لم ننصفه من أنفسنا ، ولم نشيد عليه أسس حياتنا . والزعامات الرأسمالية أعرف ما تكون بما في الإسلام من قوة كامنة في النفوس ، ونظام يقضى على جبروتها ، ولذا فهي لا تحارب شيئاً كما تحارب الإسلام ، ولا تخشى شيئاً كما تخشى سيادة الإسلام ، نصير الضعفاء ومحرر الشعوب ، ولهذا حاربته بكل وسائلها ، وحاولت أن تقصيه عن جميع المجالات ليتسع لها المجال للإستغلال بحقوق الضعفاء ، وخدرت عواطف المسلمين تجاه دينهم وإسلامهم ، وحاولت أن تجعل من الإسلام في نظر المسلمين علاقة إسمية بين المسلم وربه ، وتندع عنه الألوان الزاهية التي تحيفها كل الخوف ، وتهددها في مصالحها وأغراضها .

أما الآن ، وقد تحرر البلد من نير الإستعمار ، والنفوذ السياسي للمعسكر الإنتهازي ، ووجدت السفينة ربانياً الأفضل في شخص الزعيم المحبوب ، فلا بد أن يبرز الإسلام من جديد إلى المجتمع ، لينشر مفاهيمه التي شوهها المستعمرون ، ويشع بأضوائه التي حجبها المستغلون ، ويحمل بيده مصباح الهدى والسعادة ، ويمد الثورة المباركة بقبس من روحه الإصلاحية الرائعة ، ويثبت هذه الأمة التي رأت النور من جديد ، أن تجد في تراثها الخالد ، وفي جوانبها الحية وفي صميم كيانها ، دينًا يطهر النفس الإنسانية من نزعاتها الشريرة ، ويظهر المجتمع الإنساني من مظلماته ، ويخلصه من آلامه ، ويعلن مبدأ الأخوة العامة بين جميع المسلمين، ويحارب الفقر والترف ، ويضمن لرفقائه النصر-

والعزّة ، ويعدّهم بسعادة الدنيا وسعادة الآخرة . هذا هو الطريق فسيروا على اسم الله ، والى الملتقي القريب». جماعة العلماء في النجف الأشرف - ٢٣ جمادى الأولى ١٣٧٨ هـ

(منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف ١ - ٥ ص ٢٣، مطبعة النعمان - النجف)

قال الشهيد السيد مهدي الحكيم عليه السلام في مذكراته / ٢١ : « وكتب السيد الشهيد الصدر رضي الله عنه المنشور الأول للجماعة . وكان إسم عبد الكريم قاسم يتكرر في المنشور مرتين أو ثلاثة ، وكان إسمه يقرن مع نصير الإسلام ، لأن الشيوعيين سموه نصير السلام لكي يوحوا بأنه شيعي ، وكنا نحن نحاول كسبه إلى جهة الإسلام من خلال تسميته بنصير الإسلام ، أو للتغطية على عملنا ، لأنه كان شخصية محبوبة جماهيرياً في ذلك الوقت ، ووعينا كان بهذا المقدار ...»

إن المنشور الأول للجماعة غير موجود الآن لكونه ألمي ، وهو في الواقع لا يعبر عن فكر حقيقي ، وليس فيه اتجاه معين ، لأننا لم نكن نملك رصيداً من الممارسات من هذا النوع . إضافة إلى ذلك من المفترض وجود إسم عبد الكريم قاسم ، لأنه في حالة عدم ذكر إسمه في المنشور ، فإنه سيواجه الرفض جماهيرياً ، ومن ثم لا تتهيأ الفرصة لإذاعته عبر وسائل الإعلام ، بالرغم من أن نشر هذا البيان من الإذاعة ، كان شيئاً مهماً جداً في ذلك الوقت ».

أقول: أراد عليه السلام الإعتذار عن تضمين المنشور مدحياً لعبد الكريم قاسم ، وردّ ما أشاعه البعضون من أنه دعوة لعبد الكريم ، ليعلن نفسه خليفة ! وقد ذكرنا أن المنشورات السبعة تبقى مصدراً تاريخياً مهماً لتلك الفترة .

#### ٦- المنشور الثاني - رسالة توضيحية موالية للزعيم

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيُّ  
بَعْدَهُ ، وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَصَاحِبِهِ الرَّاشِدِينَ .

وبعد ، فلا يخفى على إخواننا المؤمنين بالله أن الدعوة الإلهية العليا التي أفصحت عنها القرآن الحكيم بقوله عز من قائل: **وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ  
وَيَمْرُونَ بِمَا يَعْرُوفٍ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالَّتِي أَكَدَهَا وَأَيَّدَهَا زَعِيمُ الْبَلَادِ**  
الموهوب سيادة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم حين وفدي عليه رجال الدين ،  
فأهاب بهم إلى النهوض بواجب التوجيه والإرشاد الذي هو من صميم  
وظيفتهم بصفتهم سدنة هذه الشريعة الغراء ، وهي العامل الوحيد الذي حفّز  
جماعة العلماء في النجف الأشرف إلى إصدار نشراتهم التوجيهية ، الداعية إلى  
التمسك بمبدأ الإسلام ، ونبذ ما عداه من المبادئ المرتجلة . وليس من شك في  
أن الدعوة الدينية الخالصة ، كالدعوة التي قام بها العلماء في النجف الأشرف ،  
لاتتحمل الإصطدام بلون غير لونها الديني ، المترنح عن جميع الألوان ، فمن الخطأ  
والخطأ الفاحش أن توصم هذه الدعوة بما لا يتفق وخطتها الواضحة الصريحة  
البعيدة عن جميع الميول والاتجاهات إذ كان التهجم عليها أمراً مقصوداً على أي  
حال ، فإن ذلك سوف لا يقف عقبة في طريق الداعين إلى الله ولا يحد من  
نشاطهم في سبيل إعلاء كلمة الله . وحسب الدعوة أن تكون مصونة بعنابة الله  
أولاً وبرعايتها زعيم البلاد ثانياً . وإن جماعة العلماء تقدم مراسيم شكرها

وتقديرها الى سيادة الزعيم الكريم على هديته الغالية ، المتمثلة بصورة شخصه الموقر، والمزينة بكلمة الإهداء المحررة بخط يده ، تبهر الى المولى جل شأنه خلصة في أن يديمه هذه الأمة ذخراً وفخراً وملاداً ومعاداً ، وأن يعيد الإسلام على عهده ما خسره العهد الغابر من مجده ، إنه على كل شيء قادر» .

مرتضى آل ياسين عن جماعة العلماء - ١٠ رجب سنة ١٣٧٨ هـ

(منشورات جماعة العلماء في النجف الأشرف - ١ - ٥ ص: ٢ و ٥٧ ، ط: ١٣٧٨).

وعلم هذا المنشور يشبه قلم المنشور الأول ، ويدل على أنهم أرسلوا وفداً إلى عبد الكريم يعرضون عليه تشكيل الجماعة ونشرها الأول ، ويظهر أنه رحب بهم وأهدى لهم صورته موقعة بعبارة الآتية:

«لقد استطاع رجال الدين الصالحون أن يجعلوا المشر-كين إلى حظيرة المؤمنين بتوجيههم الصحيح ، فأرجو منكم أنها الإخوان بصفتكم رجالاً مخلصين ، أن تجمعوا كلمة الشعب دوماً ، وأن ترفعوا من ثقافته الدينية بالتوجيه والإرشاد» .

عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء وقائد القوات المسلحة.

ولم أجد تاريخ هذه الكلمة ، وقد أخذتها من موقع الشهيد الصدر رحمه الله:

<http://www.mbsadr.com/arabic/pages/filelib.php?nid=١&picid=٢٥>

كما تدل الرسالة على أن القومين ومعهم البعثيون اتهموا جماعة العلماء بأنهم إخوان مسلمون ، لأنهم فهموا من خطابهم أن فيه تمجيداً للخلافة ، ودعوةً لعبد الكريم أن يعيد مجدها في بغداد ، ويكون خليفة المسلمين !

وقد ساعد على ذلك أن عبد الناصر كان يخوض معركته مع الإخوان المسلمين في مصر ، وأن عبد الكريم قاسم رفع الرقابة على كتبهم ، من أجل تضييف

التيار الناصري ، فدخلت الى العراق بكميات كبيرة ، وصار مستوردها في بغداد قاسم الرجب صاحب مكتبة المثنى، ثرياً كبيراً بسببها. و كنت ترى مكتبات النجف مليئة بكتب الإخوان من كل نوع ، والحوزة قراءة ، والشعب العراقي كله قراء ، فاتخذها القوميون ذريعة للتهمة .

كما اتهموا جماعة العلماء بأنهم شيوعيون ، لأن خطابهم تضمن نقداً للرأسمالية والإستعمار الغربي ، ومديحاً للزعيم ، اشتهر به الشيوعيون .

لكن فتوى السيد الحكيم رحمه الله ضد الشيوعية ردت تهمة القوميين والبعشين بأن جماعة العلماء شيوعيون ، وبقيت تهمة أنهم إخوان مسلمون !

○ ○

#### ٤- فتوى المرجعية: الشيوعية كفر وإلحاد

بعد تشكيل جماعة العلماء بنحو سنة ، ونجاح منشوراتها في تحريك المتدلين وفئات الناس ضد الشيوعيين ، رأت المرجعية أن الوقت حان لإصدار فتواوى ، فأصدر السيد الحكيم رحمه الله فتواه الشهير بتحريم الإنتماء الى الحزب الشيوعي ، جواباً على سؤال أحد هم ، ونصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم . لا يجوز الإنتماء للحزب الشيوعي ، فإن ذلك كفر وإلحاد ، أو ترويج للكفر والإلحاد . أعادكم الله وجميع المسلمين من ذلك ، وزادكم إيماناً وتسلیماً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ». .

محسن الطباطبائي الحكيم - ١٧ شعبان ١٣٧٩ .

كان ذلك بتاريخ: ١٥/٢/١٩٥٩م، وأذكر أنه كان يوماً فاصلاً بين مرحلة الصمت ، ومرحلة التصدي والمواجهة ! فقد ذهبنا مجموعة لبنانيين الى بيت السيد المرجع رحمه الله ، وكان الجو في الصحن الشريف وفي سوق العماره مختلفاً فقد لاحظنا فيه حضور عدد من المتدينين واستبشارهم ، ورأينا بخط كبير على الجدار قرب بيت السيد: الشيوعية كفر وإلحاد أو ترويج للكفر والإلحاد !

أما البيت فكان خلية نحل ، مملوءاً بالمناصرين الذين يراقبون رد فعل الشيوعيين ، والذين جاؤوا ليأخذوا الفتوى ليوزعوها في المحافظات ! وأذكر أنا رأينا في بيت السيد اثنين من رؤساء الشباب النجفي من أهل النجدة والباس ، هما الحاج عباس سدر وال الحاج هادي كر ماشة ، وعندما أردنا الخروج من بيت السيد رحمه الله قال لنا الحاج عباس: تعالوا نذهب معًا الى المدرسة اللبنانية مشياً ، لنرى من يتعرض لنا من هؤلاء الكلاب !

وذهبنا بجموعة طلبة ومعنا الحاج عباس رحمه الله وكان مسلحًا ، ومررنا في شارع (الفيترجية) مُصَدِّلِ حِيِّ السيارات ، وكنا لانمر فيه خوفاً من إهانتهم ! ونشرت بعض الصحف في بغداد الفتوى ، فكان لها تأثير غير عادي أنساً واستبشاراً في نفوس المتدينين وحتى القوميين والبعشين ، وصادمة وخوفاً في نفوس الشيوعيين ، ومقاومتهم الشعبية والمنظمات النصيرة لهم !

وبدأت على أثر الفتوى حركة شعبية تعلن تأييدها للمرجعية ، وكانت البصرة أول المبادرين ، وفيها علماء شجعان مثل السيد مير محمد القزويني والسيد علي

عبد الحكيم ، فعقدوا اجتماعات وألقوا الخطب ، وتحركوا الى النجف بوفود جماهيرية مؤيدة .

ولعل أول وفد جاء مؤيداً للسيد الحكيم رحمه الله ، كان من مدينة غراس القرية من النجف ، فقد كانوا عدة (لوريات) أي سيارات خشبية كبيرة ، كانت رائجة يومها ، الى جانب السيارات الصغيرة التي تسمى (الخوض) .

وقد رأيتم عن سوق العمارنة يسألون عن بيت السيد محسن الحكيم رحمه الله ، فمشيت معهم حتى دخلوا على السيد رحمه الله وزاروه ، وهتفوا تأييداً له .

ولما كثرت الوفود رأى مشاورو السيد رحمه الله أنه لابد من انتقاله الى الكوفة لأن بيته في النجف صغير ويقع في زقاق ضيق ، وببيته في الكوفة في شارع عام فانتقل السيد الى الكوفة ، وتدفقت الوفود الشعبية من أنحاء العراق على مدى شهر تقريباً ، ناقمة على الشيوعية مؤيدة للمرجعية ، وكان السيد رحمه الله يظهر للفد مشيراً اليهم بالسلام ، ويدعو لهم ، وكانوا يلقون الكلمات والقصائد ، ويطلقون هوسات التأييد .

#### ٨- من منشورات جماعة العلماء الى مجلة الأضواء

تعتبر مجلة الأضواء خطوة تصعیدية في عمل الحوزة لمواجهة المد الشيوعي وأفكاره المعادية للإسلام . فقد رأت الجهة التي اقترحت تشكيل جماعة العلماء ونجحت ، وابتكرت إصدار المنشورات باسمها وتوزيعها في المحافظات ، وتدريسيها ، ونجحت.. رأت أن المنشور لا يكفي لإيصال الفكر الإسلامي الى

الناس ، فلا بد من مجلة ولو شهرية . وأخذوا موافقة المرجعية على ذلك ، لكن السيد الحكيم والسيد عبد الهادي الشيرازي اشترطاً أن تقرأ موادها لجنة معتمدة منهمما، وعينا الشيخ خضر الدجيلي والشيخ حسين الهمданى لذلك . (راجع مقدمة بباحث الأصول: ٦٧ / ١، للسيد كاظم الحائرى).

وتطوع الشيخ كاظم الحلفي وقدم طلب إجازة إصدار مجلة دينية ، وتوسطت له المرجعية ، ومع ذلك طالت مراجعته شهوراً !

كنت في الكاظمية في صيف سنة ١٩٦٠ ، أستقبل أستاذنا الشيخ إبراهيم سليمان وكان في طريقه إلى الكويت كقاضي متدب من المرجع ، فوجدت الشيخ كاظم الحلفي رحمه الله في فندق الرضا عليه السلام ، وأخبرني أنه مضى عليه مدة وهو يراجع في وزارة الدفاع ، لأنّه أخذ إجازة بإصدار مجلة الأضواء الشهرية .

وجاءت الإجازة العتيدة من بغداد بعد طول انتظار ، ففرح الطلبة المتحمسون ومَوْلَى السيد الحكيم رحمه الله المجلة ، فاستأجروا لها مكاناً في شارع الطوسي ، وبعد مدة وجدوا أحسن منه قرب الصحن من جهة الباب القبلي ، واشتغلنا نحن الطلبة وأساتذتنا في كتابة المقالات وأخذها إلى مطبعة النعمان ، وتصحّحها ، ثم في رزم النسخ ، وإعطائها إلى الشباب المتحمسين ، ليوزعوها في محافظاتهم .

صدر العدد الأول في ١٥/١٢/١٣٧٩-٦/٩/١٩٦٠ ، أي بعد أكثر من سنة ونصف من تشكيل جماعة العلماء ، ومعناه أن الجماعة لم تصدر في تلك المدة إلا بضعة مناشير ! وستعرف أن سبب ذلك معارضته أكثر العلماء لأصل المنشورات أو لأسلوبها ، وأنهم لنفس السبب عارضوا مجلة الأضواء ، وخاصة افتتاحيتها التي كان يكتبها السيد

الصدر رحمه الله بعنوان: رسالتنا ، بحجة أنها خطاب سياسي حزبي ، حتى أجبروه على ترك الكتابة والمجلة ، كما سيأتي من كلامه رحمه الله .

#### ٩- تأثير الأضواء وتخوف البعثيين والقوميين منها

كان لصدور الأضواء تأثير واسع في بغداد ومحافظات العراق ، ولم يكن ينظر إليها على أنها مجلة ، بل على أنها مرحلة من حملة المرجعية على الشيوعية واستمرار لمنشورات جماعة العلماء ، فلغتها نفس اللغة ، وعليها عبارة: (نشرة إسلامية عامة ، تشرف عليها اللجنة التوجيهية لجماعة العلماء)

فهي مجلة رسمية لللجنة التوجيهية لجماعة علماء النجف ، المؤيدة رسمياً من المرجعية . وهذا أمر أعطى الأضواء ثقلاً علمياً ودينياً عند الناس ، وثقلأً سياسياً في نظر الدولة والقوميين والبعثيين !

ولذلك كانوا يسمون الناشطين الم الدينين في المحافظات بـ جماعات الأضواء أو جماعات الحكيم ، وأشاعوا أنهم حزب يعمل لقلب النظام والوصول إلى الحكم ، واشتكوا عليهم عند المرجع وكبار العلماء بأنهم حزب سري ، لتخويفهم منهم ، واشتكوا عليهم عند السلطة لتأليبيها عليهم !

ويتبغي الإلفات إلى أن القوميين كانوا يرفعون شعار العروبة وتأيد جمال عبد الناصر ، ويتلقون دعماً مالياً وسياسياً من مصر لأنهم يمثلون التيار العربي الناصري في العراق ، وكان البعثيون على هامشهم ، لكن المصريين أعجبتهم شراسة البعثيين وجرأتهم عندما عرضوا عليهم قتل عبد الكريم قاسم ، فوافقوا !

وقد اعترف علي صالح السعدي في مذكراته وهو أمين سر حزب البعث يومها، بأنهم تلقوا مبلغًا من السفاره المصريه في بغداد ، لقتل عبد الكرييم قاسم . وفي يوم: ١٩٥٩ / ١٠ / ٧ ، نفذت مجموعة بعثية محاولة اغتياله في شارع الرشيد وأصيب عبد الكرييم في كتفه وصدره وقتل سائقه وأحد المهاجمين:

[http://www.iraqoftomorrow.org/civil\\_studies](http://www.iraqoftomorrow.org/civil_studies)

#### ١٠- عمل جماعة العلماء ولجنة الأضواء ضد الأضواء !

قال بعض القربيين من السيد الصدر: كان في النجف شخصيات من الحوزة وغيرها، محسوبة على القوميين والبعثيين ، عملوا ضد الأضواء والسيد الصدر ، ولم يكونوا شيوعيين ، بل قوميين مع عبد الناصر .

وقد نشطوا ضد منشورات جماعة علماء النجف ، ثم ضد الأضواء ، بحججه أنه يكتبها هو والسيد مهدي الحكيم ، وعندما حزب سري ، وأنهما يقumen بالاتصال بالضباط للقيام بانقلاب والوصول إلى الحكم .

وقد أثر هؤلاء على اللجنة الثلاثية التي كانت تراقب منشورات جماعة العلماء والأضواء ، فأوقفت المنشورات فلم تتجاوز سبعة ، مع أن الأحداث كانت تستوجب إصدار منشور كل أسبوعين على الأقل .

ثم أثروا على اللجنة فاعتراضت على مواد الأضواء ، خاصة افتتاحيتها التي كان يكتبها السيد الصدر رحمه الله وأجبروه على الإنسحاب من الأضواء .

ثم أثروا على المرجع السيد الحكيم رحمه الله عندما اشتكوا على أولاده والسيد الصدر بأنهم أسسوا حزب الدعوة ، فغضب السيد وأمر ولديه أن ينسحبوا وقطعوا صلتها بالسيد الصرد ، فخرجا من التنظيم وكذا السيد الصرد . لكن لا يمكن قبول أن اللجنة المسؤولة عن الأضواء والمعينة من جماعة العلماء كانت ساذجة بحيث يؤثر عليها قوميون وبعثيون ، ظاهرون أو متسترلون ، فتتخذ لذلك موقفاً ضد منشورات جماعة العلماء ، ثم ضد مقالات الأضواء، وضد أشخاص محترمين كالسيد الصرد وأبناء المرجع !

فاللجنة الثلاثية هي: الشيخ مرتضى آل ياسين وهو حال السيد الصرد ، والشيخ خضر الدجلي ، وهو ممثل السيد الحكيم ، والشيخ حسين همداني ، وهو ممثل السيد عبد الهادي الشيرازي . وهم من كبار العلماء الأبرار ، فلا بد أن نُرجع تحفظاتهم إلى سب آخر هو لغة المنشورات والمقالات ، كما قال السيد الصرد رحمه الله في رسائله التي بعث بها إلى السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله ، ونشر- فقرات منها ، قال رحمه الله : « بعد مضي أقل من عام تَكَبَّلت جماعة العلماء من بناء قاعدة إسلامية شابة ، ولذا قررت هذه الجماعة إصدار نشرة الأضواء الإسلامية كأداة للتعبير عن وجودها من ناحية ، ولمواصلة السير في الطريق الذي رسمته من ناحية ثانية . وقد بعثت مجلة الأضواء من خلال خطها الفكري والسياسي ومن خلال ما رسمته من معالم الطريق الإسلامي وخطوطه العريضة ، وبالأخص الخطوط التي كانت ترسم ضمن موضوع (رسالتنا) الذي كان يكتبه

السيد الشهيد الصدر باسم جماعة العلماء وبإذنها طبعاً ، بعث الروح الإسلامية في قطاعات واسعة من الجماهير . وسافرت إلى لبنان في سنة ١٣٨٠ هـ ، حيث كانت طموحاتنا أن ننقل أفكارنا إلى ذلك البلد ، وودعت السيد الأستاذ الشهيد حيث كان في الكاظمية حينذاك بعد أن عشت معه أياماً ، وكنت أرسله باستمرار في رسائل طويلة ، وكان يحببني بأخرى يتحدث فيها عن عواطفه الفياضة ، وهمومه الإسلامية . هذه الرسائل التي أرى فيها أنها أعز ما أحافظ به من ذكريات تلك الأيام . وفي هذه الرسائل بدأ السيد الأستاذ الشهيد يحدثنى عن هجمة قاسية شرسة قام بها حزب البعث ، تستر على بعض أهل العلم من أعضاء جماعة العلماء وغيرهم الذين انكشف لهمحقيقة هذا الحزب ، كما تكشفت لنا حقيقته ، نتيجة الوعي الإسلامي الذي بعثه السيد الشهيد فينا .

ففقد كانت الواجهة في هذه الهجمة بعض من يتسب إلى أهل العلم ، ولكن كانت يد حزب البعث وراءها ، حيث يطرح السيد الأستاذ في بعض رسائله بأن المحامي حسين الصافي الذي كان معمماً من قبل ، ومن عائلة علمية ، وله صلات شخصية وطيدة بعض أهل العلم ، ومسؤول حزب البعث العربي في النجف الأشرف ، كان وراء هذه الحملة وتحدى إلى بعض الأشخاص لإثارتهم .

فقد كتب لي السيد الشهيد في صفر من سنة ١٣٨٠ هـ يقول: « لقد كان بعده أبناء وهبته ، وكلام وضجيج ، وحملات متعددة جندت كلها ضد صاحبك

وبغية تحطيمه... ابتدأت تلك الحملات في أوساط الجماعة التوجيهية المشرفة على الأضواء ! أو بالأحرى لدى بعضهم ومن يدور في فلكهم ، فأخذوا يتكلمون وينتقدون ، ثم تضاعفت الحملة ، وإذا بجماعة تبرى من أمثال حسين الصافي ، ولا أدرى ما إذا كانت هناك علاقة سلبية وارتباط بين الحملتين أو لا ؟ ! تبرى هذه الجماعة ، فتذكرة عنني وعن جماعة من تعرفهم شيئاً كثيراً من التهم من الأمور العجيبة » !

ومن الملاحظ أنه استعمل البعض في هذه الحملة أسلوبين رئисيين: الأول: أسلوب الإتهام بأن هذه المجلة لا تعبر عن رأي جماعة العلماء ، وإنما هي تعبّر عن رأي تنظيم سياسي ديني سري يستغل إسم جماعة العلماء . وقد كان الإتهام بالتنظيم السياسي في تلك الفترة الزمنية يعتبر تهمة شنيعة ، بسبب التخلف السياسي الديني في أوساط الم الدينين وبالأخص أهل العلم منهم . الثاني: موضوع (رسالتنا) الذي يكتب باسم جماعة العلماء ، وكان يكتبه السيد الشهيد الصدر ، دون أن يعرضه على أحد منهم ، فقد كتب السيد الشهيد نفس الفترة يقول: «كما أن هناك زحمة من الإشكالات والإعتراضات لدى جملة من الناس أو الآخوندية في النجف على النشرة وخاصة (رسالتنا) باعتبار أنها كيف تنسّب إلى جماعة العلماء مع أنها لم توضع من قبلهم ولم يطلعوا عليها سلفاً، وإن في ذلك هدراً لكرامة العلماء !

هذا في الوقت الذي يقول الأخ... إن الكلمة في بغداد متفقة على أن رسالتنا

كتابة تجديد وابتكار، تختص بمستواها الخاص عن بقية الأضواء».

وقد كتب (الشهيد الصدر) في ٦/ريبع الأول /١٣٨٠: «لا أستطيع أن أذكر تفصيلات الأسماء في مسألة جماعة العلماء وحملتها على الأضواء... ولكن أكتفي بالقول بأن بعض الجماعة كان نشيطاً في زيارة أعضاء جماعة العلماء لإثارتهم على الأضواء وعلى (رسالتنا) حتى لقد قيل إن الشيخ الهمداني الطيب القول ، قد شوهت فكرته عن الموضوع... وهذا الذي حصل بالنسبة للشيخ الهمداني حصل بالنسبة إلى جملة من الطلبة ، مع الإختلاف في بعض الجهات ...

وقد كتب أيضاً: «إنني أجيبك على سؤالك فيما يخص موقف الحال ، فإن الشيخ الحال كان في الكاظمية بعيداً عن الأحداث نسبياً ولم يطلع إلا على سطحها الظاهري ، وهو ماض في تأييده للأضواء ومساندته لها ، وقد طلبت أن يكتب إلى بعض جماعة العلماء لتطييب خاطرهم وجلب رضاهما عن الأضواء... فكتب إلى... وأخبره بأن الأضواء لم تكن تصدر إلا بعد مراقبته وإشرافه ، وأنها تناط الآن... كما أخبره بأن كاتب (رسالتنا) سوف ينقطع عن الكتابة» .

وأيضاً كتب السيد الشهيد: «فقد حدثني شخص في الكاظمية أنه اجتمع به في النجف الأشرف ، فأخذ يذكر عني له سخن التهم كالها حسين الصافي من دون مناسبة مبررة . وعلى كل حال عسى أن يكون له وجه صحة في عمله إن شاء الله ! وقد كانت هذه الإثارة دور كبير في تحريك جماعة العلماء بالخصوص ضد

السيد الشهيد والمجلة ، بخلاف الأسلوب الأول ، فإن دوره الأساسي كان في أوساط المتشدّدين من أهل العلم البعيدين عن التيار الإسلامي وهمومه ومشاكل الأمة وانحرافاتها الفكرية والسياسية ، ولذا كان تأثيره على جماعة العلماء محدوداً... وقد أحسن السيد الأستاذ الشهيد الصدر في معالجة الموقف بهدوء، حيث تمكّن أن يثبت حينذاك أنه لا ينتمي إلى تنظيم سياسي معين ، كما أنه منحت اللجنة التوجيهية لجماعة العلماء الإشراف الفعلي على المجلة وعلى موضوع (رسالتنا) وتمسّك بالصبر والسكوت ، فقد كتب يقول: «وأما واقع الأضواء هنا فهو واقع المجلة المجاهدة في سبيل الله ، وقد هدأت والحمد لله حملة جماعة العلماء عليها ، بعد أن تم إشعارهم بأنهم المشرفون عليها . غير أن حملة هائلة على ما أسمى يشنها جملة من الطلبة ومن يسمى بأهل العلم أو يحسب عليهم ، وهي حملة خفيفة وقد أدت على ما قيل إلى تشويه سمعة الأضواء في نظر بعض أكابر الحوزة ، حتى كان جملة من يسمّهم المجتمع الأخوندي مقدسين أو وجهاء لا يتورعون عن إلصاق التهم بالأضواء وكل من يكتب فيها .

ومن الجدير بالذكر أنه كان الإخوان في اللجنة التوجيهية يتسامحون في تقديم ما يكتبوه إلى الجماعة للإشراف المباشر عليه ، خوفاً من ملاحظات تبديها الجماعة تمس الصيغ الجديدة التي كانوا يقدمونها للأفكار الإسلامية التي كانت تمد التيار الإسلامي الوعي بالوقود والعطاء .

ولكن التجربة التي مارسوها بعد الضجة دلت على أن جماعة العلماء كانت على

درجة من الوعي تجعلها لا تعارض مثل هذه الأفكار بل تمنحها التأييد والقبول ، لأنه يشهد رضوان الله عليه بعد ذلك في تاريخ ١٨ ربيع الأول يقول: « وأسرة الأضواء التي لا غبار عليها وجه من الوجوه مورد للإطمئنان الكامل ، وهم يعرضون مقالاتهم على الثلاثة [لجنة المراقبة] ولم يصادفوا لحد الآن مشكلة مبدئية في هذا المقام ، والحمد لله رب العالمين ».

« حدي أن الأضواء سوف تستمرة إن شاء الله تعالى ، لأنها تتمتع الآن برصيد قوي من الداخل والخارج ، فمن الخارج بلغت عدد الإشتراكات .. ومن الداخل تتمتع برضاء جماعة العلماء ».

وهكذا تمكّن السيد الشهيد رضوان الله عليه بحكمته وصموده وصبره ، أن يواصل طريقه مع إخوانه وتلامذته في الجهاد ، وأن يقفوا جميعاً في وجه هذه الهجمة الشرسة التي استغلّت أحسن المشاعر في الإنسان ، واستعملت أخبث الأساليب . وتمكن بسبب ذلك الخط الإسلامي الأصيل أن يستمر في تفاعله مع الأمة والتأثير فيها ». (مقدمة مباحث الأصول: ٦٧ / ١، للسيد كاظم الحائرى).

وينبغى أن نسجل هنا ملاحظات:

١ - أن الذين وصفهم السيد الصدر رحمه الله بأنهم قادوا الحملة ضده ، هم من جماعة العلماء ، ومن اللجنة التوجيهية التي عينوها لشرف على الأضواء  
قال رحمه الله: « هجمة قاسية شرسة قام بها حزب البعث ، تسترت ببعض أهل العلم من أعضاء جماعة العلماء وغيرهم ». وقال: « ابتدأت تلك الحملات في أواسط الجماعة التوجيهية المشرفة على الأضواء ! أو بالأحرى لدى بعضهم ومن يدور في فلكهم !

وأعضاء جماعة العلماء هم ثقل حوزة النجف بعلمائها ومرجعيتها ، وقد عدُوا منهم: الشيخ محمد جواد آل راضي ، والشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي ، والشيخ حسن الجواهري ، والشيخ محمد حسن الجواهري ، والشيخ محمد رضا المظفر ، والشيخ خضر الدجيلي ، والشيخ حسين الهمданى ، والسيد محمد تقى بحر العلوم ، والسيد علي الخلخالي ، والسيد مرتضى الخلخالي، السيد موسى بحر العلوم ، والشيخ مرتضى آل ياسين ، والسيد إسماعيل الصدر ، والسيد محمد باقر الشخص ، والسيد موسى بحر العلوم ، الشيخ محمد تقى الإيراني..وآخرين.

ومقصود باللجنة التوجيهية لجماعة العلماء: بضعة نفر من شباب العلماء على حد تعبير السيد محمد باقر الحكيم ، منهم الشيخ كاظم الحلفي صاحب الإمتياز ، والشيخ عبد الهادي الفضلي ، والسيد عدنان البكاء ، وآخرون ، كانوا موكلين من جماعة العلماء بتحرير المجلة والإستكتاب لها ، لكنهم لا يملكون القرار ، لأن جماعة العلماء عينت لهم ثلاثة علماء (الدجيلي والهمدانى وآل ياسين) وجعلت لهم حق قبول المواد أو ردها .

٢ - المقصود بالثلاثة كما تقدم الشيخ الدجيلي مثل المرجع الحكيم ، والشيخ حسين الهمدانى مثل المرجع السيد عبد الهادي الشيرازي ، والشيخ مرتضى آل ياسين رئيس جماعة العلماء . والثلاثة من العلماء الكبار رضوان الله عليهم .

ومعنى كلام السيد الصدر رحمه الله: «حتى لقد قيل إن الشيخ الهمدانى الطيب القول ، قد شوهت فكرته عن الموضوع...وهذا الذي حصل بالنسبة للشيخ الهمدانى حصل

بالنسبة إلى جملة من الطلبة » معناه أن العاملين ضده أثروا على الشيخ الهمداني فصار رأيه سلبياً في الأصوات ومقالاتها ، ومثله جملة من الطلبة . وتقديرني أن موقف الهمداني و موقف الشيخ الدجيلي رحمهما الله ، وغيرهما من جماعة العلماء ، لا يرجع إلى تأثير الآخرين عليهم ، بل إلى قناعتهم بالأسلوب التقليدي في التبليغ ، وبالعمل الإصلاحي في السياسة وإشكالهم على الطرح الإنقلابي للإسلام ، والعمل لإقامة حكم إسلامي .

فهذا هو موقف المرجع السيد الحكيم ، والمرجع السيد عبد الهادي الشيرازي ، وقد كان ممثلاً الشيخ حسين الهمداني يسكن قرب المدرسة اللبنانية ، فكنت أزوره مع بعض الطلبة فيسألنا عن دروسنا ، ويحدثنا بما ينفعنا ، وكان ينصحنا بسلوك الخط الذي سار عليه السلف الصالح من العلماء والمراجع وأصحاب الأئمة عليهما السلام ويجذرنا من الإنجرار إلى السياسة !

أما حسين الصافي ، الذي ذكره أستاذنا رحمه الله بأنه كان يحرك عليه ويفترى ، فيختلف منطلقه عن ذكرهم السيد الصدر أنهم قادوا الحملة عليه من جماعة العلماء ومن اللجنة التوجيهية ، فحسين الصافي بعثي عريق ، كان يعمل بدهاء ضد جماعة العلماء والأصوات والسيد الصدر رحمه الله ، وهو الذي دخل على المرجع السيد الحكيم رحمه الله وبقي واقفاً ولم يجلس وسأله قائلاً: سيدنا ، هل تعمل أنت في السياسة؟ قال: لا. قال: هل تقبل أن ي عمل أحد باسمك في السياسة؟ قال: لا. قال: إذن ليكن معلوماً لديك بأن ابنك السيد مهدي والسيد محمد باقر الصدر

أسسا حزباً للوصول الى الحكم ، وهم يعملان باسمك ! فدهش السيد حَمْدُ اللَّهِ من كلامه وقال له: أجلس ، قال: لا ، شكرأً ، فقد أردت فقط أن يكون عندك علم ! فتأذى السيد المرجع كثيراً ، ودخل الى بيته ذلك اليوم ولم يستقبل أحداً ، وأرسل في إحضار السيد مهدي والسيد باقر رحمهم الله ، ونهاهم .

وقد روى القصة الحاج محمد حسين أديب بشكل آخر لم يصح عندي، قال: « جاء حسين الصافي ، وهو رجل بعثي لئيم جاء إلى المرحوم آية الله الحكيم وقال: إن السيد الصدر وآخرين من ذكر أسماءهم ، قد أسسوا حزباً باسم حزب الدعوة الإسلامية ، وبهذا سيهدمون الحوزة العلمية ! وببدأ يهدد ويتكلّم ضد من أسماهم مؤسسين للحزب ، فنهره آية الله العظمى السيد الحكيم وقال له: أفانت أحرص على مصالح الحوزة العلمية من السيد الصدر؟ ثم أخرجه من بيته بذل وهوان ، ثم أرسل رضوان الله عليه أحد أولاده إلى السيد الصدر ..» (مباحث الأصول للسيد كاظم الحائرى: ١٨٨).

وبعد انقلاب القوميين والبعثيين على عبد الكريم ، صار حسين الصافي محافظ الديوانية ، ثم صار وزيراً للعدل سنة ١٩٧١ ، وتوفي ١٩٨٧.

#### ١١-الشيخ مرتضى آل ياسين: الأضواء حابت بنية!

انسحب أستاذنا الصدر حَمْدُ اللَّهِ من الكتابة في الأضواء، واعتكف مدة في الكاظمية بسبب هجوم جماعة العلماء الذي ذكر هَمْدُ اللَّهِ ضده وضد الأضواء ، وبقيت

الأضواء مستمرة ومؤثرة في الناس لكنها فقدت بريقها ، لأن الحملة على السيد  
الصدر رحمه الله جعلتها محل خلاف بعد أن كانت محل إجماع !

وبقيت بعد ذلك لسنة وأكثر يكتب على غلافها: تشرف عليها اللجنة  
التوجيهية لجماعة علماء النجف ، حتى أزيل عنها ، وكتب بدله: مجلة دينية  
تشرف عليها لجنة توجيهية من الهيئة العلمية في النجف . ثم أزيل وكتب عليها:  
مجلة دينية تشرف عليها لجنة توجيهية من العلماء !

وسبب ذلك أن جماعة العلماء شكوا من أنها تنسب إليهم بدون حق! وقد  
أثاروا حتى على الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله فكان يتقد نشر موضوعاتها بدون  
معرفتهم !

فقد أخبرني الشيخ الحلفي أنه زاره وقدم اليه الأضواء فقال له: سمعت أن  
الأضواء «جابت بنية» ! ويقصد ببنت الأضواء مجلة صغيرة وزعوها ملحاً ،  
إسمها «الفتاوة المسلمة».

وكان الشيخ الحلفي يشكو من تأخيرهم المقالات ، وكثرة إشكاالتهم !  
وهكذا تضاءل تأثير الأضواء على الناس ، لأن المتدينين التقليديين لم يعودوا  
حربيصين عليها ، والمتدينين الشباب الذين كنا نسميهما «الواعدين» كانوا يرونها  
نافعة ، لكن الذي يسد حاجتهم هو النشرة التنظيمية .

وكانت الأضواء عملياً هي الشيخ الحلفي رحمه الله فهو صاحب الإمتياز ، وهو  
المتفرغ ، والمسؤول عن تدبير ماليتها من السيد الحكيم رحمه الله والخيرين .

وكان أصعب عمله تبيئة المقالات ، فكتاب الموضوعات التي يريد لها قلة فكان يستكتب حتى الناشئين أمثالى ، وكان عمري يومها ثمان عشرة سنة .

وقد كتبت في السنة الثالثة موضوعاً بعنوان: دادع الحياة في نظر المؤمن ، ثم موضوعاً في العدد التاسع بعنوان: أخي المثقف علينا أن نفهم الإسلام . وقد هنأني يومها الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله على هذا القلم الجيد لكنني قرأت الموضوعين بعد ذلك فرأيتهما عاديين ، تغلب فيها العاطفة على العلمية ، ولا يتناسبان بحال مع مجلة تحمل إسم حوزة النجف !

ثم كتبت في السنة الرابعة افتتاحية الأضواء «كلمتنا» لعددين بعنوان: الصلة بين النبوة والإمامية ، وكان أسلوبي شديداً في نقد منكري الإمامية ، فعاتبني أستاذنا الصدر رحمه الله بعد صدور العدد ، حيث لم يكن يرى المقالات أحد سوى الشيخ كاظم الحلفي رحمه الله !



## الفصل الثامن:

### عهود قبل الاستبداد البعشي

#### ١- لماذا سلط عبد الكريم الشيوعيين على الناس؟

كان الجو الحاكم في البلاد العربية موجة التأييد لعبد الناصر وشعاراته القومية المعادية للغرب ، وانقسمت الدول العربية الى تحريرية بزعامة عبد الناصر، ورجعية موالية للغرب بزعامة آل سعود وملوك العراق والأردن .

وفي هذا الجو لا بد أن تكون الثورة على النظام الملكي العراقي معاديةً للغرب ومنفتحةً على الشرق الشيوعي ، وهذا هو منطق عبد الكريم ورفاقه الضباط الأحرار، فهم لا يريدون الخضوع لعبد الناصر، ولا يريدون عداه .

لكن عبد الناصر وأنصاره كانوا يصررون على إخضاع العراق لهم وإعلان الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة ، التي وصلت الى حدوده !  
أمام هذا الوضع رأى عبد الكريم أن يستعين بالشيوعيين ، فهم يستطيعون بشعاراتهم وتنظيمهم ونشاطهم ، أن يساندوه ويقفوا في وجه القوميين والبعثيين عملاء عبد الناصر ، ومعهم الم الدينون السنة ، وبعض الشيعة !

لذلك أطلق عبد الكريم يد الشيوعيين ، لكنهم كانوا مجانيين ! فقد اشتروا عداء عبد الناصر ، حتى كتبوا على جدار سفارته في بغداد: شيلوا سفارتكم ما نريد وحدتكم . قواويد ! وعلق أحد الطلبة المحبين لعبد الناصر يومها ، فقال: إن الكلمة الأخيرة توقيع الذي كتب الشعار !

ثم استَعدُوا المسلمين سنة وشيعة بشعاراتهم ضد الدين ، كشعار: الدين أفيون الشعوب ، مع أن الدين محرر الشعوب ، وشعار: بس هالشهر ، ماكو مهر والقاضي نذبه بالنهر !

أي هذا آخر شهر نعطي فيه مهوراً وسنلغي عقود الزواج ! وهو إباحية لا يقبلها مجتمع في العالم فكيف بمجتمع العراق العربي المسلم ! ولعل هذا الشعار كان مكذوباً عليهم ، لكنه يدل على اندفاعتهم وإفراطهم !

لكن لا بد أن ننصف الشيوعيين ونقول إنهم لم يكونوا ملحدين ، وربما كان في قياداتهم بضعة أشخاص يتبنون الشيوعية العلمية والديالكتيك ، الذي يعني الإلحاد ، أما كوادرهم وجمهورهم ، فلم يكونوا ملحدين !

ففي سنة ١٩٦٢، قلت للسيد مرتضى الحكيم رحمه الله: هل نستطيع أن نعرف ماذا يدرّس الشيوعيون في حلقاتهم؟ قال: عندي صديق أخبرني أن جواد علي بك ، وكان مسؤولاً شيوعاً في النجف يعقد جلسات في بيته ، وسألته أن يعرف لنا ماذا يدرّسهم؟

وبعد أيام قال لي: كلفته فراقبهم فقال: جاء جواد وبيده كتاب رأس المال لماركس ، وجلس حوله أربعة هم أعضاء الحلقة ، فابتداً كلامه فقال: قال الرفيق لينين ، أللّه يرحمه ويرحم شيعة أمير المؤمنين!

فضحّكنا بهذه المفارقة ! ورأينا مثلها في مواكب عاشوراء ، فقد كانوا يشاركون في المواكب ، ويجدون ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، لأنها برأيهم ثورة الطبقة

## الكادحة ضد البرجوازية الأموية !

لذلك لا يمكن القول بأن الموجة الشيعية التي طغت يومها في العراق ، كانت تتبني الإلحاد ، وتريد تعديمه على العراق ، وإن كان غوغاؤها رفعوا عدداً من شعارات الإلحاد ، وظهر منهم كثير من الجنون الهستيري !

وخير وصف لهم أنفلتوا من سجن النظام الملكي ، ورأوا أناساً يركضون ويهتفون، فركضوا معهم وهتفوا ، حتى اصطدموا بالجدار !

### ٢- غلو الشيعيين في الزعيم الأوحد !

كان عبد الكريم قاسم بالنسبة إلى الشيعيين فرصة العمر التي لاتتكرر ، لذلك غالوا فيه وسموه الزعيم الأوحد ، وأطلقوا في تمجيده شعارات مفرطة ، وهتفوا بموت من يعاديه ، بل بموت من لا يواليه !

وربما كانوا يحاولون بذلك تغطية خسارتهم الشعبية ! لكن غلوهم بالزعيم كان عاماً في كره فئات من الناس له ! وقد وصف الشواف في بيانه الأول مغالاتهم فيه بقوله: «وتعيىث بالبلاد مقابل ذلك فئة ضالة باغية لا دين لها ولا ضمير ، تخلق لها صنماً به لوثة في عقله وتعبده ، ولا تخشى الله وتنادي به رباً للعالمين ، وتُسخر موارد الدولة لتخلق منه زعيماً أوحداً ، ومنقداً أعظم ». .

لكن الواقع أن فئات من الشعب كانت تحب عبد الكريم حباً حقيقياً ، حتى بعد أن قتله البعثيون عملاء عبد الناصر ، فقد كانت هذه الفئة الواسعة معجبة بحسه الشعبي ، وتشعر أنه منها ويمثل ضميرها !

وكان عبد الكريم يحب الجمّهور ويقترب إليه بكلامه وسلوكه ، كان يُخرج

علبة التبغ ويلف سيجارة كعامة الناس، ليشعرهم أنه منهم ومثلهم .  
 وكان يخرج من وزارة الدفاع في أوقات يأمن فيها ، ويقوم بجولات بين الناس  
 ليراهم ويروه . وقد حدثني سكرتيره جاسم العزاوي وكان من الحالص ، أن  
 عبد الكريم أيقظه يوماً قبل الفجر وقال له: جاسم قم شغل السيارة ، وركب  
 معه وأمره أن يذهب من الجسر المعلق ، ثم الى الكرادة ، ثم الى قناة الجيش ، ومرَّ  
 على مخبز الصِّمُون (الخبز الفرنجي) في قصته المشهورة .  
 قال العزاوي: ورأى عند قناة الجيش مجموعة نساء جئن من الريف باكرأليبعن  
 القيمر والرُّوب (القشطة واللبن) فأمرني بال الوقوف ، ونزل وسلم عليهم (السلام  
 عليكن خالاتي) وعرَّفهن بنفسه ، ففرحن به وهلهلن ، فتحدث معهن ، ثم ركب  
 وقال لي: أرأيت أن الشعب يحبني ، وأنا أحبهم !  
 وسألته عن الإصلاح الزراعي وكان وزيره ، فقال: هو الإفساد الزراعي !  
 وأخذ يتكلم عن التعديات على أملاك الناس وسوء الإداره والتوزيع !

### ٢-تأثير الموجة الشيوعية على السنة في العراق

تضمر متدينوا السنة وعلماؤهم من الموجة الشيوعية ، وكان ثقلهم في الموصل  
 بزعامة الإخوان المسلمين ، وفي الأعظمية ببغداد بزعامة الفتى ورجال الدين ،  
 لكن مقاومتهم كانت خفيفة ، جاءت على هامش مقاومة المرجعية وعلماء  
 الشيعة وجمهورها المتحمس ، فكنا نرى في النجف وفود مشايخ من الأعظمية

وغيرها ، يزورون المرجعية مؤيدين متضامنين ، كما زاروا المرجع السيد الحكيم رحمه الله في سفرته الى بغداد وسامراء .

أما المراقب العام للإخوان المسلمين وهو الشيخ محمد محمود الصواف فلم يتحمل مضايقة الشيوخين في الموصل وذهب بها عريضة ، فهرب في أول موجتهم سنة ١٩٥٩ إلى السعودية ، واستقر هناك إلى آخر عمره !

فخلفه عبد الكريم زيدان ورفع مذكرة إلى عبد الكريم قاسم تدين الأوضاع في العراق ، وتحمله مسؤولية ما يجري : « فأمرت السلطات بإلقاء القبض على عبد الجليل ابراهيم ، ووليد عبد الكريم الأعظمي ، وعلى تسعه أعضاء بارزين في حزبهم ، وأغلق مقر الحزب في بغداد يوم ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٠ ، وفي ١٦ اذار ١٩٦١ ، أصدر الحاكم العسكري أحمد صالح العبدى بياناً حل فيه الحزب . وبعد حله انقسمت جماعة الإخوان إلى قسمين: الأول ، أراد مواصلة العمل بصورة سرية ، وآخر دعا إلى الانصراف إلى التربية والتوقف عن ممارسة أي نشاط حتى إشعار آخر ، ومع ذلك فقد واصل الحزب إصدار بيانات تحت تسميات مختلفة مثل: الرابطة الإسلامية ، والجبهة الإسلامية » <http://www.madarik.org/mag.htm> .

ثم جاء عبد السلام فكان العهد الذهبي للإخوان ، وأجاز حزبهم .

أما السياسيون السنة ، فكانوا مؤيدين لعبد الناصر ، وقد نشطوا بإدارة مصر - وتحالفوا مع البعشين ، لإسقاط نظام عبد الكريم ، حتى أسقطوه .

#### ٤- أول ثورة ناصرية على عبد الكريم قاسم

كان عبد الناصر مستعجلًا لضم العراق إلى دولته «الجمهورية العربية المتحدة» فدفع عبد السلام لذلك ففشل ، ثم دفع عبد الوهاب الشواف وكان قائد الفرقة الخامسة من الجيش في الموصل ، ومعه ناظم الطبقجي قائد الفرقة الثانية ، وبعث لهم أسلحة عن طريق سوريا ، فقاموا بانقلابهم في الموصل ونجحوا أول الأمر ، وأذاع الشواف البيان الأول ، وجاء فيه:

«أيها المواطنين: عندما أعلن جيشكم الباسل ثورته الجباره في صبيحة  
١٤ تموز الحالـ ، عندها حطم الإستعمار وعملاـهـ وقضـىـ علىـ النـظامـ المـلكـيـ ،  
وأقامـ بـمـؤـازـرـتـكـمـ وـتأـيـدـكـمـ النـظـامـ الـجـمـهـوريـ الـخـالـدـ ، عندـماـ فـعـلـ جـيـشـكـمـ ذـلـكـ  
كـلهـ ، لمـ يـدرـ بـخـلـدـكـمـ أـنـ يـحـلـ طـاغـيـةـ مـجـنـونـ مـحـلـ طـاغـيـةـ مـسـتـبـدـ ،  
وـتـزـولـ طـبـقـةـ اـسـتـغـلـالـيـةـ بـشـعـعـةـ ، ليـحـلـ مـحـلـهاـ فـئـةـ غـوـغـائـيـةـ تـعـيـثـ بـالـبـلـادـ وـالـنـظـامـ  
وـالـقـانـونـ فـسـادـاـ، وـيـسـتـبـدـلـ مـسـؤـولـوـنـ وـطـنـيـوـنـ بـآـخـرـيـنـ يـعـتـقـونـ مـذـهـبـاـ سـيـاسـيـاـ  
لـاـ يـمـتـ لـهـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ إـلـاـسـلـامـيـةـ الـعـرـاقـيـةـ بـمـصـلـحةـ.. وـتـعـيـثـ بـالـبـلـادـ مـقـابـلـ  
ذـلـكـ فـئـةـ ضـالـهـ بـاغـيـهـ لـادـينـ لـهـ وـلـاـ ضـمـيرـ ، تـخلـقـ لـهـ صـنـفـاـ بـهـ لـوـثـهـ فـيـ عـقـلـهـ وـتـعـبـدـهـ  
وـلـاـ تـخـشـىـ اللهـ وـتـنـادـيـ بـهـ رـبـاـ لـلـعـالـمـيـنـ ، وـتـسـخـرـ مـوـارـدـ الدـوـلـةـ لـتـخـلـقـ مـنـهـ زـعـيمـاـ  
أـوـحـدـاـ ، وـمـنـقـذـاـ أـعـظـمـ .

هذا الزعيم ، الذي خان ثورة ١٤ تموز وعاد بمبادئها وأهدافها ، ونكت بالعهد ، وغدر بإخوانه الضباط الأحرار ونكل بهم ، وأبعد أعضاء مجلس الثورة الأشاوس ليحل محلهم زمرة انتهازية رعناء... واستهتر بدستور

جمهوريتنا المؤقت، وسلب مجلس السيادة المؤقت كل مسؤولياته الدستورية  
واحتكرها لنفسه...، وأعلنها حرباً شعواء على الأمة العربية ، لدرجة أن صار  
الهتاف بسقوط القومية العربية شعاراً له ولزمرته الباغية الفاجرة...،  
لهذه الأسباب كلها، أيها المواطنون الأباء في شتى أنحاء جمهوريتنا الخالدة  
عزمنا باسم العلي القدير، بعد اتفاقنا مع أخيانا الرعيم الركن ناظم الطبقجي  
قائد الفرقة الثانية ، ومع كافة الضباط الأحرار في جيشكم الباسل...على تحرير  
وطننا الحبيب من الإستعباد والإستبداد ، وتخليصه من الفوضى...،  
أيها المواطنون: إننا، إلى أن يستجيب عبد الكرييم قاسم فينصاع للحق ،  
ويتنحى عن الحكم فوراً ، والى أن يمارس مجلس السيادة سلطاته ، ليؤلف وزارة  
بالتعاون مع مجلس قيادة الثورة ، قد أخذنا على عاتقنا بعد الإنكال على الله ،  
مسؤولية إدارة البلاد...».

العقيد الركن عبد الوهاب الشواف قائد الثورة ٨ آذار ١٩٥٩ .

لكن عبد الكرييم تمكّن من السيطرة على فرق الجيش ، وإفشال انقلاب  
ال Shawaf ، مستعيناً بالضباط الشيوعيين ، وتنظيماتهم الشعبية .  
لكن مصر لم تأس ، فواصلت عملها حتى أسقطته وجاءت بعد السلام .

#### ٥- عداوة عبد السلام عارف للشيعة !

عبد السلام عارف ضابط من منطقة حديثة على الحدود السورية ، كان قومياً  
ناصرياً متجمساً ، يدعوا الى الوحدة الفورية مع مصر ، وقد اشتراك في انقلاب  
عبد الكريem قاسم ، وكان نائبه وزير الداخلية .

وقد ترأس عبد السلام الوفد الذي زار عبد الناصر ، ليبشروه بانتصار الثورة الموالية له ، ويطلبوا منه الدعم السياسي والعسكري ، فاحتفى بهم ، وأرسل إلى العراق شحنة أسلحة من سوريا التي كانت في دولة الوحدة ، وجلس مع عبد السلام عارف في غرفة وحدهما .

وعندما رجع عبد السلام من زيارته ظهر خلافه مع عبد الكريم ، فعزله عبد الكريم من مناصبه ، وعيّنه سفيراً في ألمانيا ، لكن عبد السلام رفض الذهاب ! وشهر مسدسه ليغتال عبد الكريم ، فأمسكوا يده ، فادعى أنه أراد أن يتحرر ! ثم قبل الذهاب سفيراً إلى ألمانيا .

ثم رجع من ألمانيا بدون إذن عبد الكريم فحبسه ، فغضب له عبد الناصر ، وشن الإعلام المصري حملات على عبد الكريم ، وكان عبد الناصر يسمى عبد الكريم : قاسم العراق ، بينما لم يتكلم عبد الكريم عليه بحرف !

#### ٦- هدية عبد السلام الأموية إلى عبد الناصر !

كان نوري السعيد رئيس وزراء النظام الملكي في العراق ، عدوًّا لدودًّا للعبد الناصر ، فكان عبد الناصر يتهمه بالعملة للغرب . وعندما وقع الإنقلاب هرب نوري السعيد فحاصروه ، فقتل نفسه بمسدسه ! وطلب عبد السلام أن يقطعوا إصبعه ويأتوه بها ، فأخذها معه هدية إلى جمال عبد الناصر ، فاقشعر عبد الناصر من هذه القسوة ، وأمر بburial of the limb !

« جاء وفد عراقي ليبشر عبد الناصر بانتصار الثورة والقضاء على حلف بغداد ، وحمل برهانه في علبة ، وطلب من عبد الناصر أن يفتحها ، وإذ بلفافة قطن دامية تحمل إصبعاً بشرياً مقطوعاً ! فامتعض عبد الناصر من هذا العنف غير المبرر ، إنها هدية عبد السلام عارف لجمال عبد الناصر !

وتقدر حاله في هذا اللقاء الدموي ، فأمر عبد الناصر بدفن إصبع نوري السعيد بكل احترام ، في المقبرة الرفاعية أمام قلعة محمد علي » !

<http://newsweek.alwatasn.com.kw/Default.aspx?MgDid=140&pagdald=423142>

وهذا يكشف عن روح السادية الأموية عند عبد السلام عارف ، شبيهاً بالذين قطعوا إصبع الإمام الحسين عليه السلام ليأخذوا خاتمه ! وقد كتم بعضهم إسم عبد السلام فقال: « قدمت هدية إلى عبد الناصر وكانت عبارة عن لفة صغيرة ، تحوي في داخلها إصبع نوري السعيد، وأمر عبد الناصر بدفنها بسرعه »

<http://www.abdullahhalaf.com/view.asp?ID=140>.

## ٧- حكم المخابرات المصرية للعراق

في تلك الأيام نشطت المخابرات المصرية في العراق ، وكان لها التأثير الأول قبل المخابرات الإنكليزية والأمريكية !

وقد استمر نفوذها القوي في العراق حتى في عهد عبد الرحمن عارف !

قال السيد مهدي الحكيم عليه السلام في مذكراته / ٧٦ ، ناقلاً حديثه مع عبد الرحمن:

« قلت: إن عبد الناصر اجتمع مع أنديرا غاندي ، وأعلن أن الإجتماع سري ، فأصدر رئيس الوزراء هنا بياناً قال فيه بأننا نؤيد كل ما جرى في المحادثات بين

الرئيس والرئيسة ! ولما كان الإجتماع سرياً فبأي صفة وأنت رئيس وزراء دولة أخرى ، تؤيد كل ما جرى في الإجتماع الذي كان سرياً ؟ هذا الأمر ليس له معنى إلا أن تعتبر نفسك تابعاً كأي موظف لرئيسه » !

وقد فرضت المخابرات المصرية على القوميين أن يتحالفوا مع البعثيين وجعلت التحالف برئاسة عبد السلام ، وقامت بانقلاب على عبد الكريم قاسم ، ونجحت في إسقاطه .

وبعد بضعة شهور غدر عبد السلام بشركائه البعثيين وأقصاهم ، كما غدر به شريكه عبد الكريم قاسم من قبل ، وأقصاه .

ثم تفرغ عبد السلام لاضطهاد الشيعة وإبعادهم عن المناصب الهامة ، مع أنهم أكثرية البلد ، فوقفت المرجعية ضده ، لمنعه من ذلك .

ومن حماقة عبد السلام أنه لم يكتف بعدائه للشيعة ، حتى فتح جبهة الحرب على عبد الناصر ، عندما رفض اتخاذ خطوات في الوحدة ، بحججة أنها تحتاج إلى دراسات عميقة ومفصلة ، فغضض عليه عبد الناصر !

وزاد من غضبه أن عبد السلام انتقد حكم عبد الناصر على سيد قطب بالإعدام سنة ١٩٦٤ ، وطالبه بإطلاقه ، وأرسل إليه وفداً وزارياً برئاسة شيت خطاب ليتابع ذلك ، فاضطر عبد الناصر لإطلاق سيد قطب ، لكنه بعد أن أطاح بعبد السلام ، اعتقله وأعدمه !

ففي ١٣ نيسان من سنة ١٩٦٦، كان عبد السلام في طائرة مروحية بين البصرة والعماره ، فسقطت به وقتل ، وقال بيان حكومة إنها سقطت بسبب عاصفة رملية ، وقال بعضهم كانت السماء صافية ، ولم تكن أي عاصفة ، وكانت الطائرة روسية ، والتهم عندهم المخابرات المصرية .

وما أن قتل عبد السلام حتى وصل إلى العراق المشير عبد الحكيم عامر ، مبعوثاً من عبد الناصر ليرتب وضع العراق ، فقام بجمع مجلس الوزراء ومجلس الدفاع الأعلى لانتخاب رئيس ، وكان الأمر يدور بين العقيلي الشيعي رئيس الفرقه الأولى في الجيش ، وبين عبد الرحمن البازاز رجل بريطانيا ، وبين عبد الرحمن عارف الضعيف المقبول من مصر . فرتوا الأمر لعبد الرحمن وأعلنوه رئيساً للجمهورية بعد أخيه .

وكان عبد الرحمن ضعيفاً مسالماً ، حاول إصلاح العلاقة مع الشيعة ، فاستوزر منهم ولئن خطابه معهم ، واتفق مع المصريين على البدء بخطوات عملية لتحقيق الوحدة ، لكن البعضين عاجلوه ، وجاؤوا كما صرّح أمين سر حزبهم علي صالح السعدي بقطار أنكلو - أمريكي ، وأسقطوا نظامه في ١٧ تموز ١٩٦٨ ، بواسطة عبد الرزاق النايف مدير الاستخبارات العسكرية، وعبد الرحمن الداود آمر قوات الحرس الجمهوري ، وسعدون غيدان آمر كتيبة الدبابات في الحرس الجمهوري !

وبعد ثلاثة عشر يوماً انقلب البعثيون على النايف ، ونفوه إلى لندن ثم اغتالوه ، بعد أن صرخ أن الأميركيان فرضوا عليه التعاون مع البعثيين ! وكان الدكتور ناصر الحاني الذي عينوه وزيراً للخارجية ، عَرَاب الإنقلاب بين النايف والداود والبعثيين والولايات المتحدة .

وفي رئاسة أحمد حسن البكر ، بُرِزَ من البعثيين صدام ، متميزاً بجرأته على القتل ، فقام بتصفية رفاقه وتنحية البكر ، وأخضع الحزب والجيش لحكمه وحكم العراق لأكثر من ثلاثين سنة ، حتى أسقطته أمريكا سنة ٢٠٠٣ م.



#### ٨ - عاشور هالعام اثنين !

كان عبد السلام متعصباً ضد الشيعة ، ومحبوباً عند متديني السنة ، فقد قرب مشايخهم وشخصيات الإخوان المسلمين ، وأجاز تأسيس الحزب الإسلامي ، كما قرب إليه شريحة من الشيعة ورفعهم علىًّا في مقابل مرجعية السيد الحكيم رحمه الله والحوزة ومجاهير الشيعة ، وكان بعضهم مغشوشاً بشعارات عبد السلام القومية والإسلامية ، وبعضهم مهزوماً مذهياً .

وقد أعلنت الحكومة الحداد العام على عبد السلام ، وكان موته قريب عاشوراء (١٤٨٥/١٢/٢٣) ، وكانت مخابرات السلطة تطلب من الخطباء أن يذكروه في مجالسهم . وكنت في الخالص ، فتفاجأنا بالرادرود ينشد: عاشور هالعام اثنين . أول مصيبة الحسين . وثاني مصيبة مصيبة الطيارة ! فنعي عبد السلام ووضعه مع الإمام الحسين عليه السلام !

ولم أستطع الإعتراض عليه وهو على المنبر ، لكن لما نزل قلت له يا فلان: لو  
تقاسم الحسين ويزيد الناس يوم القيامة فبعد السلام حصة من؟  
قال: حصة يزيد ! فقلت له: فاعرف نفسك ماذا فعلت !  
وأصيّب ببحّة في صوته ، ثم مرض ، فقالوا هذه حّوبة الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ !



## موجتنا ضد الشيوعية خدمت عبد الناصر

### **ا) كونت المرجعية موجة شعبية ضد الشيوعيين**

طغى الشيوعيون وتعدوا على الدين والمجتمع ، وجندا معهم شريحة غوغائية استعملت العنف مع الناس ، وعاثت فساداً ! فقاومتها المرجعية وكانت موجة شعبية ضدهم ، وأجبرت عبد الكريم على أن يحد انفلاتهم . وبهذا سجل الشيعة انتصاراً على مستوى العراق ، بدأ بفتوى المرجعية ضد الشيوعية في: ١٧ / شعبان ١٣٧٩ - ١٥ / ٢ / ١٩٥٩، وبلغ أوجه بوفود ملايينهم من مختلف المحافظات ، وهاها بتأييد المرجعية وإدانة الشيوعية ثم بأنشطتهم لإنها سيطرة الشيوعيين على الشارع ، وإثبات وجودهم . لكنهم لم يستশروا هذا النصر مع أنهم أكثرية البلد ، فلا هم تفاهموا مع عبد الكريم ، ولا فرضوا عليه مطالبيهم ، ولا أسقطوه ، ولا شاركوا الذين عملوا لإسقاطه ! فكان عملهم تيبة الجو للناصريين ليتحالفوا مع البعشين ويسقطوا عبد الكريم ! فقتلوه بدون محاكمة في: ٩ / ٢ / ١٩٦٣، وجاؤوا بعد السلام ، دون أن يكون للشيعة نصيب يذكر ، لأن الإنقلاب كان بتخطيط مصر-ي غربي ، بقيادة ضباط قوميين وبعشرين ، ليس فيهم شيعة ما يذكر !

### **٢- مطاليب الشيعة من عبد السلام عارف**

تعاملت مرحلة الشيعة مع نظام عبد الكريم وعبد السلام ، كما كانت تعامل

مع النظام الملكي، بأن تقدم للنظام مطالب إصلاحية ، فإن استجاب لها شكرته، وإن لم يستجب احتجت وقاطعت المسؤولين ولم تقبل زيارتهم . أو كتبت رسالة مفتوحة ، أو ذهب المرجع في زيارة الى بغداد لتحرك جماهير الشيعة لزيارتة، فيكون ذلك عرضاً لقوة المرجعية والشيعة أمام الحكومة. واستعملت المرجعية هذا الأسلوب مع عبد السلام فقدمت له مطاليب في أول مجئه الى الحكم سنة ١٩٦٣، لكنه لم يستجب لها وأمعن في سياسته الطائفية ، فقام السيد الحكيم رحمه الله بزيارة الى بغداد وسامراء بتاريخ ٢٩/١٠/١٧-١٣٨٣/ج .

(أساطين المرجعية العليا للدكتور الصغير/ ١٤٥) .

وكانت زيارة تاريخية عرض الشيعة بوفودهم قوتهم أمام الحكومة . لكن لم يترتب عليها تجاوب منهم من السلطة ! ثم أكدت المرجعية مطالبيها ، فقدمت جماعة العلماء في بغداد والكاظمية مطالب في ١٨ رمضان ١٣٨٣-١٩٦٤، الى عبد السلام جاء فيها:

«حضر المدير الركن عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية المحترم.. ثم جاء يوم الرابع عشر من تموز ، وظنت الأمة فيه تحقيقاً لأمالها العذاب على أولئك الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربهم سوط عذاب ، إن ربكم لا يلمرصاد .

ولكن سرعان ما بدت الحقيقة مريرة مؤلمة كالحة ، يوم استبد بالحكم طاغية تلاعب بشرع الله سبحانه ، وأجهز على آخر ما تبقى للإسلام من أحكام في حياة المسلمين ، بتشريع قانون للأحوال الشخصية ، الذي يخالف القرآن الكريم

والسنة النبوية المطهرة ، وفسح المجال لشذوذ الأرض وزمر الضلال ، فمزقت كلمة الأمة وشتت جمعها وبعثرت طاقاتها ، ومرت الأيام عصيبة مروعة ، تحمل في طياتها المجازر الوحشية القاسية ، والإرهاب المدمر الدامي ...، والآن وبعد اليوم الثامن من تشرين ، وقد شرعت الحكومة في وضع دستور للبلاد ، فإن الأمة جاءت تطالبكم أن تتحققوا آمالها التي بذلت في سبيلها الكثير من جهودها وجهادها...، وذلك بتحقيق المطالب التالية:

- ١ - إلغاء قانون الأحوال الشخصية ، وإعادة المحاكم الشرعية ، ليتاح للمسلمين مزاولة أحكامهم الشرعية وفق مذاهبهم ..
- ٢ - مراعاة شعور الأمة في وضع الدستور والعمل على إخراجه بصورة لا يتنافى مع أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، التي لا يدين المسلمون بغيرها ولا يرتكبون بها بديلا ، وتشريع مادة في الدستور تنص على عدم جواز وضع أي قانون بخالف الأحكام الإسلامية ..
- ٣ - إشاعة العدل والمساواة بين أبناء الأمة ، وعدم التمييز بينهم في مختلف المجالات لتمحو آثار الكافر الغازي ولتضمنوا بذلك وحدة الكلمة وإشاعة الأمن والاستقرار في بلادنا الحبيبة.
- ٤ - مكافحة التفسخ الخلقي الذي عمل المستعمر الكافر على إيجاده وتوسيعه في مناهج الإذاعة والتلفزيون والخمور وأشباهها لتقضوا بذلك على وسائل هدم كيان الأمة الاجتماعي.
- ٥ - تعديل مناهج التعليم ووسائل التربية والتوجيه بشتى أنواعها ، ومحظوظ

مجالاتها وتجيئها توجيهها سليماً لتكون أدوات فعالة لنشر المعارف الحقة في المجتمع ، والبحث على التحلي بالخلق الإسلامي الكريم والعمل لإنشاء جيل مسلم صالح في البلاد .

الموقعون: السيد أحمد الموسوي الهندي ، السيد إسماعيل الصدر ، الشيخ جعفر الساعدي ، السيد جعفر شبر ، السيد حسن الحيدري ، السيد حسين العلاق ، السيد صادق السيد جواد الموسوي ، السيد صادق الموسوي الهندي ، السيد عباس الحيدري الشیخ عبد الحسین الحالصی ، السيد عبد المطلب الحيدري ، السيد علي الحيدري ، الشیخ علی الصغیر ، السيد حسن الموسوي ، السيد محمد الحيدري ، الشیخ محمد حسن آل یاسین ، الشیخ محمد حیدر ، الشیخ محمد الشیخ صادق الحالصی- ، السيد محمد طاهر الموسوي ، السيد محمد علي الأعرجي ، السيد محمد مهدي الحكيم ، السيد مرتضى العسكري ، الشیخ موسی السودانی ، السيد مهدي الصدر ، الشیخ مهدي النمدي الكاظمي، الشیخ نجم الدین العسكري ، السيد هاشم الحيدري ، السيد هادي الحکیم ».

وبعد أن شكل عبد السلام وزارة جديدة ، حاول رئيس وزرائه طاهر يحيى أن يجلب رضا السيد الحكيم رض فزاره في ١٩٦٤/٣/١٣٨٣ ، وبصحبته عدد من الوزراء هم السيد حسن الدجلي وزير المواصلات ، والدكتور شامل السامرائي وزير الصحة ، والدكتور عبد الصاحب علوان وزير الإصلاح الزراعي ، والدكتور عبد الكريم هاني وزير العمل والشؤون الإجتماعية ، والسيد عبد الكريم كمونه وزير الصناعة ، والسيد عبد الفتاح الألوسي وزير الأشغال والإسكان ، وعدد من المدراء العامين ، والسيد كاظم الرواف متصرف لواء كربلا ، والسيد صلاح الدين النقيب قائم مقام قضاء النجف ،

وسمعوا الى حديث السيد الحكيم حَمَلَهُ اللَّهُ ومطالبته في:

١ - إلغاء قانون الأحوال الشخصية.

٢ - ونقده للسياسة الطائفية وآثارها السيئة ، وخطرها على العراق .

٣ - وطلبه مكافحة التفسخ الخلقي ، ومنع الخمور والقمار .

٤ - وطلبه معاملة الناس بالعدل والإحسان على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم وتحقيق مطالبيهم المشروعة ، والثبت والتروي في إصدار الأحكام .

٥ - تعديل مناهج التعليم ووسائل التربية والتوجيه .

فأبدى الوزراء تجاوبهم مع مطالبته ، ووعدوا بتنفيذها، لكن عبد السلام رفض الإستجابة لها فتوترت علاقته مع المرجعية ، ورفض السيد الحكيم استقباله عند زيارته النجف في عام ١٩٦٦، قبيل سقوط طائرته وموته .

### ٣- تظاهرة الشيعة في تجديد ضريح أبي الفضل العباس

في سنة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م ، اكتملت صناعة ضريح أبي الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَلَمُ الذي أمر به السيد الحكيم حَمَلَهُ اللَّهُ ، وهو مشبك مصنوع من الفضة والذهب ، مطعم بالمليء والأحجار الكريمة . وقد أرادت المرجعية أن يستقبل الضريح بتظاهرة جماهيرية ، احتراماً لأبي الفضل العباس عَلَيْهِ الْكَلَمُ وإثباتاً لسعة الجماهير الشيعية لعلها تجبر الدولة على إنصافهم !

واستقبلت الضريح في بغداد والمدن العراقية جماهير حاشدة ، وألقى الخطيب

والقصائد وأطلق المحتفات ، لكن الحكومة لم تستجب لمطالبيها !

#### ٤- السيد المرجع يأمر ابنه بالسكنى في بغداد

أذكر أنه في أوائل السنتين كان يوجد شعور عام في الحوزة وأوساط المرجعية ، بضرورة أن يكون لها وجود فاعل في بغداد . كانوا يرون أن الحوزة قادت العراق في مقاومة الشيوعية ، فيجب أن تكون على مقربة من الأحداث ، خاصة بعد تشكيل جماعة العلماء وإصدار الأضواء ، فقد توجهت الأنظار إلى المرجعية ، وصار لازماً أن تواصل حضورها في العاصمة على مقربة من صناعة القرار . وكذلك كان شعور الشخصيات الشيعية البغدادية القرية من مراكز الحكم .

وكان السيد مهدي الحكيم رحمه الله كبير أبناء المرجع المتقددين للعمل الاجتماعي والسياسي ، يمثل والده المرجع في مفاوضاته مع المسؤولين ، فاقتربوا مجئه ليكون عالم بغداد وممثل المرجعية فيها .

لذلك أمره والده في سنة ١٩٦٤ بالسكن في بغداد ، وسرعان ما صار نجماً فيها ، وصار بيته في الكرادة مقصدًا للشخصيات الدينية والسياسية ، ومركزًا للمداولات في الأمور . ونشط في فعاليات متعددة دينية واجتماعية ، وأقام علاقات واسعة مع طبقة السياسيين في بغداد . فكان عبد السلام عارف وبقية المسؤولين يحترمونه ويهابونه ، ويحسبون له ألف حساب !

أذكر أنني كنت وكيل السيد الحكيم رحمه الله في الخالص في ديالى ، فكنت أذهب في شهر رمضان ومحرم وبعض المناسبات ، وفي أواخر شهر رمضان أعلنا أنا سنقيم احتفالاً واسعاً بمناسبة شهادة الإمام الصادق عليه السلام في ٢٥ شوال الآتي وكان ذلك سنة ١٩٦٥ ميلادية .

وحضرتُ من النجف قبل يوم من المناسبة ، فوجدت استعدادات واسعة من المتدينين في المدينة، حيث وشحوا الشوارع بالسواد ، وأعلنوا تعطيل السوق يوم الوفاة ، وبادرت بعض المدارس من نفسها فعطلت الدراسة ، وبعض الدوائر ، وكان حفلاً مهيباً ، أثار حفيظة الأمن ومحافظ ديالى ، لكنهم لم يستطيعوا عمل شيء بسبب الجو العام المؤيد لي .

لكن في اليوم الثاني لعودتي إلى النجف اعتقلوني وأنا ذاهب للدرس ، فاستاء السيد المرجع رحمه الله وأمر ولده السيد مهدي أن يفتح عليهم ، وكان رئيس الوزراء عبد الرحمن البزار ، وفي اليوم الثالث أطلقوا سراحني و كانوا نقلوني إلى كربلاء ، وقال البزار للسيد مهدي إن التقرير من ديالى يقول إن هذا الشيخ اللبناني دعا الناس إلى مظاهرة ضد النظام !

وقد كذبوا علينا لأن الإحتفال كان دينياً صرفاً ولا ذكر فيه للسياسة ، وقد أخبرني السيد علاء رحمه الله أن البزار زار السيد بعد ذلك فقال له: حسب أمركم أطلقنا سراح وكيلكم في ديالى ، فقال له السيد: شكرألكم ، لكن هل حاسبتم الذين كتبوا ضده وكذبوا عليه ؟!

وبعد مدة اتصل بي السيد مهدي الحكيم رحمه الله يقول: إن رجب عبد المجيد وزير الداخلية يريد أن يراك ، وسأذهب إليه في الوقت الفلافي فنذهب معًا.

واستقبلنا وزير الداخلية باحترام كبير ، فترك كرسيه وجلس أسفل منا ، وكانت اتفقنا مع السيد مهدي رحمه الله أن أتكلم براحتي ، لأنني لست ابن السيد

المرجع لأداريه ، وكان الوزير مؤدباً حتى وصل الى قضيتي فقال:ماحدث في  
الخالص خالف للقانون ، وأنت تعرف القوانين الخاصة بالأجانب ، فكان  
عليك أن تراعيها ! فأجبته: أنت تعرف ارتباط هذا الشعب بأهل بيته عليه السلام ،  
وهذه المناسبة تخص إمام مذهبهم جعفر الصادق عليه السلام ، فكان اللازم على  
المحافظ أن يراعي حرمة صاحب الذكرى ومشاعر الناس .

وأما قولك إني أجنبى وعلى مراعاة القوانين ، فأنا أراعي القوانين ، لكنني لا  
أستطيع أنأشعر أني أجنبى عن تربة امتزجت بدماء أئمتى الطاهرين !  
وتراجع الوزير ولبن هجته فقال: كلنا محبون لأهل البيت ، وأهلاً وسهلاً بك  
في بلدك ، في النجف وفي ديالى ، وفي أي مكان أردت أن تذهب إليه .

شعرت أن مكانة السيد مهدي عليه السلام كبيرة في بغداد ، فقد احترمني الوزير ،  
وتراجع رغم تشده من أجله .

ثم رأيت مشهداً في بغداد والكوت أو واسط ، يكشف عن هيبة السلطة  
وخوفها من الشيعة ومثلهم السيد مهدي ابن المرجع عليه السلام ، فقد أقام أهل مدينة  
الكوت أو واسط ، احتفالاً دينياً ودعوا إليه السيد مهدي عليه السلام ، فخافت الحكومة  
ونشرت قوات الجيش ابتداءً من بيته في الكرادة ببغداد إلى الكوت ! وهي مسافة  
أكثر من مئة كيلو متر ، وقد لاحظت تواجدها على طول الطريق إلى قرب مكان  
الإحتفال في مدينة الكوت !

إن هذا المشهد يعني أن السلطة تعرف أن الشيعة يمثلون أكثرية الجمهور

العرافي ، وأنهم يطعون الإشارة من المرجع ، وأنها تخوف أن يتحول أي احتفال جماهيري حاشد برعاية المرجعية ، يحضر فيه ابن المرجع ، بإشارة منه إلى موجة شعبية غاضبة تهدد نظام الحكم !

○ ○

#### ٥- المرجعية والشيعة في عهد عبد الرحمن عارف

كان عبد الرحمن عارف بسبب ضعفه ، ليّناً هادئاً ، وقد حكم ستين وكسراً من ١٣ نيسان ١٩٦٦ - ١٧ تموز ١٩٦٨ ، وكان يتودد إلى الشيعة وإلى فئات الشعب المختلفة ، ويعدهم بالإنصاف والعدل والإحسان ، ولكنه لم ينفذ من ذلك إلا قليلاً ، وكأنه التزم بأن يواصل سياسة أخيه عبد السلام !

وقد واصلت المرجعية تقديم مطالبيها له ، وأذكر أنه استجاب لأن يكون للحوزة العلمية برنامج إذاعي وتلفزيوني ، فأمر السيد الحكيم ولده السيد محمد باقر بأن يرتب معهم ذلك . فتداول السيد محمد باقر في الموضوع مع السيد الصدر ، ومع أبي عصام الحاج صاحب دخيل رحمهم الله ، فقرروا أن يجعلونني مسؤولاً هذه البرامج ، وجاءني أبو عصام وأخبرني بذلك وبالموعد مع وزير الإرشاد الدكتور مالك دوهان الحسن ، واتصل السيد مهدي بالدكتور مالك وأخبره باسمي ، فطلب أن تكون الجلسة في بيته في بغداد وليس في الوزارة .

فذهبت إلى بيته فرحب وأبدى سروره ، وتحديثنا واتفقنا على الخطوط العامة للبرنامج ، وكان الوضع السياسي مشحوناً ، فقد شكى من الطائفين في مؤسسات الدولة ، وقال: صدق آباءنا ، فهو لاء لا ينفع معهم إلا القوة ،

**بالأمس عطلت جريدة(الشعب أو المنار) لأنها ضربت على الوتر الطائفي!**

[http://www.shenaar.net/index.php?option=com\\_content&view=article&id=](http://www.shenaar.net/index.php?option=com_content&view=article&id=)

**ولم يكتب لترتبينا معه أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ ، فقد أحبطه الطائفيون**

**حسب تعبير الدكتور الحسن ، مع أنه كان وزير الإرشاد !**

**ثم وافق وزير الإرشاد على بث احتفال المولد النبوى بشأً مباشراً ، وهو**

**مهرجان جماهيري أقامته جماعة العلماء في بغداد ، برعاية المرجع السيد**

**الحكيم رحمه الله في جامع براثا ، في أعقاب هزيمة حزيران بتاريخ ٢٧-٦-١٩٦٧ ، وكان**

**حفلأً مهيباً ، فيه تحدّ واضح للسلطة ، وقد ألقىت فيه كلمة الحوزة العلمية في**

**النجف الأشرف ، وقد كتبها السيد الصدر ، وكانت بالأساس باسم المرجع**

**السيد الحكيم رحمه الله لكنه غير رأيه ، فقرروا أن ألقىها كما هي باسم الحوزة . وكان**

**فيها نقد للدول العربية وللحكومة العراقية لأن سياساتهم كانت السبب في**

**هزيمة العرب والمسلمين أمام إسرائيل !**

#### **٦- واصل عبد الرحمن سياسة أخيه عبد السلام**

**رغم أن عبد الرحمن كان يريد إرضاء الشيعة والمرجع السيد الحكيم رحمه الله ، فقد**

**جعل في وزارة طاهر يحيى سبعة وزراء شيعة، هم: اللواء الركن ناجي طالب**

**وزير خارجية ، واللواء محسن حسين الحبيب وزير دفاع ، والدكتور عبد الحسن**

**زلزلة وزير تنظيط ، والدكتور عبد العزيز الحافظ وزير اقتصاد وفؤاد الركابي**

**وزير البلديات، والدكتور عبد الرزاق محيي الدين وزير وحدة وعبد الصاحب**

**علوان ، وزير الإصلاح الزراعي.**

<http://www.darbabl.net/news-articles/news-articles>

لكن عهده لم يختلف عن عهد عبد السلام كثيراً ، فكان الشيعة يُحرمون من الوظائف والخدمات ، وينقص بها السنة ، مع أنهم أقلية !

وواصلت المرجعية الإحتجاج والمطالبة ، برسائلها وبتجمعات جماهيرها في مناسبات ، وقد اهتمت في زمان عبد السلام وعبد الرحمن أن تقيم احتفالاتها الجماهيرية في بغداد ، ومنها الإحتفال الجماهيري في المبعث النبوى الذي ألقى فيه الدكتور الصغير قصيده المشهورة التي مطلعها:

**سَرَّتْ كُوكَبَةً مِنَ الْأَلَاءِ وَسَكَبَتْ فَجَرَ الْبَعْثِ وَالْإِسْرَاءِ**

ومنها:

**بَاشَعَبَ هَاكَ مِنَ الرِّجَالِ نَهَادِجًا يَتَلَوَّنُونَ تَلَوَّنَ الْحَرَبَاءِ**

**حَتَّى إِذَا الْأَقْدَارُ مُثَلَّ دُورُهَا وَأَدِيفَ صَبَحَ حَقِيقَةً بِمَسَاءِ**

**وَتَبَدَّلَتْ بَعْضُ الْوُجُوهِ كَمَا انْزَوَتْ جَرِباءَ جَرِباءً مُخْلَفَ بَعْدُ فِي جَرِباءِ**

فأمر عبد الرحمن عارف باعتقاله ومحاكمته في محكمة أمن الدولة ، فتحرك الناس غاضبين مطالبين به ، وطالبت به المرجعية ، فأطلق سراحه .

قال الدكتور الصغير في كتابه: *أساطين المرجعية العليا*/١٥٦: « ومهمها يكن من أمر فإن أيام الفريق عبد الرحمن عارف ، والفريق طاهر يحيى ، وللواء الركن ناجي طالب ، والعميد الركن عبد الغني الرواи ، ومعهم الدكتور عبد الرحمن البزار ، تعتبر من أفضل أيام الحكم في العراق ، إلا أن الكادر الذي رباه عبد السلام عارف وغذاه بالطائفية ، هو الذي أفسد الحكم على حياته السياسية دون ريب ».

وكتب السيد هاني فحص في جريدة السفير: ٢٠٠٣ / ٤ / ١٠، ما خلاصته:

«على مر الفترة من تأسيس الدولة العراقية الحديثة بإدارة إنكليزية أوائل العشرينيات من القرن الماضي ، إلى اليوم ، مروراً بكل العهود العراقية الإنقلابية... ذات اللافتة الوطنية القومية التقديمية ، من دون إمكان وجود أدلة شافية على وطنيتها أو قوميتها ! لأنها لم تختلف في أسلوب إدارتها للشأن الاجتماعي والحكومي عن أي عهد سابق ، حتى العهد العثماني ! على مر هذه الفترة بكل تعقيداتها ، كانت هناك مشكلة هي النجف التي اتكأت على دورها المميز في ثورة العشرين ، وإن كانت قد عوقبت عليه من قبل الإنكليز ومن خلفهم من الحكام العرب أو الوطنيين من خلال تهميش عميقها الشعبي الشيعي ، وتكييله بكم هائل من القيود التي تمنع مشاركته في القرار ، أو في نظام المصالح الوطنية .

وباتكائها على هذا التراث ، تحولت النجف إلى رقيب فعلي على أداء السلطة ، فتصدرت أو احتكرت التصدي للإنحراف الذي نتج عن استئثار الشيوخين بالعراق ، من دون عناء أو احترام لتكويناته وأنظمة قيمه ، مرة بالتفاهم مع عبد الكريم قاسم ، ومرة بالخلاف معه ومحاولة الإستقواء عليه وإضعافه ، ووقفت النجف بقوة ، وبقيادة مرجعها السيد محسن الحكيم ، في وجه قانون هجين للأحوال الشخصية مس بالكثير من المسلمات الشرعية ، ثم أعلنت موقفها أو فتواها التي أصدرها السيد الحكيم بموافقة بقية المراجع بتحريم الشيوعية ، ما كان مقدمة للإنقلاب البعشي العارفي المشترك على الحكم القاسمي .

وتصدت النجف لاقترافات العهد العارفي ، خاصة في ما يعود إلى الحرب ضد الأكراد ، والفساد المالي والإداري وبطء حركة الإنماء وتعثرها ، وعدم عنایتها بالتوازن بين المناطق والمحافظات .

وبعد وفاة عبد السلام في حادث الطائرة المعروف في منطقة البصرة ، هدأت النجف مع عبد الرحمن عارف ، ولكنها لم تكُنْ عن نقدها الشديد لرئيس وزرائه المتسلط طاهر يحيى التكريتي ، إلى أن حدث الإنقلاب البعشي الذي تعاملت معه ببرية شديدة ».

#### ٧- فجيعة النجف بهزيمة الأمة على يد إسرائيل

كانت نكسة حزيران سنة ١٩٦٧ ، أو حرب الأيام الستة ، من أشد الهزائم وقعاً في نفوس الأمة الإسلامية ، من أقصاها إلى أقصاها .

وقد حاولت المرجعية أن تقوم بدور في استئناف الحكومات والشعوب الإسلامية للرد على النكسة ، فأرسل السيد الحكيم رحمه الله وفوداً من علماء الشيعة والسنّة وشخصياتهم إلى عدد من الأقطار العربية والإسلامية لاستئنافهم ، وأصدر فتوى في تأييد المقاومة الفلسطينية وحث المسلمين على التبرع لدعمها .

ودعت النجف قيادة المقاومة الفلسطينية وكانت حركة فتح ، واحتفت بها في ١١/١/١٩٦٨ ، احتفاءً لم يسبق له مثيل ، وكتبت على مدخل النجف: مدينة فاتح

خير تحيي أبطال فتح!

فآثار ذلك حنق السلطة وأمعنت في تهجير العلماء والمجتهدين والطلاب من النجف لمجرد أنهم إيرانيون ، طمعاً بإفراغ الحوزة من طلبتها ، ووجهت

عملاءها الى الحوزة ، كطلبة يعتمرون العمة غطاءً لأدوارهم الأمنية! كل ذلك حتى لا تستعيد النجف دورها الطبيعي الطبيعي في قضايا الأمة! (راجع: ما كتبه السيد هاني فحص في جريدة السفير: ١٠/٤/٢٠٠٣).

#### ٨- تنافست ثلاث دول لاستضافة السيد المرجع!

قرر المرجع السيد الحكيم رحمه الله السفر الى حج بيت الله الحرام في سنة ١٩٦٨، فوجئت له المملكة السعودية الدعوة ليكون في ضيافتها ، وخصصت له طائرة ، ودعاه شاه إيران وخصص له طائرة ، وكذلك فعل طاهر يحيى رئيس وزراء عبد الرحمن عارف .

وكان رأي بعض المشاورين أن يقبل السيد دعوة شاه إيران ، وبعضهم أن يقبل دعوة طاهر يحيى .

وكان رأي بعضهم ومنهم السيد الصدر رحمه الله أن يقبل دعوة السعودية ، وقال: هذه أول مرة ينفتح فيها الوهابية على مرجعية الشيعة . وكان رأيه أن ينزل في رجوعه في بغداد ، وتتوافق اليه الوفود ويرسل مذكرة مطالب الى عبد الرحمن عارف .

وأخيراً حج السيد المرجع رحمه الله بطائرة الحكومة العراقية ، وكان في الحج بضيافة مطوف إيراني «شربت أوغلي» .

ولما عاد كان رئيس الوزراء طاهر يحيى في استقباله ، ورجح السيد أن يذهب مباشرة الى النجف ، ولا ينزل في بغداد ويقدم مطالب لحكومتها ، فتنافست الحكومة الصعداء ، ولكن البعضين كانوا يعدون عدتهم للإطاحة بعد الرحمن

عارف بيد أقرب الناس اليه ، وقاموا بانقلابهم في ١٧ تموز ١٩٦٨ ، بواسطة عبد الرزاق النايف مدير الإستخبارات العسكرية ، وعبد الرحمن الداود آمر قوات الحرس الجمهوري ، وسعدون غيدان آمر كتيبة الدبابات في الحرس الجمهوري ، وبتخطيط ودعم من الولايات المتحدة وبريطانيا كما اعترف عبد الرزاق النايف ، بعد أن اطاح به البعثيون في ٣٠ تموز ١٩٦٨ ، ونفوه إلى لندن ، ثم لم يسكت ، فاغتالوه !

فقد صرح بأن الأميركيان فرضاً عليه التعاون مع البعشين ، وأن الدكتور ناصر الحاني الذي عينوه وزيراً للخارجية ، كان عَرَاب الإنقلاب بين النايف والداود والبعشين ، والولايات المتحدة .

ولم يدم حكم النايف سوى ١٣ يوماً حتى غدر به شركاؤه البعشين !

[http://telskuf.com/articles.asp?article\\_id=٥٥١٢](http://telskuf.com/articles.asp?article_id=٥٥١٢)



#### ٩- وحدة البعشين المليوقة !

من الأمثلة الشعبية في النجف: مَلْيُوْصَةِ يا حسِين الصافي !

ويضرب مثلاً للشيء الذي يراد تلئيمه وهو خراب لا يلتهم ! وقصته أن الناس كانوا يتبعون أخبار مباحثات البعث السوري والعراقي مع عبد الناصر في القاهرة ، ويتبنؤون بأن البعشين غير صادقين في وحدتهم معه !

وعندما وقعوا على ميثاق الوحدة يوم (١٣ / ٤ / ١٩٦٣) ، أقام البعشيون احتفالاً في ميدان النجف (١٧ / ٤ / ١٩٦٣) بمناسبة إعلان الوحدة ، وملأوا الميدان بالكراسي وجمعوا من استطاعوا من الناس .

وجاء حسين الصافي بجمهور من الديوانية ، وحضره طاهر يحيى ، وحردان التكريتي ، والوزير حميد خلخال عضو القيادة القطرية ، وحسن العامري رئيس المنظمة الوطنية للعمل الشعبي ، وآخرون .

وببدأ الإحتفال ، فوقيت بعض الكراسي وكانت من حديد فأحدثت صوتاً فخاف القربيون منها فقاموا ، واضطرب المجلس فزالت قعقات الكراسي ، وفرّ الناس والمسؤولون !

فسأل حسين الصافي مدهوشًا: ماذا حدث ؟ !

فقال له أحدهم: ما أدرى، لكن مليوصة يا حسين الصافي ! فذهبت مثلاً .  
وكنت يومها في الصحن الشريف فرأيت الناس يأتون مذعورين ، ورأيت بعد قليل عمالاً جاؤوا بأحمال من أحذية الناس الفارين ، ووضعوها عند باب الصحن ليأخذها أصحابها، فضحكنا من شجاعة البعثيين وجمهورهم !

<http://www.theiraqweekly.com/inp/view.asp?ID=٣٠٢٥>

وهكذا كان موقف البعثيين الحقيقي من الوحدة العربية: رفع شعارها والمتجرة فيها ، والعمل بأسلوب شيطاني لتخريبها !

جاء في دراسة بعنوان: «حزب البعث ، نشأته وتطوره» للدكتور أحمد

الموصلي: <http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia>

أن عبد الناصر اشترط فيها اشتراط للوحدة مع سوريا ، أن يتوقف النشاط الحزبي ويوقف حزب البعث عمله: «ووصل الخلاف ذروته عام ١٩٥٩ ، عندما كان عبد الناصر في زيارة إلى دمشق ، وقد أعد له مهرجان خطابي كبير رسمي

وشعبي في سينما الزهراء ، حضره كبار رجال الدولة ، وجمهور كبير من المواطنين ، وألقى عبد الناصر خطاباً مهماً تهجّم فيه على موقف حزب البعث ، وعلى تامر قيادته على الوحدة .

وقد نال هذا الهجوم استحسان جميع الحضور ، وقطع خطاب عبد الناصر بعاصفة من التصفيق الحاد ، أكثر من مرة !

وكان ثاني هجوم يشنّه عبد الناصر على العشرين يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٩ في بور سعيد ، أثناء إلقاء خطابه بمناسبة عيد النصر ، حيث ندد فيه بالحزبية والنشاط الحزبي ، وقال: أي شخص يعمل في الحزبية خارج الاتحاد القومي ، إنما يعمل من أجل دولة أجنبية ، أو يكون عميلاً لدولة أجنبية .

وفي اليوم التالي قدم الوزراء العشرون استقالاتهم من الحكومة ، وأعلن صلاح البيطار التصريح التالي: إن التعاون مع جمال عبد الناصر قد أصبح في حكم الخيانة ، بعد أن ثبتت خيانته لمبادئ الوحدة العربية .

وبعد انفصال ٢٨ سبتمبر ١٩٦١، أصدر ميشيل عفلق بياناً من بيروت ، يوم ٤ أكتوبر يؤيد فيه الإنفصال ، وأطلق حزب البعث على واقعة الإنفصال إسم الإنفاضة . وأقيم مؤتمر سياسي كبير في دمشق شاركت فيه كل الأحزاب السياسية ومن بينها حزب البعث ، لتأييد الإنفاضة السورية . ومثّل الحزب في هذا المؤتمر صلاح البيطار» !

وجاء في الدراسة: «وُعِدَت في القاهرة ، خلال شهر مارس ١٩٦٣ ، عدّة اجتماعات تمهدية لإعلان الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق . وكان الوفد العراقي برئاسة علي صالح السعدي ، ويشغل منصب نائب رئيس الوزراء ، وأحد قيادات البعث العراقي . وكان الوفد السوري برئاسة ميشيل عفلق . وكان الهدف الرئيسي من تلك الاجتماعات هو رغبة البعث العراقي والسوسي في إخراج عبد الناصر عن طريق إصرارهما على التمسك بالوحدة الكونفدرالية ، وبالقيادة الجماعية للجمهورية العربية المتحدة ، باعتبار أنه سوف يرفض هذا الطلب ، وأنه لن يتخلّى عن موقع القيادة الذي ينفرد به ! ولكن عبد الناصر فاجأهم بقبول مبدأ القيادة الجماعية، وألا تكون الوحدة اندماجية! وتم توقيع اتفاق الوحدة الثلاثية في ١٧ أبريل عام ١٩٦٣ بالقاهرة.

وفي اليوم التالي لإعلان الوحدة وقعت اضطرابات دموية شرسة في دمشق بين الناصريين من جانب ، والبعشيين من جانب آخر ، ذهب ضحيتها ١٧٠ قتيلاً، وتمكن الضباط البعشيين بقيادة اللواء أمين الحافظ ، من السيطرة على الموقف والقضاء على الفئات الناصرية ومحاكمتهم عسكرياً وإعدامهم ! وهكذا فشلت تلك الوحدة فور إعلانها !

وخلال تلك الفترة تحول مشروع الوحدة الثلاثية إلى حرب إعلامية بين الدول الثلاث، بين مصر وسوريا، وبين سوريا والعراق بقيادة عبد السلام عارف . وترافق الجانبان الإتهامات والانتقادات اللاذعة !

ففي إحدى خطب عبد الناصر خلال شهر أبريل عام ١٩٦٣ قال عن البعث:

«إن الديمقراطية التي يتحدث عنها حزب البعث هي طبعاً ديمقراطية البعث في أن يقتل الناس ويضعهم في السجون ، وفي أن يتآمر الحزب ! لأن البعثين أناس متآمرون وحكمهم مبني على الإرهاب والدماء والقتل ! الواحد يستغرب لما يشوف البلد كلها ضدهم ، طبعاً هم جماعة كدابين ، ما هي الأهداف اللي قاعدين من أجلها ، بيقولوا وحدة واشتراكية وحرية ، وهم غدرروا بالوحدة ، وغدرروا بالحرية ! الحرية بقيت سجون ومعتقلات ، والإشتراكية اللي بيتكلموا عليها اشتراكية مزيفة ، إحنا دفعنا لحزب البعث أموال ، أموال كثيرة ، سبعين ألف جنيه وأربعين ألف جنيه في فترات متقاربة ، والمبلغ استلمه ميشيل عفلق ، واليوم يتحالف حزب البعث مع الإستعمار ومع أعون الإستعمار!

إسمعوا جميع محطات الإستعمار، واقرؤوا جميع صحف الإستعمار، والصحف العمiliaة وشوفوا بتقول إيه على حزب البعث ، بيصفقوا لحزب البعث ، وسعداء جداً بحزب البعث ، دي الريحه اللي إحنا شفناها النهارده واللي تدعوا إلى الشبهة ! راديو لندن يدافع عن حزب البعث ، الجرائد الناطقة باسم الإستعمار ، باللغة العربية وباللغات الأجنبية ، بتدافع عن حزب البعث . إذن هل يستطيع البعث أن يسأل نفسه بعد هذا هل هو ماشي في الطريق الصحيح؟ لقد أصبح حزب البعث يعتمد على العناصر التي تعاونت مع الإستعمار ليضع البلاد داخل مناطق النفوذ الإستعمارية .

حينما يكون حزب البعث خارج الحكم فهي الحرية البرلمانية ، أما إذا كان في الحكم ، فإن الحرية هي حرية الحزب الواحد ، وهو حزب البعث «!

وأضاف عبد الناصر في مناسبة أخرى: «شعار الحرية لحزب البعث أن تكون المغانم للبعشين ، وتكون الفرص للبعشين ، وتكون المساواة للبعشين أما باقي الشعب فيحرم من المساواة ، ويحرم من حقه في الحياة ، ويحرم من حقه في العيش ، ويحرم من حقه في العمل .

هذا هو شعار الحرية بالنسبة لهؤلاء الساسة ، الذين احترفوا سرقة الشعارات ، واحترفوا سرقة المبادئ ، والذين آمنوا أن سبيلهم إلى تحقيق أهدافهم وسلطتهم ، هو السبيل اللا أخلاقي ، الذين يسرون في طريق الإستعمار ، ليحققوا أهداف الإستعمار !

إذن حزب البعث اللي طول عمره كذاب ، لما يطلع بيان من القيادة القومية بيكون هذا البيان كذاب . حزب البعشين يتبع سياسة انتهازية ، ويحاول يلعب بقضايا المصير ولكن الشعب العربي كشفهم ، والشعب العربي عارف أساليبهم ، وعارف أساليب الغدر والطعن في الظهر ، وعارف حقدتهم «!

وفي المقابل وجه ميشيل عفلق اتهامات لعبدالناصر ، منها:

«إن السياسة التي اتبعتها البيروقراطية الإقليمية العقائدية التي تحكم القاهرة ، كانت مع الأسف الشديد نسخة من السياسة التي كانت في القاهرة قبل عام ١٩٥٢ ، أي سياسة إقليمية توسيعية قصيرة النظر ، تعمل لإضعاف الأقطار

العربية لتبقى هي المتفوقة والسيطرة ، فلا تقوم ثورة إلا إذا عملت لهذه الأجهزة ! كما ردت إذاعة وصحف دمشق اتهامات حزب البعث لعبد الناصر ، التي تصفه بالديكتاتور العربي ، وبأنه يحاول إقامة إمبراطورية عربية ناصرية تحقيقاً لمجده الشخصي ، وأنه يريد وحدة عربية تحت زعامته وسيطرته » ! وهكذا شهد أطراف الوحدة بقول النجفيين: مُلْيُّ وَصَهْ يَا حُسْنَ الصَّافِ !



## الفصل التاسع:

### قصة إبعاد الشيعة عن الحكم في العراق !

#### ١- مشكلة الشيعة أنهم أهل قيم ووفاء !

كان الشيعة في العراق تحت الحكم العثماني ، وعند الغزو الإنكليزي في مطلع القرن أفتى مراجعهم بالجهاد ومساندة جيش الخلافة العثمانية ، رغم ظلمها التاريخي لهم ، فسجلوا بذلك أروع وأ Nigel موقف لشعوب المنطقة !

فالمسلمون السنة في الحجاز مثلاً ، كانوا ينعمون بتميز الدولة العثمانية لهم على الشيعة ، ومع ذلك خانوا دولة الخلافة وقاتلوها مع الإنكليز الغزاة ، وأمدتهم الإنكليز بالمال والسلاح ، وعرفوا باسم الحركة الوهابية .

وقد كافأهم الإنكليز بعد انتصارهم على الخلافة العثمانية ، وأعطوه حكم بلاد نجد والحرمين ، وسموها المملكة السعودية .

والسنة العرب في العراق كانوا أقلية حاكمة في دولة الخلافة العثمانية ، لكنهم داهنوا الإنكليز وتعاونوا معهم وخانوا دولة الخلافة ، فسلطهم الإنكليز على العراق ، وشكلوا منهم الحكومات ، واختاروا منهم كبار الموظفين ، واعتبروهם حلفاءهم ! وما زال الإنكليز يعتبرونهم حلفاءهم إلى يومنا هذا ، وبعد سقوط صدام واحتلال الأميركيان والإنجليز للعراق ، كان السفير البريطاني في بغداد يطالب بامتيازات للسنة على حساب غيرهم فقال له أحد الشيعة: هل أنت تفاوض عن السنة العرب؟ قال: نعم ، إنهم حلفاؤنا !

إن التاريخ القريب والحاضر يشهد بأن الشيعة جاهدوا وقدمو الشهداء ،  
فاستبعدوا ، وأن السنة داهموا وتعاونوا ، فسلطهم الإنكليز على العراق !

#### ٢- ثورة العشرين: سبع عجاف على الشيعة سمان على السنة !

في أواخر سنة ١٩١٤ م ١٣٣٢ هـ، غزا الإنكليز العراق واحتلوا الفاو ، واستمر  
غزوهم ومعاركهم مع الشيعة ، ومكائدتهم السياسية ، إلى أواسط سنة ١٩٢١ ،  
حيث نصبوا فيصل بن الشريف حسين ملكاً على العراق .

وفي هذه السنوات السبع كانت النجف وكربلاء خلية نحل، تتواصل فيها  
المداولات بين المرجع الميرزا محمد تقى الشيرازي رحمه الله والشخصيات ، خاصة  
رؤساء العشائر ، الممتدة من الفاو إلى النجف وبغداد وديالى .

فلما وصل خبر احتلال الفاو ، شكل المرجع مجلساً استشارياً من علماء كربلاء  
، ووجه الدعوة إلى علماء النجف ورؤساء العشائر الشيعية ، واتخذوا قرار الجهاد  
والوقوف إلى جانب جيش الخلافة العثمانية ، وتحركت أول مجموعة مجاهدين  
بقيادة السيد محمد سعيد الحبوبي رحمه الله نحو الجنوب ، وكان المجاهدون من  
العشائر يتحققون بهم في الطريق ، فبلغوا ألوفاً .

واستعدت الخلافة العثمانية لمقاومة الإنكليز ، وكان مجموع جنودها بضعة عشر  
ألفاً بقيادة الجنرال نور الدين زنكي ، وكان يحضر بعض اجتماعات العلماء في  
كرباء والنجف والكاظمية ، فيحثونه على الجهاد والدفاع عن بلاد المسلمين ،

وأهدي اليه السيد إسماعيل الصدر جد أستاذنا السيد محمد باقر الصدر سيفاً من  
الحضره الحسينية مرصعاً بالذهب:

[http://www.burathanews.com/news\\_article\\_html/٢٦٧٤٣](http://www.burathanews.com/news_article_html/٢٦٧٤٣)  
<http://www.holykarbala.net/books/tarikh/turath-karbala/>

وبدأت معارك ثورة العشرين مع الإنكليز ، وكان فيها بطولات وتضحيات غير عادية من الشيعة ، لكنها كانت غير متكافئة! فقد كان الجيش الإنكليزي بضعة عشر ألفاً ، مجهزاً بأسلحة حديثة لا يملكونها المقاومون ولا الجيش العثماني ، واستعمل الإنكليز الطيران لضرب معسكرات الأتراك وتحجيمات المقاومين ، والسفن الصغيرة في النهرين .

ورغم أن جيش الخلافة قاتل في بعض المعارك كحصار الكوت ، لكنه بشكل عام كان سريع الإنهاك حتى أن بعض جنرالاته انتحر ، وساعد على هزيمته أن شخصيات السنة وعلماءهم كانوا متعاونين مع الإنكليز !

ومع أن الإنكليز تكبدوا خسائر كبيرة ، وأخذ المجاهدون منهم أسرى ، لكنهم انتصروا بوضوح على الجيش التركي واعتقلوا جنرالاته ، وانتصروا على كتائب المجاهدين الشيعة ، واعتقلوا قادتهم من علماء وشيخ عشائر . وطوقت قوات الإنكليز مدن الشيعة خاصة الحلة والنجف وكربلاء . وأرسل الميجر بولي قائد الفرقة الإنكليزية التي طوقت الحلة وكربلاء ، رسالة إلى المرجع الميرزا الشيرازي جاء فيها:

«حضره العلامه المجتهد الاكبر آية الله الميرزا محمد تقى الدين الشيرازي دام علاه . بعد تقديم مراسيم التحية والسلام .

نعرض لحضرتكم أن قسمًا من قواتنا قد وردت إلى هذه الأنحاء لأجل حفظ الأمن وإلقاء القبض على عدد من الأشرار الذين يقصدون الإفساد ونهب الأموال وإلقاء الرعب في قلوب الأهلين ! وإن قواتنا هذه لم تتعرض للصلحاء الأبرار ، فنرجو أن تطلعوا على هذه المسألة لكي يرتفع الرعب والإضطراب عنكم . وفي الختام نقدم لحضرتكم فائق الاحترام ».

حاكم الحلة - الميجر بولي - ٢٢ حزيران ١٩٢٠

فأرسل المرجع الى الميجر يطلب حضوره ، فأبى الميجر ، فأرسل اليه:

«إلى الحاكم السياسي للحلة الميجر بولي هداه الله .

قرأنا كتابكم وتعجبنا غایة العجب من مضمونه ، حيث أن جلب العساكر لمقابلة الأشخاص المطالبين بحقوقهم المشروعة الضرورية لحياتهم من الأمور غير المعقولة ، ولا تطابق أصول العدل والمنطق بوجه من الوجوه .. وإذا امتنعتم عن المجرى في هذه المرة أيضًا فستصبح وصيتي للأمة بخصوص مراعاة السلم ملغاة في ذاتها ، وأترك الأمة و شأنها ! وبهذه الصورة تقع مسؤولية نتائج السوء عليك وعلى أصحابك .

وفي الختام لي الأمل أن تؤثر فيك هذه النصيحة ، كي لا يقع ما يفسد النظام والامن ولكي لا تكونوا سبباً لارقة دماء البريء .

محمد تقى الشيرازي - كربلاء ٥ شوال ١٣٣٨

فقدم الميجر بولي قائمة أسماء إلى الإمام الشيرازي لتسليمهم إليه مقابل رفع الحصار عن كربلاء ، وتضمنت أسماء كل من الشيخ محمد رضا نجل زعيم

الثورة الإمام الشيرازي ، والشيخ عبد الكريم العواد ، ومحمد شاه الملقب بالهندى ، وأحمد القنبر ، والشيخ هادي كمونة ، والشيخ كاظم أبوذان ، والسيد محمد علي الطباطبائى ، والشيخ عمر ، وال الحاج علوان وابراهيم أبي والده ، وعبد المهدى القنبر ، والسيد أحمد البير ، وعثمان العلوان ، والسيد محمد علي هبة الدين الشهريستاني ، وأبو المحاسن .

ولما رأى المرجع ضعف المقاومة وعدم جدواها ، اضطر أن يأمر المطلوبين بتسلیم أنفسهم ، فاعتقلوهم ونقلوهم إلى البصرة ، ونفوهم إلى جزيرة هنجام بالهند .  
<http://www.annabaa.org/nba/eshreen.htm>

أما النجف فكان الأمر فيها أصعب ، حيث اشتد صراعهم مع الإنكليز بقتلهم الحاكم الإنكليزي ، الكابتن مارشال في ١٩١٨/٣/١٩ .  
فحاصر الإنكليز المدينة وقصوها بالمدفعية وطالبوها بتسلیم القاتلين ، ودفع مبلغ باهظ !  
[http://www.burathanews.com/news\\_article\\_htm83662](http://www.burathanews.com/news_article_htm83662)

وفي ٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٨ - ١٩٢٠ / ٧ / ٢٣ ، كانت معركة الرارنجية جنوب الحلة بين المجاهدين وفرقة من الجيش البريطاني تبلغ ١٥٠٠ جندياً ، فحقق المجاهدون نصراً مبيناً ، وقتلوا أكثر من ألف جندي ، وغنموا اثنين وسبعين رشاشاً من نوعي (فيكرس ولويس) ومدفع عيار ١٧ بوند ، وأرزاقاً ، وأسرموا ١٦٠ أسيراً منهم ٧٩ بريطانياً ، والباقيون من الجنود الهندوس . وكانت خسائر المجاهدين ١٥٨ جريحاً ، و٨٤ شهيداً .

ثم أخذوا ذلك المدفع إلى الكوفة وضربوا به باخرة فاير فلاي ، التي كانت تحاصر الكوفة وأصابوها وأغرقوها . وجاؤوا بالأسرى إلى النجف فكتب المرجع شيخ الشريعة رحمه الله إلى مسؤولهم:

« بسم الله الرحمن الرحيم . سلام عليك وثناء على إخلاصك وبعد ، فغير خفي على نباهتك أن للأسرى في الشريعة الإسلامية مكانة عالية ، فالعناية بهم فرض ، والتوجه إلى إكرامهم حتم ، وإنني أوصيك أطال الله حياتك بتعهدهم ، وتفقد أحوال صحتهم ما داموا وديعة مقدسة وأمانة محترمة .. وإن قوي الأمل بأنك تنشط إلى هذا التكليف لأنه شرعي مدني إنساني ، فوازن على الإنفاق عليهم حتى يتعين لنفقاتهم مورد خاص ، فقد اعتمدت وأوكلت ذلك إلى عهدتك وألزمتك به ولا عذر لك ودم مؤيداً».

**شيخ الشريعة الأصفهاني**

وينبغي الإشارة هنا إلى أن شيعة العراق ، كما ضربوا مثلاً في تجاوز المذهبية ، فوقوا إلى جانب جيش الخلافة العثمانية ضد الإنكليز . كذلك ضربوا مثلاً في تجاوز القومية ، فاتبعوا مرجعاً من أصل إيراني هو الشيخ الميرزا محمد تقى الشيرازي رحمه الله .

وبعد وفاته اتبعوا مرجعاً آخر من أصل إيراني أيضاً ، هو الشيخ فتح الله شيخ الشريعة الأصفهاني رحمه الله .

وفي ذلك دلالة على إخلاص رؤساء العشائر والزعماء والعلماء الشيعة ، لأن التقليد في مذهبنا يجب أن يكون للأفقه الأخبر بالشريعة ، ولا يشترط أن يكون عربياً .

وقد تكررت هذه الحالة في عصرنا ، فأطاع شيعة العراق المرجع السيد علي الحسيني السيستاني ، وهو من أصل إيراني ، وإن كان مختلفاً عن الميرزا الشيرازي وشيخ الشريعة ، بأنه هاشمي النسب ، عربي الأصل .

كما ينبغي ملاحظة أن وفاة الميرزا الشيرازي رحمه الله كانت بدس السم له من قبل الإنكлиз ! وقد نص على ذلك الذين عاصروه ، وأن المرجع الذي جاء بعده لم يعش إلا شهوراً أيضاً ! فقد «توفي الميرزا الشيرازي رحمه الله ، مسموماً في ٣ ذي الحجة ١٣٣٩ / ١٢ / ١٩٢٠ » .

وقد نص على ذلك الذين عاصروه ، وأن المرجع الذي جاء بعده لم يعش إلا شهوراً أيضاً ! فقد «توفي الميرزا الشيرازي رحمه الله ، مسموماً في ٣ ذي الحجة ١٣٣٩ / ١٢ / ١٩٢٠ » .

<http://www.al-shia.org/html/ara/others/?mod=monasebat&id=٣١٩>

وكان سبب عمل الإنكлиз الحديث على سم المرجعين في فترة قصيرة ، موقفهما الرافض لنصب ملك على العراق قبل انسحاب الإنكлиз ، وتحقيق الاستقلال وانتخاب مجلس يقرر مستقبل البلد .

[http://burathanews.org/news\\_article\\_٢٢٩٥٦](http://burathanews.org/news_article_٢٢٩٥٦)

وقد ظهر شيخ الشريعة الأصفهاني إلى جانب الميرزا الشيرازي في أحداث ثورة العشرين ، وعيّنَ معهًّا معاً أعضاء للمفاوضة مع الإنكлиз ، ووقعوا مع رؤساء العشائر على وثيقة تضمنت أسماء المندوبيين ، بتاريخ ١٨ رمضان ١٣٣٨ / ٦ حزيران ١٩٢٠ ، جاء فيها: «وقد خولناهم أن يدافعوا عن حقوق الأمة ويجمعوا في طلب الاستقلال

للبلاد العراقية بحدودها الطبيعية العاري من كل تدخل أجنبي ، في ظل دولة عربية وطنية يرأسها ملك عربي مسلم مقيد بمجلس شرعي وطني». كما أرسلا معاً رسالة مشتركة الى الرئيس الأميركي ولسن ، يطلبان مساندته لتحقيق رغبة العراقيين جميعاً بإقامة دولة عربية مستقلة إسلامية ، لها ملك مسلم ، يقييد بمجلس وطني .

وبعد موت الميزرا الشيرازي وشيخ الشريعة رحمة الله ، تابع المرجعان بعدهما الشيخ محمد حسين النائيني ، والسيد أبو الحسن الأصفهاني رحمة الله ، نفس الخط ، فلم يوافقا على ترشيح فیصل أو غيره ، ما لم يضمن إستقلال العراق ، وينهى الإنذاب البريطاني له .

بينما وافق الشيخ مهدي الخالصي رض على ترشيحه إذا قبل أن يكون مستقلاً عن الأجنبي ، مقيداً بدسotor ومجلس نيابي . فوافق فیصل على هذا الشرط وأقسم عليه ، فباعه الخالصي . ثم سحب بيته عندما تبين له عدم التزام فیصل بالشرط .

[http://burathanews.org/news\\_article\\_٢٢٩٥.html](http://burathanews.org/news_article_٢٢٩٥.html)  
<http://www.odabasham.net/show.php?sid=١٩١٦>

«وحدث الإنقسام بين قادة الثورة ، وكان شيخ الشريعة زعيماً للخط الذي رفض الفكرة وأصدر بيانه الشهير: لا مفاوضة قبل الجلاء ! وأنه سيستخدم المگوار (عصا عشائرية خاصة) إذا أعزهم السلاح !

قال الزركلي في الأعلام: «برز إسمه في ثورة العراق أيام الإحتلال البريطاني سنة ١٩٢٠ ، وتناقل الناس ما أصدره من الفتوى فيها ، وكان في بدئها عوناً لآية

الله محمد تقي الشيرازي، وسنة ١٣٣٨، انتقلت إليه الزعامة وانتقل مركز القيادة من كربلاء إلى النجف».

وقد استمر الجهاد حتى دخل الجيش البريطاني النجف وسيطر عليها ، فتفرق الناس ، ولبث الشيخ في بيته ، ونصبوا عليه العيون والراصد على الداخل والخارج من بيته ، حتى خادمه وبعض حفنته ! فأصيب الشيخ بمرض عضال في صدره ، فكان طريح الفراش، واشتدت عليه الآلام إلى أن اختار الله تعالى له الدار الآخرة ، فتوفي في النجف الأشرف ليلة الأحد الثامن من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٩ .

<http://www.shiaweb.org/books/al-bukhari/pa.html#2>.

○ ○

### ٣- كيف سلم الإنكليز حكم العراق للأقلية السنوية !

كانت النتيجة أن الإنكليز عاقبوا الشيعة على مقاومتهم لهم ، وسلموا حكم العراق إلى السنة ، لتعاونهم معهم ! ففي ٢٥/١٠/١٩٢٠، وجه المنصب السامي في العراق كوكس ، رسالة إلى عبد الرحمن النقيب ، بتعيينه رئيساً للحكومة ، جاء فيه:

« يا صاحب السمو: عملاً برغبة حكومة صاحب الجلاله في إقامة حكومة وطنية في العراق ، ولضمان مشاركة أهل البلاد في هذه الآونة في تسيير الإدارة . وبمقتضى صلاحياتي مندوب سام ، وجدت من الضروري والمناسب إقامة مجلس لتدوير شؤون الإدارة تحت إشرافي وذلك إلى أن يتم جمع مجلس تأسيسي

يقرر الشكل النهائي للحكومة في المستقبل... وقد سلمت بارتياح عظيم إشعاركم بقبول المنصب نفسه، فأشرف بإحاطتكم علىًّا أن قائمة بأسماء المقترحين لإشغال مقاعد مجلس الدولة ، وأن نهج الأعمال التي ستخصص إليهم قد نالا موافقتي التامة. وعليه أرجو سموكم أن تتخذوا الخطوات اللازمـة لتنفيذ مقترحتكم بأسرع ما يمكن ».

المندوب السامي بي . ز. كوكس .

« أما أعضاء الحكومة التي انتخبها النقيب، فقد خلت من أي وزير شيعي ، وكان هذا الأمر منسجـاً مع التوجه البريطاني! فقد كانت المناطق الشيعية والزعـماء الدينـيين وشيوخ العـشـائر يخوضـون المـعارـك الضـارـية ضد الإـحتـلال البريطاني إضـافة إلىـ أنـهم يطالبـون بالإـستـقلـال التـام عنـ بـريـطـانيا! وـكانـ الـوزـراءـ كـالتـاليـ: عبدـ الرـحـمـنـ الـكـيلـانـيـ النـقـيـبـ: رـئـيـساًـ لـمـجـلـسـ الـوزـراءـ سـنـيـ . طـالـبـ النـقـيـبـ: وزـيرـ الدـاخـلـيـةـ ، سـنـيـ . حـسـنـ الـبـاجـهـ جـيـ: وزـيرـ الـعـدـلـ ، سـنـيـ . جـعـفرـ العـسـكـرـيـ: وزـيرـ الدـفـاعـ الوـطـنـيـ ، سـنـيـ . عـزـتـ باـشاـ الـكـرـكـوـكـيـ: وزـيرـ الصـحـةـ وـالـعـارـفـ ، سـنـيـ . سـاسـوـنـ حـسـقـيـلـ: وزـيرـ الـمـالـيـةـ ، يـهـودـيـ . مـصـطـفـيـ الـأـلوـسـيـ: وزـيرـ الـأـوقـافـ ، سـنـيـ . عبدـ الـلطـيفـ الـمنـدـيلـ: وزـيرـ التـجـارـةـ ، سـنـيـ . محمدـ عـلـيـ فـاضـلـ: وزـيرـ النـافـعـةـ ، سـنـيـ .

وفي ٢٢ شـياـطـ ١٩٢١، وـمنـ أـجـلـ التـسـتـرـ عـلـىـ الـفـضـيـحةـ ، أـوـعـزـ كـوـكـسـ إـلـىـ النـقـيـبـ بإـضـافـةـ وزـيرـ شـيـعـيـ إـلـىـ الـوـزـارـةـ كـمـاـ يـقـولـ الـحـسـنـيـ فـيـ تـارـيـخـ الـوـزـارـاتـ الـعـرـاقـيـةـ ، وـكـانـ الـوـزـيرـ الـمرـشـحـ هـوـ السـيـدـ مـحـمـدـ مـهـديـ !

وتحب الإشارة لاستكمال صورة السياق التاريخي للحدث ، أن تشكيل الوزارة النقيبية الأولى ، تم في وقت كانت فيه أحداث الثورة مستمرة ضد الاحتلال البريطاني ! ففي ٢٧ تشرين الثاني ، أي بعد شهر من تشكيل حكومة النقيب دخل اللواء ٥ البريطاني إلى النجف قبل الظهر ، وأغلق أبوابها وحاصر أهلها ، ودام الحصار ٢٤ يوماً ، وتسبب الحصار في انتشار المجاعة وتفشي الأمراض ، وقادت السلطة بهدم دور الشوار السيد نور الياسري ، وعبد الواحد الحاج سكر ، وعبدادي الحسين ، ومرزوق العواد .

وكان الثوار في السماوة يخوضون المعارك الضاربة ضد قوات الاحتلال البريطاني ، وهي المعارك المعروفة بمعركة السُّوير الأولى ومعركة السُّوير الثانية ، التي تكبدت فيها القوات البريطانية الخسائر الفادحة ، ولم يتم توقيع الهدنة بين الطرفين إلا في ٢٧/١٠/١٩٢٠ ، بعد شهر تقريباً من تشكيل حكومة النقيب ! أما المتفلك فلم تهدأ الثورة فيه إلا في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٠ .

وأما جبهة أبو صخير ، فقد استمرت بالثورة بقيادة الزعيم الكبير الحاج عبد الواحد الحاج سكر ، حتى يوم ٦ تشرين الثاني ١٩٢٠ ، أي بعد عشرة أيام من تشكيل حكومة النقيب .

وفي عهد هذه الوزارة تم تأسيس جيش الليفي البريطاني في العراق ، وفي عهدها أيضاً تم نفي المشاركين في ثورة العشرين إلى الهند وغيرها ، وفي عهدها

تم أول إغلاق لجريدة الإستقلال البغدادية ، التي صدرت في ٢٨ أيلول ١٩٢٠ بسبب انتقادها للحكومة .

واستمرت هذه الوزارة بالحكم حتى ٢٣ آب ١٩٢١، حيث تُوج في ذلك اليوم فيصل الأول ملكاً على العراق ، وفي نفس اليوم قدم عبد الرحمن النقيب استقالته ، فكلفه فيصل الأول بتشكيل الحكومة ، فألف وزارته الثانية».

<http://jawadnaser.jeelan.com/dw/GAYLANY.htm>

وهكذا قرر الإنكليز نصب فيصل بن الشريف حسين ملكاً على العراق ، ولم يسمعوا المعارضة المرجعية الشيعية ، وأرسلوه بالباخرة من القاهرة إلى بغداد عن طريق البصرة ، وأرسل فيصل برقة إلى النقيب هذا نصها: «فخامة رئيس الوزراء حضرة النقيب. بمزيد من السر-ورأخبار فخامتكم بأني واصل إلى البصرة صباح الجمعة القادمة شاكراً للمولى عز وجل الذي أسعدني بقرب لقائكم ومشاهدة البلاد التي هي محطة مفاخر الأجداد واثقاً بازدياد عواطفكم الودية، أنتم وزملاؤكم وكافة الشعب العراقي الكريم».

٢٢ حزيران ١٩٢١ - فيصل

فأجابه عبد الرحمن النقيب:

«الباخرة الحربية البريطانية نورث بروك . ضياءً مصباح بيت النبوة ، والكوكب الدربي في السماء ، شرف سمو الأمير فيصل المعظم حفظه الله تعالى . لقد أخذت بيد الإحترام برقة سموكم الدالة وعواطفكم الهاشمية نحو هذا الداعي ، والمبشرة بقدوم سموكم إلى البصرة يوم الجمعة ، بامتلاء القلب سروراً

، فنشكركم شكرأً وفيراً ، داعين لسموكم بسرعة الوصول بالسلامة ، مرحباً  
بقدومكم الميمون ، نحن والوزراء والشعب » .

رئيس الوزراء: عبد الرحمن النقيب

«وفي يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٣٩ و ٢٣ آب سنة ١٩٢١ للميلاد ، وفي الساعة السادسة صباحاً أقيمت حفلة التتويج في ساحة برج الساعة بالقلعة ، وحضرها عدد كبير من الأعيان والوجوه والسراة ، بينهم بعض ممثلي المناطق التي اشتركت في التصويت ، ثم أقبل الأمير الهاشمي يحيط به المندوب السامي السير برسى كوكس ، وقائد القوات البريطانية الجنرال هالدين ، والمستشار الخاص الكولونيل كورنويليس ، ففتّش حرس الشرف المعد لتحية سموه ، واقتعد محل الخاص فوق منصة مرتفعة جاعلاً المندوب السامي عن يمينه ، وقائد القوات عن شماله وجلس في الصدف كل من السادة رستم حيدر وأمين الكسباني (من السوريين) وحسين أفنان سكرتير مجلس الوزراء ، وبعد لحظات ناول المندوب السامي سكرتير مجلس الوزراء بلاغاً تلاه على الجموع المحتشدة ، وفيه نص القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء في ١١ نوز ١٩٢١ بمبادرة الأمير فيصل بملوكية العراق ، والأمر الذي أصدره المندوب لإجراء التصويت العام الذي أسرف عن أكثرية مماثلة في ٩٧٪ من مجموع المتخين ، واعتراف بريطانية العظمى بالأمير فيصل ملكاً على العراق . ثم قام السيد محمود النقيب أكبر أنجال السيد عبد الرحمن النقيب فتل دعاءً موجزاً لمناسبة هذا الحدث العظيم ، ثم أطلقت المدفع ٢١ إطلاقة تيمناً بهذا الحدث ، بعدها نهض الملك فيصل فألقى خطاباً مدوناً ،

استهله بشكر العراقيين على مبايعتهم إياه مبايعة حرة ، وحيا أبناء النهضة العربية الذين استبسلوا مع أبطال الحلفاء وذهبوا ضحية أوطانهم ، وشكر الإنكليز على جميل معروفهم ! وحث الناس على الإتحاد والتآلف . بعدها عزفت فرقة الموسيقى العسكرية النشيد الملكي (لرحم الله الملك) حيث لم يكن هناك نشيد وطني عربي آنذاك » .

<http://www.iraqlights.net/vb/showthread.php?s=>

ومن الطريق أن الإنكليز قبلوا باقتراح بعض بسطاء الشيعة، فجعلوا يوم نصب فيصل ملكاً يوم عيد الغدير ، تيمناً بيوم نصب النبي عليهما عليةما علية إماماً وخليفة ! مع أن الناصب هم الإنكليز وليس النبي عليهما علية ، والمنصوب شاب مطيع لهم ليس فيه من على علية إلا الانتساب ! وهكذا تأسس نظام الحكم في العراق: يوم الغدير ، بحكومة سنية ، وجيش سني ، وبقرار إنكليزي بإبعاد الشيعة ، وجاؤوا بنفس الموظفين العثمانيين السنة ، الذين سارعوا فنقلوا بندقيتهم وولاءهم من الوالي التركي والخلافة العثمانية ، إلى الوالي كوكس ، والخلافة الإنكليزية !

أما علماء الشيعة ومراجعهم وقادة عشائرهم العربية، فقد قُتل منهم من قُتل وانزوى الباقيون في النجف مجبرين على السكوت ، أو كانوا في سجون الإنكليز ، أو تشردوا محتمين بمن يعرفونهم في سوريا ومصر والحجاج ! وقد توسط الملك حسين ملك الحجاج لعدد منهم ، فعادوا بالباخرة مع فيصل أو بعده ، وقبلوا بالأمر الواقع ، وبأياعوا فيصلاً !



#### ٤- الهزة الشيوعية أحيت طموح الشيعة السياسي !

بعد أربعين سنة من الإبعاد والإذواء ، جاءت الهزة الشيوعية بتحديها وعنفها ، فنهضت المرجعية وكانت موجة شعبية غلت الشيوعيين ، وعادت إلى الساحة السياسية ، وعاد معها علماء الشيعة وزعماءهم ، فماذا قرروا للمستقبل ؟ هنا ينبغي أن تعرف أنك في منعطف تاريخي ، حدد نوع تحرك الشيعة فيما بعد ! فقد كانت الموجة الشيوعية تحدياً للحوزة استنفر كل كرياتها البيض . ولما انتصرت ابعت فيها روح الشعور بالقوة ، وروح الطموح والغرور ! لقد كانت تلك الفترة مرحلة تأسيس الإتجاهات الفكرية والسياسية الموجودة في حوزاتنا وعالمنا الشيعي ، إلى اليوم . إن أصول أكثر الإتجاهات والأفكار ، والكتب والمقالات ، التي تراها اليوم في بيروت ، أو القطيف ، أو طهران ، أو كراتشي ، ترجع إلى تلك الفترة ، التي

عَجَّتْ بِالْأَفْكَارِ وَالتَّنْظِيرِ وَالطَّرْوَحَاتِ ، سُوَاء لِتَطْوِيرِ الْحَوْزَةِ أَوْ لِلْعَمَلِ الإِسْلَامِيِّ التَّوْعُويِّ ، وَالْعَمَلِ الْمُنظَّمِ لِإِقَامَةِ دُولَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ .

كانت الأفكار تتلاقي داخل الحوزة في النجف ، وبينها وبين حوزة كربلاء وبعض المنظرين للعمل الإسلامي ودولته العالمية في بغداد ، ويصل التلاقي إلى حوزة قم لكن بعد فترة من الزمن .

وقد نضجت الأفكار سنة ١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م. ورسى الأمر على اتجاهين: الإتجاه الإصلاحي الذي هو خط المرجعية والحوزة تاريخياً .

والإتجاه الذي سماه أصحابه «الإنقلابي والتغييري» وتأسس بموجبه تنظيم الدعوة السري . والذين يجعلون تأسيس الدعوة قبل هذا التاريخ، لا بد أن يقصدوا البذور والأفكار ، لأن ولادة أي تنظيم إنما تكون بعد اتفاق أصحابه ، وبديهم بدعة الناس إليه ، وولادة خلایاه الأولى .

وقد كان ذلك في التاريخ المذكور ، وليس قبله .

## الإتجاهات الثلاثة بعد الهزيمة الشيوعية

### ١- اتجاه المرجعية الإصلاحي التقليدي

عمل السيد الحكيم رحمه الله لمنع اندفاع المرجعية والمحوزة الى محاولة انقلاب على عبد الكريم ، ومنع من إنشاء تنظيم حزبي ، لتبقى المرجعية والمحوزة في خطها التقليدي الذي هو الإصلاح المطليبي ، لا أكثر .

فقد كان السيد الحكيم رحمه الله كغيره من المراجع ، يعتقد أن هذا هو الخط الأصيل والصحيح لمرجعية الشيعة ، ولهذا تعايشت عبر التاريخ مع الحكومات المختلفة ، وغاية ما كانت تقوم به حركة مطالبة بالإصلاح .

### اتجاهان داخل خط المرجعية الإصلاحي:

ومع اتفاق المراجع على مشروعية التعايش مع أنظمة الحكم المختلفة ، يوجد فيهم اتجاهان: اتجاه يتخوف من دخول المرجع في الأمور السياسية كلّياً ، سواء بالثورة على السلطة ، أو بالحركة المطليبة ، ويرى أن واجبه ينحصر- في تبليغ الدين وحفظ معالمه ، وأن هذا هو الطريق الوحيد لحفظ التشيع ، ومواجهة الانحرافات الداخلية ، والغزو الثقافي الغربي .

وتصح تسميته باتجاه الإنكماش الحضاري للوقاية من الغزو الخارجي، ولعل السيد كاظم اليزيدي رحمه الله صاحب كتاب العروة الوثقى المشهور ، يمثل هذا الخط ، فقد أفتى أول الغزو الإنكليزي بوجوب الجهاد واستشهاد ابنه في معركة الشعيبة ، ثم سحب نفسه كلّياً ورفض أن يتدخل في أي من القضايا السياسية سلباً أو إيجاباً ، حتى في نصب الملك فيصل ملكاً على العراق وكان يقول: أنا

أعرف في الفقه والدين ، ولا معرفة لي في السياسة ، فلا أعطي رأياً . ويشبهه السيد حسن الصدر رحمه الله في الكاظمية .

وكان بعض أصحاب هذا الإتجاه يقولون إنه لفائدة من مقاومة الإنكлиз مع تفوقهم ، إلا المزيد من الضرر على الشيعة والعراق .

كما أن حجتهم في العمل الإسلامي الطويل الأمد ، أنه لا يمكن إقامة حكم إسلامي عادل فلا يجب علينا ذلك ، بل يجب أن نحافظ على ثقافتنا وحيتنا ونتعايش مع الأنظمة ، إلى أن يشاء الله تعالى ويعظّر حجته عليه السلام .

ويقابل هذا الإتجاه: اتجاه إصلاحي ، يرى أنه يجب على المرجع مطالبة السلطة بحقوق الشيعة في الحرية المذهبية ، والشئون المعيشية ، وأن ذلك لا يتناقض مع التعايش معها . وكان السيد الحكيم رحمه الله يؤمن بهذا النوع من المرجعية الإصلاحية ، فقد اغتنم فرصة زيارة الملك فيصل إلى النجف ، فاستقبله في حرم أمير المؤمنين عليه السلام ، وقدم له مطالب في الحرية المذهبية وإنصاف المناطق المحرومة .

وعندما نجحت ثورة عبد الكريم قاسم أرسل إليه السيد رحمه الله رسالة تهنئة تضمنت عدداً من المطالب المشابهة . كما كان يرسل مطالبه إلى عبد السلام عارف ، وأخيه عبد الرحمن ، ثم إلى العشرين .

أما اصطدامه في آخر حياته رحمه الله مع العشرين ، فكان مضطراً إليه اضطراراً لأنهم أصحاب طبيعة دموية ، وقد فشلت محاولة إقناعهم بالتعامل المدني مع المعارضة ، كما رفضوا تحويل الحكم العسكري إلى حكم مدني .

وعندما فشلت محاولة الإنقلاب التي قام بها المرحوم العميد محمد رشيد الجنابي رحمه الله وشارك فيها السيد مهدي ، أعلن البعثيون الحرب على المرجعية فرأى المرجع رحمه الله نفسه مضطراً لتجاوز الخط الإصلاحي المطلبي ، وتحرك من النجف إلى بغداد للضغط على الحكومة ، فوّقعت المحنّة المعروفة .



## ٢- الإتجاه الثاني: مشروع الحركة الإسلامية العالمية

إذا أردنا الحديث عن تلك الفترة التي تأسست فيها حركة إسلامية عالمية باسم: «الدعوة الإسلامية» وُعرِّفت بعد عقدين باسم: «حزب الدعوة الإسلامية» فلا بد أن نذكر الذين عملوا من أجل تأسيسها ، رحمة الله . ونلتفت هنا إلى كثرة الظنون والرجم بالغيب من كتبوا في الموضوع ، لأنهم لم يكونوا في مجرى الحديث ، وبعضهم ناشئ اعتمد فيما كتبه على من لم يكن حاضراً ، ولا تثبت من سماعه .

وبعضهم تعمد التأريخ للموضوع بغير الواقع ، ظناً منه أنه يستطيع فرض تصوره على التاريخ ، لأنه لا يوجد من يعرف الواقع ويكشفه !

لكن من واكب الحديث مثلـي ، يتعجب مما كتبوه عن تأسيس الدعوة ، ويقول: إذا كان الحديث الذي عاصرناه يكتب بهذا النحو: مسلوخاً عن جوه ، مفترضاً له جوًّ آخر ، فيه خلطٌ ، وتعتيمٌ ، وتضخيمٌ ، وتصغير وتكبير ، في الأحداث والأأشخاص والتاريخ! فكيف نثق بروايات تاريخنا الإسلامي ، الذي اهتم الحكم بمفرداته الصغيرة وحاسبوا عليها الرواـيـي!

لقد شارك في مداولات تأسيس تنظيم الدعوة بضعة عشرة نفرًا ، وكانت جلساتهم متباudeـدة ، وبدأت سنة (١٩٦٠م - ١٣٧٩هـ) واستمرت نحو سنة حتى

تم اتفاق من بقي منهم في الجلسات ، فبدأ أبو عصام رحمه الله بتشكيل الحلقات ، وطلب من السيد الصدر رحمه الله أن يكتب الأسس .

وكانت الجلسات عديدة ومتباعدة أو متقاربة ، وبعضهم حضر جلسة واحدة ، أو جزءاً من جلسة . ولم يكن اهتمامهم بالأمر بدرجة واحدة ، ولا تفرغ لهم لوقتهم واحداً . وكان بعضهم في بغداد وبعضهم في النجف . وبعضهم له حضوره الفاعل وبعضهم مستمع ، وآخر يثق بشخص ويرى أن حضوره يكفي عنه .. الخ.

لكن المرحوم أبا عصام عبد الصاحب دُخِيل ، كان محوراً ثابتاً في الجلسات من أولها إلى آخرها ، وكان هو الذي يطرح الفكرة ويدبر النقاش ، ويدعو الأشخاص إلى الحضور ، ويتبعهم عندما يتآخرون .

ولا ننس أنهم كانوا يتخوفون من البعيدين والقومين الذين يعملون لانقلاب على عبد الكريم ، وبعضهم من أقاربهم وأصدقائهم ، وكان أولئك يرافقون السيد مهدي الحكيم رحمه الله أن ينافسهم على محاولة انقلاب !

كما كان أعضاء الجلسة يتخوفون من حواشى المرجعية أن يشتكون عليهم للسيد الحكيم أو السيد عبد الهادي الشيرازي ، أو لكتار الحوزة ، بأن هؤلاء يريدون تأسيس حزب سياسي !

ونقتصر على ذكر الأكثر تأثيراً منهم ، ونذكر أعمارهم ، لتعرف خطأ ما نسب إلى بعضهم ، مما لا يتناسب مع عمره !

كنت يومها طالباً في نحو السابعة عشرة من عمري ، لكنني كنت أدرس الكفاية ، وأَدْرِسُ النحو والمنطق والبيان . وكنت أحضر - في مجلة الأضواء

وأساعد في تصحيح ملازمها ، وأسمع بفكرة تأسيس تنظيم ، وأنها محل تداول بين عدد من الأساتذة والعلماء . وعندما تم الإتفاق أخبر السيد الصرد عليه السلام الشيخ مفید الفقيه ، فأخبرني وانتظمت معهم .

وما أكتبه هنا سمعته من أستاذنا السيد الصرد ، أو من أبي عصام ، أو السبتي ، أو السيد مهدي الحكيم ، وغيرهم رحمهم الله ، من حضر-وائل تلك الجلسات ، وعايشوا الحديث .

كان أشد المهتمين بتأسيس حركة إسلامية عالمية الشهيد عبد الصاحب دخيل أبو عصام رحمه الله ، وكان عمره ثلاثون سنة (متولد ١٩٣٠م-١٣٤٨هـ) . وكان أبو حسن محمد هادي السبتي صديقه وفي سنّه ، وكان في بغداد ، وكان رأيهما متقارباً فكان يكتفي بحضور أبي عصام وقلما يحضر الجلسات .

وكان عمر السيد محمد باقر الصرد رحمه الله ٢٥ سنة ، وكان السيد مهدي الحكيم في سنّه ، فهما أصغر من أبي عصام وأبي حسن بخمس سنين .

وكان احترام السيد الصرد لأبي عصام كبيراً واضحاً ، وقد رأيته يتعارف معه في الدخول والخروج فيقدمه ، وربما تقدم عليه أبو عصام ، وكان يدعوه: أبا عصام ! وأبو عصام يدعوه: يا سيد محمد باقر ، وسمعته بعد مدة يدعوه: يا أبا مرام . وشبيهاً به كان احترام السيد مهدي لأبي عصام .

ولم يكن في تلك المجموعة أكبر سنًا من أبي عصام إلا الشاعر محمد صادق القاموسي ، كان أكبر منه بنحو ثمان سنوات (متولد ١٩٢٢-١٣٤١) ، لكنه لم يكن متصدياً للأمر بدرجة أبي عصام ، ثم إنه انسحب من الجلسات عندما رفضوا

مفترحه الذي هو مشروع نظام داخلي لحركة الدعوة ، ولم يشارك في بقية جلساتهم ، ولا في عمل الدعوة .

وربما كان السيد طالب الرفاعي أكبر سنًا من أبي عصام ، لكن لا يقاس حضور أبي عصام بحضوره ، وكذا الحاج صالح الأديب ، مضافًا إلى أنه كان في كربلاء ، ولم يحضر إلا جلسة أو اثنتين وكان موافقاً لرأي أبي عصام .

فالحضور القوي في تلك الجلسات كان لأبي عصام أولاً ، وللسيد مهدي الحكيم ثانياً ، وللسيد الصدر ثالثاً ، رحمهم الله .

أما السيد مرتضى العسكري رحمه الله فكان أكبر سنًا منهم ، لكن أبو عصام كان معنيًا أكثر منه بالحركة وفكرها والتنظير لها .

وكان السيد العسكري كان في بغداد والجلسات في النجف ، وقلما حضرها ، ولم تعقد جلسة حول الموضوع في غير النجف .

وقد حضرت بعد تأسيس الدعوة وانتظامنا فيها ، مجالس تطرح فيها أمور فكرية حركية ، فرأيت أبو عصام هو المتحدث الذي يطرح الفكرة والرأي ، ورأيت السيد العسكري والسيد الصدر يؤيدانه ، أو يناقشانه باحترام كبير .

لذلك يجب أن نشهد بأن الشخصية الأولى في تأسيس الدعوة هو أبو عصام رحمه الله ! فهو الذي بدأ طرح الفكرة على أبي حسن السبيتي ، والسيد مهدي الحكيم ، والسيد محمد باقر الصدر ، وغيرهم ، حتى لو كانت قبل ذلك في أذهانهم ، وهو الذي كان يتبع الأمر ويجمع الشخصيات ، وينسق الوقت والمكان ، ويدير الحديث ويبتكر الحلول لتقرير وجهات النظر .

ثم كان هو الذي يتبع تنفيذ المقررات ، وبعد أن أنهوا مداواتهم واتفقوا على بدء العمل ، بدأ أبو عصام بالعمل ، فكلف السيد الصدر بكتابة الأسس ، وبدأ بمفاتحة الأشخاص وتشكيل اللجان ، فأعطي مجموعة للشيخ عبد الهادي الفضلي ، ومجموعة لسيد محمد باقر الحكيم ، ومجموعة لسيد عدنان البكاء ، ومجموعة لسيد طالب الرفاعي ، ومجموعة للحاج محمد صالح الأديب في كربلاء ، ومجموعة للشيخ عارف في البصرة .

وهو الذي هيأ (رونيو) وهو شبيه بجهاز التصوير ، وكان اقتناؤه يومها جريمة ! ثم اشتري أبو عصام طباعة ، وجعلها في بيت السيد عدنان البكاء ، ثم طلب السيد عدنان إعفاءه ، فتبرعت أنا ونقلناها إلى بيتنا ، وكان يطبع عليها الأخ عبود مزهر . وكانت الطابعة ، وكل جهاز نسخ وتكرير ، مواد جرمية كالسلاح وأشد !

ويكفي أن تعرف أنك لكي ترسل رسالة بالبريد ، فعليك أن تعرضها على الرقيب العسكري مفتوحة فيقرؤها ويلصقها ويختمها ، ثم تلصق عليها طابعاً ، وتضعها في صندوق البريد !

وكان أبو عصام يكلف السيد الصدر بمفاتحة بعض الأشخاص الذين يرى فيهم القابلية ، فيقوم بذلك ويحوّلهم عليه أو على الشخص الذي عينه له .

وبهذه الطريقة كلم السيد الصدر أستاذنا الشيخ مفيد الفقيه ، فكلمني بال موضوع وكلم أخيه الشيخ عبد الإله وابن عمه الشيخ سامي ، فقبلنا الأمر ،

ورتب لنا أبو عصام مسؤولاً هو السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله، فكنا عنده حلقة ، رابعنا السيد عبد الكريم القزويني .

ثم درسنا في الحلقة: الأسس التي كتبها السيد الصدر ، حتى حرم المرجع السيد الحكيم التنظيم على أولاده ، فاعتذر مشرفنا السيد محمد باقر الحكيم وفاجأنا بأن التنظيم انتهى ! فتعجبنا واتصلنا بالسيد الصدر ، فأخبر أبا عصام رحمه الله فعين لنا مشرفاً آخر ، هو الشيخ عبد الهادي الفضلي .

○ ○

كان أبو عصام شخصية عجيبة ، فمع أنه لا يملك إلا شهادة ثانوية ، لكنه كان واسع الثقافة كثير المطالعة ، وكل ثقافته بجهده الشخصي !

والأهم من ثقافته قوة شخصيته وفكره ، وقوة حضوره في أي مجلس أو عمل يقوم به ، وقدرته على الحوار ، والإقناع ، وطول نفسه على التجزئة والتحليل ، فكان الجميع يحسبون حساباً لرأيه وإشكالاته المنطقية .

وقد أخبرني أبو حسن السبيتي رحمه الله أنه كان يتربّد عليه في بغداد ، أيام كان أبو حسن في حزب التحرير ، وأن أبا عصام التقى بالشيخ تقى النبهاني مؤسس حزب التحرير ، وجرى بينهما نقاش مقتضب ، فقد اعتقل النبهاني في العراق في زمن عبد الكريم ولم يعرفوه ، وغادر إلى لبنان وبقي فيها متخفيًا ، حتى توفي سنة ١٩٧٧ ، ودفن في بيروت باسم آخر .

ثم التقى أبو عصام رحمه الله مطولاً بخليفة النبهاني الشيخ عبد القديم زلوم . ويظهر أن أبا عصام أثر على أبي حسن السبيتي ، فترك حزب التحرير واتجها إلى تأسيس تنظيم الدعوة ، وكان أبو حسن يثق بفكره ورأيه إلى حد كبير ، ويسميه صاحب النجف ! فكان أبو عصام زميله ، وبمنزلة أستاده .

وعندما كتب الشيخ تقي النبهاني كتابه «الخلافة» الذي سموه فيما بعد «نظام الحكم في الإسلام» أرسله إلى النجف ، فرأاه السيد الصدر وأبدى عليه ملاحظات شفهية ، ورأيته كتيباً في نحو مئة صفحة بالقطع العادي ، وتعجبت من أنه لا يتضمن آلية لنصب خليفة في عصرنا ، وأنه ليس فيه رأس سطر ولا نقطة ولا فاصلة ! فقلت: هذا كتابٌ كله سطر واحد ! فأعجبت كلمتي السيد الصدر رحمه الله ، وكان يعيدها ويتبسم !

وأراد زُلُوم وبعض جماعته أن يأتوا إلى النجف ليبحثوا إشكالات علمائها على الكتاب ، فقرر أبو حسن والسيد الصدر أن يجلس معهم أبو عصام ، ورأيته قبل الجلسة وقد دون ملاحظاته على عدد من صفحات الكتاب .

وجلس معهم تلك الليلة وناقشهم حتى تعبوا ، وكان أبو حسن يقول: ناقشهم أبو عصام حتى أتعجبهم ، وتعب بعضهم وغلب عليه النوم ! كان السيد الصدر يحترم أبي عصام كثيراً ويعامله كأخ أكبر ، وإذا دخل عليه فرَّغ له وقته وسمعه ، فكان يعرف أن وقته مليء وأنه جاء لعمل مهم ، ولم أمر السيد الصدر اعترض عليه يوماً ، بل كان يرجع إليه في المسائل الحركية . وقد كنت أراجع السيد الصدر رحمه الله في بعض القضايا ، وأعتبر أن رأيه كافٍ لأنه في القيادة ، لكنه كثيراً ما كان يقول لي: أنظر ماذا يقول أبو عصام ، فأنت تعرف أنا لاؤمن بالقيادة الفردية بل بالقيادة الجماعية ، وأننا إذا قال أبو عصام نقبل قوله !

لكن السيد الصدر رحمه الله تغير رأيه في القيادة الفردية والجماعية بعد ذلك . وكان رحمه الله حيوى الذهن ملحاً ، متتطور الفكر ، وليس كالذين يحمدون على رأي

، والكلام عن فكره والتطورات التي مر بها يحتاج الى حديث مستقل ، لكن  
حديثنا هنا عن مؤسس الدعوة أبي عصام رحمه الله .

◦ ◦ ◦

كان أبو عصام رحمه الله معجبًا بالإخوان المسلمين وفكرهم أكثر من حزب التحرير ، وكان يميل أكثر الى منهج حزب التحرير في التحليل السياسي . أما في الفكر التنظيمي فكان يرى أن الشيوعيين متقدمون فيه أكثر من غيرهم ، وكان ينتقد الوضع التنظيمي للإخوان في عهد الصواف ، ثم في عهد الدكتور عبد الكريم زيدان ، وينتقد الوضع التنظيمي لحزب التحرير عند الشيخ تقى النبهانى ، ثم عند الشيخ عبد القديم زلوم .

ولذلك حرص رحمه الله على أن تكون في ثقافة الدعوة وتنظيماتها حسنات هؤلاء جمیعاً ، وأن تتجنب نقاط ضعفهم ، فأشبھت ثقافتها ثقافة الإخوان بل تبنى عدداً من كتب الإخوان للتدریس في حلقاتها ، مثل شبھات حول الإسلام لحمد قطب ، ومعالم في الطريق لسيد قطب .

وقد كتبت يومها إشكالات على كتاب معالم في الطريق خاصة على عنوان «الإنحراف» وناقشت بعضهم فيه .. فلم يرض بذلك أبو عصام وأبو حسن السبيتي وقال: نحن بحاجة الى نقد الفكر الجامد لا نقد الفكر الحركي .. ولا مجال هنا للإفاضة في هذا الحديث ..

ولإعجاب أبي عصام رحمه الله بالمستوى التنظيمي للحزب الشيوعي ، أخذ أحسن ما يراه منه للدعوة ، فكان شكل تنظيمها يشبه تنظيم الحزب الشيوعي ، فالحلقة تتكون من خمسة أعضاء يرأسها مشرف ، واللجان المحلية وبقية اللجان الهرمية ، تشبه التنظيم في الحزب الشيوعي .

أما التحليل السياسي ، فكان أبو عصام رحمه الله ينتقد تحليل الشيوعيين المملوء بعبارات الإقطاع والطبقية والبرجوازية والرأسمالية والبروليتاريا .. إلى آخر منظومتهم ، ولا يعجبه تحليل الإخوان الذي يصفه بأنه يغلب عليه السطحية والعاطفية ، ويعجبه تحليل حزب التحرير الذي يتناول القضايا من زاوية الصراع بين المسلمين المستعمرات خاصة الإنكليز الذين حكموا المنطقة وما زالوا يحركونها ، وهم يورثون نفوذهم طواعية ، أو يضطرون للتخلص منه للإستعمار الأمريكي الجديد . وقد صار ذلك الطابع للتحليل السياسي في حزب الدعوة .

وكان أبو عصام رحمه الله معجباً بسيد قطب ، لكنه معجب أكثر بشخصية حسن البنا ، فكان يقول: سيد قطب لا يصل إلى مستواه أبداً !

وكان يوماً يتحدث عن حسن البنا ، ويتعجب من أنه ركب الطائرة ست ساعات وبقي مستيقظاً يفكر ، ولم ينم ! فقلت له: مالك معجب به إلى هذا الحد ؟ ! أنت أقوى منه شخصية وأعصاباً !

وهذه عقidi في شخصية أبي عصام رحمه الله ، وأشهد أنه أقوى شخصية من الشيخ حسن البنا وسيد قطب والشيخ تقى النبهانى وغيرهم ، بل هو من الشخصيات التاريخية النادرة ، في قوة فكرها وطموحها .

ومع مقاومتي للتعب والنوم ، فقد كان أبو عصام أقوى مقاومة مني ، وقد تواعدنا يوماً في منزلنا بعد الظهر لترتب مواضيع ، فجاءني أبو عصام رحمه الله بعد الظهر في صيف النجف ، ففتحت الباب ورأى أنى كنت نائماً فقال مستنكراً: أنا تصورت أنك لاتنام بعد الظهر ، أنت قلت: أنا موجود بعد الظهر في أي ساعة

، فتفضل ! فقلت له: نعم قلت إني موجود فتفضل ، ولم أقل إني مستيقظ حتى تأتي !

○ ○

وقد ظهرت كفاءة أبي عصام القيادية والإدارية بدرجة عالية ، فكان يدير كل تنظيم الدعوة ويوجهه ، من أكبر شخص إلى أصغرهم ، في النجف ، وبغداد ، وبقية مناطق العراق ، وخارج العراق ، وكان يأتيها إلى الكويت .

كان وحده يمسك كل خطوط التنظيم ويتبع أمره الداخلية والخارجية، ومع ذلك يعمل في التجارة ، فيشتري ويبيع داخل العراق وقد يستورد . وكان يهتم بأمر المناطق وال وكلاء ، وهو الذي كان رتب أمر الشیخ عارف البصري رحمه الله ، فجاء به من البصرة إلى النجف ، وبعد إكماله كلية الفقه ، أخذ له وكالة من السيد الحکیم رحمه الله عالماً في منطقة الزوية بالكرادة .

وكتب السيد مهدي الحکیم رحمه الله في مذكراته ٣٦/٣٦ ، أنه كان في الخمسينات قبل ثورة تموز يفكّر في إنشاء تنظيم ، وأنه تحدث في ذلك مع أبي عصام رحمه الله والسيد طالب الرفاعي فوجدهما يؤمنان بهذه الفكرة ، فاتصلوا بالسيد الصدر رحمه الله لهذا الغرض ، فتجاوب معهم .

وذكر أن السيد طالب الرفاعي كان على علاقة بالشیخ عارف البصري رحمه الله والسبيري وهم في حزب التحرير ، وأن الشیخ عارف جاء إلى النجف ليفتح فرعاً لحزب التحرير ، فناقشه السيد مهدي ليثنيه عن ذلك .

وذكر السيد مهدي رحمه الله أنه التقى في الكاظمية بفلان ويقصد أبا حسن السبيري ، وكان متخرجاً يومها من الجامعة (هندسة كهرباء) وناقش معه إنشاء تنظيم بدل عمله مع حزب التحرير ، فوجد منه تجاوباً .

وكل ذلك صحيح ، لكن ينبغي التنبيه الى أن هذه المفردات كانت بعد ثورة ٤ تموز وبدء موجة الشيوعيين ، وأن المحرك الأساسي لهؤلاء كان أبو عصام رحمه الله ! ويكفي أن نعرف أن كبيرهم السبتي كان يعامل أبا عصام كأنه أخوه الأكبر وأستاذه ، مع أنها في سن واحدة .

أما الشيخ عارف فكان أصغر منها سناً ، وكان السبتي في حزب التحرير مسؤوله أو بمثابة مسؤوله .

وأقدر أن أبي عصام هو الذي أقنع الشيخ عارف أن يستفتني السيد الحكيم في بقائه في حزب التحرير، فقد سمعت الشيخ عارف رحمه الله يقول: أنا خرجت من حزب التحرير بفتوى السيد الحكيم رحمه الله . ولعل تفكيره بفتح فرع لحزب التحرير كان في سفرة سابقة الى النجف .

فقد كان الشيخ عارف يومها في البصرة ، ثم جاء الى النجف ، وانتسب الى كلية الفقه وليس العمامنة ، ولما أكملها ذهب الى بغداد عالماً في منطقة الزوية وكان أبو عصام مهتماً بأموره .

ومن صفات أبي عصام رحمه الله أنه لا يتبع بآعماله ، بل يحرص على سترها لكي تسير الأمور بشكل جيد . وكم من ابتكار واقتراح له على السيد الصدر ، والسيد مهدي الحكيم ، أخذ طريقه الى العمل ، ولم يقل إنه منه .

\* \* \*

وكان أبو عصام قوي الفراسة نافذ النظرة في تقييم الأشخاص ، وقد لمست ذلك عدة مرات ، وثبت لي أنه صَّراف شخصيات رحمه الله .

فقد كنتُ أعطيت مسؤولية الى شخص مثقف ذكي ، عملي ، من عائلة معروفة ، فقال لي أبو عصاهاذا لاينفع ، إنه لِعْبِي ! فلم أقبل منه وقلت في نفسي: لعل انطباعه عنه خاطئ لأنه ينافقه كثيراً .  
لكني بعد مدة اكتشفت صدق تقييمه ، وأن ذلك الشخص أهل لعب وليس أهل عمل ، فهو يهتم بالإشكال على الآخرين وعلى عملهم ، وينقدhem شخصياً لا ليصحح عملهم ، ويُقَيِّمُ الشخص والأمر بنقطة ضعف فيه ويترك مجموع جوانب قوته ! وكأن هدفه من عمله أن يثبت للآخرين أنه مصيبة وغيره مخطئ ! وهذا هو اللعب والغرق في الذات !

○ ○

وقد ظهرت قدرة أبي عصام رحمه الله على الكتابة ، فكتب موضوعات عديدة للنشرة الداخلية «صوت الدعوة» أو لها عن المرحلية وأهمية المرحلة التغيرية ، وهي نظريته . وكان يراجع ما يكتبه أبو حسن السبيتي ، والشيخ عارف ، وكاتب هذه السطور ، وكذلك ما يكتبه السيد الصدر رحمه الله .

وي ينبغي أن نسجل هنا أن المجلدات الثلاثة التي هي ثقافة الدعوة ، كتب قليلاً منها السيد الصدر رحمه الله ، وأكثر منه أبو عصام ، وأكثر منه الشيخ عارف ، وأكثر منه كاتب هذه السطور ، وأكثر من الجميع أبو حسن السبيتي ، وأن بقية القياديين من أصدقاء القيادة ، أو من الصفواف الأخرى لم يكتبوا سطراً واحداً من ثقافة الدعوة .

○ ○

كان أبو عصام رحمه الله يقوم بأعمال كبيرة بعلاقته بالسيد مهدي الحكيم رحمه الله ، وكانت علاقتها مميزة ، فهم جيران في النجف ، وعائلة دُخِلَّ لها علاقات مع العلماء والراجع ، وهي من عوائل الوجاهة المحترمة في النجف .

وكان السيد مهدي عليه السلام حيوياً نشيطاً ، مبرزاً في أبناء السيد الحكيم عليه السلام شجاعاً  
ناشطاً في مواجهة الموجة الشيوعية .

وعندما أرسل البعثيون حسين الصافي الى المرجع السيد الحكيم عليه السلام بأسلوب  
تهديدي خبيث ، وحرّم على أولاده دخول الأحزاب ، لتبقى المرجعية ومن  
يتعلق بها في موقع الإستقلال والأبوة لكل الناس ، وترك السيد مهدي والسيد  
باقر الدعوة.. يومها بقي أبو عصام على علاقته الحميمة معهما ، وقدر ظرفهما ،  
وكانه لم يتغير شيء !

وعندما انتقل السيد مهدي عليه السلام الى بغداد كان أبو عصام عليه السلام يزوره باستمرار ،  
ويتداول معه في الأمور ، وقد يكلفه بأمر فلا يرد له طلباً ، ولو طلب منه مالاً  
لأعطاه ، فقد كان السيد مهدي عليه السلام سخياً ، أميراً من أمراء بنى هاشم ، لكن أبو  
عصام كان وقراً عالي النفس عليه السلام كزعماء بنى شيبان.

وقد يكون طلب منه مساعدة لبعض الأعمال ، مثل مواكب طلبة الجامعات  
إلى كربلاء ، الذي نظمه أبو عصام عليه السلام من مختلف المحافظات .

○ ○

وكان أبو عصام عليه السلام في معتقله وشهادته ، نموذجاً لصمود المؤمنين ، ثابت  
الجنان قوي الأعصاب ، عالي النفس ، وكان خبيراً بأمر أعدائه ، يستصغرهم  
ويختصرهم !

ومن الثابت عنه عليه السلام أنه كان في السجن يتحدى مدير الأمن المجرم ناظم كزار ،  
 وأنه أمر بتعذيبه تعذيباً وحشياً في حضوره ، وهو يقول له: إعترف ! فقال له أبو  
عصام: شوف يا ناظم كزار: كل أسرار الدعوة بصدرني ، وشمها تسوي ما راح  
تعرف منها ولا حرف ! وعندما عجز ناظم كزار عن إجباره على الإعتراف

بحرف ، اغتاظ من صموده وشموخه ، وأمر به فألقى في حوض (أسيد التيزاب) ! وهذا الفصل من حياته رحمه الله يستحق أن يكتب بالتفصيل ، ويصنع بفيلم .

كما ينبغي للباحث عن مقالع الشخصيات النادرة المؤثرة في تاريخ العراق والشيعة، أن يتعرف على عائلة أبي عصام رحمه الله آل دُخِيل ، وهم كما ذكروا منبني سلامة ، منبني شيبان من بكر بن وائل . وقد اشتهر منهم الصحابي القائد المثنى بن حارثة الشيباني في معركة ذي قار مع كسرى ، ثم كان قائداً لفتح العراق . وقد كتبنا عنهم في (سلسلة القبائل العربية في العراق) .

### ٣ أبو عصام هو الدعوة تأسيساً وقيادة

نسب بعضهم تأسيس الدعوة وقيادتها إلى غير أبي عصام رحمه الله ، وهذا من سيئات التنظيم السري الذي يسهل فيه الإدعاء والتسلق ، خاصة إذا استشهد عدد من قادته . وما يكشف حقيقة الأمر: الكتابة للتنظيم ، وإدارة حلقاته ، وكسب الدعاة . فهذه الثلاثة مقاييس لأولئك الذين أدعوا أو أدعى لهم أنهم كانوا في قيادة الدعوة .

فإذا قيل فلان كان قيادياً ، فاسأل عن كتابته في النشرة الداخلية صوت الدعوة ، التي كانت تدرس في الحلقات ، واسأل عن الحلقات التي كانت بيده ، واسأل عن الذين كسبهم ونظمهم في الدعوة !

فإن لم يكتب سطراً ، ولم يدر حلقة ، ولم يكسب شخصاً ، فلا يكون قيادياً نعم قد يكون صديقاً لقيادي ، أو يكون القيادي منفتحاً عليه ، أو يكون في جو

تأسيس الدعوة ، أو في حلقاتها الأولى ، ثم لم يواصل العمل ، بسبب الخوف أو غيره .. الخ.

وينبغي أن نحسن الظن فنقول إن الأمر اخترط على بعض من كتب في الموضوع ، فجعلوا من القيادة أشخاصاً من الصف الثاني والثالث والخامس ! أو حسبياً أصدقاء أبي عصام أو السبتي من القيادة ، كالشاعر القاموسي ، والسيد العسكري ، والسيد مهدي ، والسيد طالب ، والسيد عدنان ، مع أنهم لم يكونوا في التنظيم ، ولم يكتبوا للدعوة سطراً ، ولا كان ينتمي داعية واحد ، وكان القيادي إذا جلس مع أحدهم لا ينافش أوضاع التنظيم الداخلية ، لأنه أمر لا يخصهم ولا يعرفون عنه ، بل ينافش بعض الأمور والأعمال الأخرى التي ترتبط بالدعوة .

أما السيد الصدر رحمه الله فكان أبو عصام أو غيره يلتقطون به بصفته صديقاً، ولم يكن في تنظيم الدعوة ، ولم أكن أعرف ذلك ، فقد كنت أجلس معه وأراجعه على أنه في قيادتها فلا يقول لا ، حتى عرفت أنه ليس معهم ، فتفاجأت واستنكرت ، وأشكلت على أبي عصام وناقشه طويلاً !

وكان يطمئني بقوله إنا لانترك السيد الصدر ولا يتركنا ، فنحن معه وهو معنا !

واستقصيت منه سبب خروجه . وليس هذا محل الكلام فيه .

وينبغي التنبية إلى أن جميع خطوط الدعوة كانت بيد أبي عصام رحمه الله منذ تأسيسها إلى شهادته ، فكان هو الذي يعطي المسؤوليات ويشكل اللجان ، وينصب المسؤولين ، وكان يتشاور مع السبتي والشيخ عارف ، بصفتها عضوي قيادة ولم يكن معه أحد غيرهما .

ثم أبلغوني بأنهم قرروا ضمي إليهم ، فكنت أجلس معهم جلسات متباude ، أو ثنائية مع أحدهم ، ويبلغني رأي الآخرين .

وبعد شهادة أبي عصام رحمه الله صارت القيادة ثلاثة ، وانتقلت خطوط الدعوة التي كانت بيد أبي عصام إلى الشيخ عارف رحمه الله .

أما السبتي رحمه الله فلم يكن من مزاجه إدارة حلقات ، وكان يتبع أوضاع الدعوة ويكتب لها، وكانت خطوط التنظيم بيد اثنين الشيخ عارف وأنا ، حتى استشهد الشيخ عارف فتقاسمت خطوط التنظيم مع أبي حسن السبتي رحمه الله .

وكتب الشيخ عارف رحمه الله من سجنه رسالة إلى الدعاة ، يؤكّد فيها على ، فوصلت الرسالة إلى يد شخص لا أحد تسميه ليوصلها إلى ، فأخبرني بمضمونها وزعم أنها ضاعت بين أوراقه !

وأما اللجنة التي شكلناها مع الشيخ عارف رحمه الله والسبتي رحمه الله ، وكان فيها السيد العسكري ، والشيخ شمس الدين ، والسيد فضل الله ، والسيد الحائرى ، وغيرهم ، فكانت هيئة تجتمع سنويًا ، ولم يكن بيد أحد منها شيء من التنظيم ، ولها حديث آخر .

وينبغي أن أذكر هنا الأخ الدكتور جابر العطا حفظه الله ، فقد كان من قيادات الصف الأول من أوائل تأسيس الدعوة ، ويعتبر من قيادتها ، وكان يحضر أحياناً جلسات القيادة مع أبي عصام والسبتي والشيخ عارف ، لكنه كان شديد التحفظ ، فابتعد عملياً عن القيادة والتنظيم ، فلم يستلم حلقة ولا كتب موضوعاً للنشرة ، وبقي على هذا الوضع إلى اليوم .

وقد اتصل بي بعد سقوط صدام وقال: يا أبا ياسر ، أرى أن الدعاة اختلفوا الى فئات ، ولم يبق من القيادة إلا أنا وأنت ، فأرى أن تأتي الى العراق ونجتمع الشمل ، فإنهم مهما كان اختلافهم يحترموننا ، ويسمعونانا .

فقلت له: شكرأً أبا محمد ، لكن قناعتي تغيرت منذ مدة طويلة ، فأنا لا أرى أن ذمة المسلم تبرأ شرعاً ، إلا بالعمل مع المرجعية .

قال: هكذا خويا؟ قلت: هكذا خويا . وودعته!

ويظهر أن سنه وضعه الصحي شافاه الله ، لم يسمح له بأن يقوم بدور فعال ، لكنني أعتبره شاهداً على ما يعرفه ، مما كتبته عن الموضوع .

#### ٤- المرحلية خيال آمنا به ثم تركناه!

معنى المرحلية في العمل الحركي: تقدير مراحل عمل الحركة حتى تصل الى الحكم ، ومعناه أن للحركة هدفاً أعلى هو الوصول الى الحكم ، فهي تقدر مراحل عملها تبعاً لفكرة وهدفها ومجتمعها ، حتى تتحقق هدفها .

فلو كانت الحركة محاولة انقلاب عسكري، وكانت مراحل عملها الإتصال بالضباط ، وبالدول الكبرى لتطمينها أو لأخذ مساعدتها ، والإتصال بالأشخاص الذين هم مفاتيح احتلال قصر الحكم ومحطات الإعلام مثلاً . ثم تأتي مرحلة وضع الخطة وساعة الصفر للإنقلاب .

ولو كانت الحركة تريد الوصول الى الحكم عن طريق الإنتخابات ، وكانت مراحل عملها إقامة التحالفات الازمة ، وتشكيل قائمة بزعامة شخصية كفوءة

محبوبة من الناس ، أو زعامة الحركة ، وإعلان برنامج عمل ثم النشاط لتعريف الناس بالمجموعة وبرنامجهما ، ثم خوض الانتخابات ومحاولة ربح أكثرية من النواب لتشكيل الحكومة ، والوصول الى السلطة .

لكن أبا عصام مؤسس الدعوة عليه السلام ابتكر طريقة جديدة للوصول الى الحكم ، ليست انقلاباً عسكرياً ، ولا خوض انتخابات ، وسماها المرحلة التغييرية والمرحلة الإنقلابية ، وأقنعنا بها جميعاً ! ومفادها: أنا يجب أن نربى جيلاً من المؤمنين بالإسلام ودعوته ، تربية جيدة ، بشكل سري ، فيكونون تنظيماً حديدياً تحت الأرض ، ونهم ب نوعيthem أولاً ثم بكميthem ، حتى يكونوا أمّة مصغرة من الأمة الإسلامية الكبيرة ، ويكونوا هم القادة .

حتى إذا جاء الوقت أعلنت الحركة نهاية المرحلة التغييرية ، وبداية المرحلة السياسية ، وخرجت أمّة الدعاة من تحت الأرض الى العلن ، وتسلّمت السلطة بأسهل طريق ، بانقلاب عسكري ، أو بانتخابات ، أو بأي طريقة تراها قيادة الحركة آنذاك !

والأمر العجيب أنا في تنظيم الدعوة قبلنا هذه المرحلية ، حتى أنك تجد في ثقافة الدعوة تبريرها والتنظير لها بما لا مزيد عليه !

وقد كنت أسأل السيد الصدر عليه السلام وأبا عصام عليه السلام عن المدة التي يقدر انها لازمة لهذه المرحلة ، فيجيبان بعشرات السنين ، ومئاتها ! وأول من اكتشف خيالية هذا التصور هو السيد مهدي الحكيم عليه السلام .

ثم أقنع به السيد الصدر عليه السلام ، وقد أعلن السيد الصدر عليه السلام ذلك ، لكن بصيغة تفسير للمرحلة التغييرية .

قال السيد الحائر في مباحث الأصول: ٩٠/١: ناقلاً عن السيد الصدر عليه السلام:

«وخلصة ما قاله بهذا الصدد هي: إننا حينما نعيش بلدًا ديمقراطياً يؤمن  
باحترام الشعب وآرائه ، ولا تجاههم السلطة بالقتل والتشريد بلا أي حساب  
وكتاب ، يكون بالإمكان افتراض حزب ما يبدأ عمله بتكوين بنية ذاتية بشكل  
سري ، ثم يبدأ في مرحلة سياسية علنية ، ومحاولة كسب الأمة إلى جانبها ،  
وجرها إلى تبني تلك المواقف السياسية . ولكن الواقع في مثل العراق ليس  
هكذا ! ففي أي لحظة تحس السلطة الظالمة بوجود حزب إسلامي منظم يعمل  
وفق هذه المراحل لتحكيم الإسلام ، تقتل وتشرد وتسجن وتتعذب العاملين ،  
وتختنق العمل في تلك البلاد قبل تامة تعاطف الأمة معه وتحركها إلى جانبها ، فما  
لم يصادف هناك تحول آخر دولي في العالم يقلب الحسابات ، ليس بإمكان الحزب  
أن ينتقل من مرحلته الأولى إلى المرحلة الثانية. قال رحمه الله هذا الكلام بحدود سنة  
١٣٩٢، الهجرية ». انتهى.

أقول:

١ - معنى كلامه رحمه الله أن تصورنا للمرحلة قد يصح في البلاد الغربية التي فيها  
ديمقراطية ، أما في العالم الثالث ، فإن طبيعة السلطة ستكتشف التنظيم في أوائل  
مرحلته التغييرية وتخنقه ، فلا يعيش حتى يصل إلى المرحلة الثانية ! وإذا بطل  
تصورنا للمرحلة التغييرية بطلت بقية المراحل لأنها مبنية عليها .

٢ - وقد صدق كلامه رحمه الله ، فإن القوميين والبعثيين اتهموا جماعة العلماء من  
أول تأسيسها ، بأنها تعمل للوصول إلى السلطة بانقلاب ، وأن وراءها تنظيمًا  
يقوده السيد مهدي الحكيم والسيد محمد باقر الصدر ، وأشاعوا ذلك ، وذهبوا  
إلى السيد الحكيم رحمه الله وحذروه ، وحرضوه ضد هما .

٣- ماذكره السيد الصدر رحمه الله واحد من مجموعة إشكالات على تصورنا للعمل الحركي ومراحله ، ومن أولها مشروعية أصل الحركة وقيادتها .

وقد أعطيت هذا الكتاب الى أحد الفضلاء من تلاميذ السيد رحمه الله ، فكتب لي بعد قراءة هذه الفقرة : « قد يكون سيدنا الأستاذ الشهيد رحمه الله قد حل إشكال المشروعية بإشرافه هو شخصياً على العمل ومواكبته له ».

٤- ومنها: أن بناء أمة تحت الأرض خيال أيضاً ، لأن حقيقة الإنسان وصفات شخصيته ، ومستوى إيمانه وسلوكيه ، لا تعرف إلا فوق الأرض. فتخيلنا أن التنظيم السري يصلح مخضناً لبناء الشخصيات ، كمن يتخيل أن بإمكانه تخريج سياحين في حوض افتراضي لا ماء فيه ! أو تخريج مصلحي سيارات بخراطط قطع سيارة ، دون أن يمسوا بأيديهم سيارة !

ولذلك نرى التفاوت الكبير في شخصيات الناس وأحجامهم ، و منهم الدعاة ، وهم تحت الأرض ، أو فوقها . وهم في الظلام ، أو تحت الشمس .

٥- ومنها: أن سرية القيادة تخالف ما أجمع عليه فقهاء الإسلام ! وقد أفتوا بأنه لا يجوز الإنتماء الى تنظيم قيادته سرية ، ويبدو أنه محل إجماع ، إذ كيف يجوز للمسلم أن يُسَلِّم رقبته وجهه الى مجهول لا يعرفه ؟ !

٦- ومنها: أن سرية التنظيم والقيادة كما تشكل حالة حماية من السلطة ، ومن المجتمع الذي لا يتقبلها ، فهي تشكل جوًّا ظلامياً يفتح الباب أمام أفراد التنظيم وغيرهم لأنواع الإدعاء والتبرّح في أدوار الأشخاص ، والتسلق وادعاء المسؤوليات الكاذبة ، فيدعى أشخاص لا تقوى لهم ما شاؤوا ، لأن الذين يعرفون الواقع قلة يستطيع الكاذبون ردهم !

ويكون مثل المدعين كالذى جاء الى المفسر الاموى مقاتل فقال له: «إن إنساناً يسألني عن لون كلب أصحاب الكهف؟ فلم أجد ما أقول له! فقال له مقاتل: ألا قلت هو أبغى! فلو قلت ذلك لم تجد أحداً يرد عليك قوله!»  
(تاریخ بغداد: ١٣٦٧، وتهذیب التهذیب: ٢٥١/١٠).

### النتيجة العملية للمرحلة الخيالية

كل ما تقدم من نقد نظرية المرحلية كان نظرياً ، وأما عملياً فإن نظرية المرحلية انهارت في التطبيق من أول سنة ، ثم انهارت على يد السيد مهدي الحكيم رحمه الله ، ثم انهارت على يد السيد الصدر ، فقد دخل رحمه الله في المرحلة السياسية بعد انتصار الثورة الإيرانية ، وكان يقول: «أريد أن أجبر السلطة على قتلي ، عسى أن يحرك ذلك الجماهير للإطاحة بالنظام ، وإقامة حكم القرآن». وتمكن من ذهنه رحمه الله فكرة أنه إن سقط قتيلاً في الصحن العلوي في النجف فستتحرك الجماهير بقيادة «القيادة النائبة» التي عينها ، وأن إيران ستتساعدها معنوياً ومادياً وتسقط الطاغية ، وتقيم حكم القرآن !

وقد كتب لي أحد الفضلاء من تلاميذ السيد رحمه الله ، بعد قراءة هذه الفقرة: «الظاهر أن القضية لم تكن هكذا ، بل كان من ضمن مشروع القيادة النائبة أن يطلب سيدنا الأستاذ الشهيد رحمه الله شخصياً من الإمام الخميني رحمه الله دعم القيادة النائبة بعد أن يوصي بهم ، وذلك حرصاً منه على اكتساب المشروع الشرعية الكاملة في ذهن الأمة».

ومهما يكن ، فلم يكتب الله تعالى شيئاً مما أردناه جميماً ، وانهارت المرحلية وكل مشروع الحركة الإسلامية العالمية ، باحتلال أمريكا للعراق ، وبلغ الأمر بنا أن بعض المتصدرين لقيادة حركة الدعوة الإسلامية العالمية ، ذهب إلى أمريكا ،

وظل يحاول مدة في مكاتب خارجيتها ، لكي يعطى دوراً ما في الإداره الأمريكية للعراق !

رحمك الله يا أبا عصام بعنفوانك اللافع من بادية النجف ، المحلق عن الضيم  
كعقاب زاغ من طلقة نار ، وبطموحك الحنبل القوي لتغيير العالم ، وإقامة دولة  
الإسلام العالمية ، بدءاً من العراق وحتى آخر بلد مسلم ..

ماذا ستقول لو رأيت أن دعوتك الإسلامية صارت: الدعوة العلمانية؟

وأن من سلم من سيف صدام من الأمة التي ربيتها تحت الأرض ، لم يصلها  
إلى الشراكة في الحكم إلا فتوى من مرجعية تقليدية ، بأنه يجوز لها المشاركة في  
حكم علماني تحت نفوذ أمريكي ، فدخلت من باهها ، وجَّهَت كل مشر-وعها  
وكل مراحلها وجميع تنظيراتها ، إلى يوم يبعثون !

إن في هذه الأحداث لعبرة للذين يريدون العمل لإقامة حكم الإسلام ، بأن  
عليهم أن يؤمّنوا أولاً شرعيّة العمل والقيادة ، وأن تكون قيادتهم ظاهرة  
معروفة للناس ، وأن يكون تنظيمهم فوق الأرض ، وأن تكون مراحل عملهم  
واقعية مفصلة لمجتمعهم ، لا خيالية لمجتمع في السماء !



#### ٥- الإتجاه الثالث: العمل لتسليم السلطة بانقلاب عسكري

ينبغي الإلفات هنا إلى أن السيد مهدي الحكيم عليه السلام تطورت قناعاته السياسية  
بعد انتقاله إلى بغداد ، فقد كان يشبه السيد الصدر عليه السلام في سرعة ذهنه ، وحيويته  
الفكرية ، وقابليته للتتطور والتكيف ، وقبله للفكرة الجديدة التي تنكشف له ،  
حتى لو كان يعتقد بخلافها .

وقد اطلع رحمه الله على المجتمع البغدادي بأطيافه ، وأقام علاقات مع شخصياته المختلفة العلمائية والثقافية والإقتصادية والسياسية ، الشيعية منها والسنوية . وتوصل الى نتيجة أنه يجب الإستفادة من الطاقات المخلصة وهي كثيرة موجودة في مختلف قطاعات المجتمع والبلاد ، بدل مقوله الدعوه التي هي مقوله أبي عصام: يجب أن نبني أمة داخل الأمة مهما طال الزمن، حتى إذا اكتمل بناؤنا تحت الأرض ، خرجنا الى الساحة السياسية .

كان السيد مهدي رحمه الله يختلف مع أبي عصام رحمه الله في هذا الموضوع ، وينتقد عدم اهتمام الدعوه بهذه الطاقات ويقول: أنتم لا تعرفون كم عندنا من الكنوز والشخصيات الوطنية المخلصة ! إنهم أخيار أبرار مخلصون ، فلماذا لا تستفيدون منهم في إقامة الحكم الإسلامي الذي تريدونه ، أو الحكم المدني المتكافئ الذي يحقق العدالة أولاً ، ثم تتبعه خطوات ، وصولاً الى الحكم الذي تريدونه ؟ !

كان رأيه رحمه الله أنا يجب أن نضغط على السلطة بكل الوسائل حتى تُعلن الحكم المدني وتطبّقه ، و**تؤمن** حرية التعبير والإنتخابات ، وتضمن تداول السلطة بشكل سلمي . فإن أبت السلطة ذلك ، فلا بد من انقلاب يزيحها لأنها تكون عقبة أمام مصلحة البلد بكل فئاته .

ولم يستطع السيد مهدي أن يقنع أبا عصام بفكرة ، فقد كان كالحنابلة متمسكاً بنظريته في المرحلة التغييرية ، وأنها بناء أمة مصغرّة كاملة داخل الأمة ، وأنه لا يجوز الإنقال الى المرحلة السياسية ، إلا بعد استكمال مقومات هذه المرحلة ، ولو طال الزمان عشرات السنين ، ومئاتها !

أذكر أني سألت أستاذنا السيد الصدر رحمه الله في الكوفة سنة ١٩٦٧-١٣٨٧ عن هذه المرحلة التغييرية الطويلة التي تتبناها الدعوة وتوكدها ، كم يقدر أنها تطول: فقال أقدر أنها تحتاج الى مئة سنة ، وقال مرة: ثلث مئة سنة ! وهذا يكشف عن تفكيره بل تفكير أبي عصام بأن هذه المرحلة هي الأساس في العمل التغييري ، وأنها بناء أمة متكاملة من الدعاة تحت الأرض ، فإذا تم ذلك خرجو الى السطح دفعة واحدة ، وأعلنوا عن وجودهم ، وسلمو السلطة بكل يسر وسهولة !

ثم سمعت من السيد مهدي رحمه الله أن السيد الصدر رحمه الله اقنع بفكرته عن الحكم المدني ، والانقلاب إذا لزم الأمر ، وأنه حاول أن يقنع أبي عصام رحمه الله ويساعد السيد مهدي عليه لإقناعه ، فلم يقنع ! وذات يوم سألني السيد مهدي رحمه الله: ما رأيك إذا قمنا بانقلاب ، وجئنا الى السلطة فهل تؤيدنا ؟ فأجبته بين المزح والجد: إذا استلمتم السلطة ، طلبت منكم أن تعطوني مالية لحوزة علمية أربى فيها ألفي طالب علم ، كل منهم نابغة !

قال: وماذا تصنعوا بهم ؟ قلت: أعمل بهم ضدكم لأسقط نظامكم ! لقد كنت يومها حنبلياً كأبي عصام رحمه الله ، أي متعمقاً لما اعتقده !

وقد اختلف السيد الصدر رحمه الله مع أبي عصام رحمه الله في أمور أخرى ، وقد تمسك بها أبو عصام شيئاً بتعصب الحنابلة ! ولكن ذلك لم يقلل من احترام السيد الصدر رحمه الله له . وكان موقفه من بعضها الى جانب السيد الصدر رحمه الله .

وما كتبه السيد الحائري عن السيد الصدر رحمه الله يؤكّد تغيير رأيه في المرحلية أو المرحلة الفكرية والتغييرية والإنقلابية ، التي تقول ببناء أمة تحت الأرض ! وبرر ذلك بأن طبيعة نظام الحكم في العالم الثالث سيكشف هذا التنظيم ، ولا يسمح ببناء أمة تحت الأرض كما نتخيل !

ونقل عن السيد الصدر رحمه الله أنه كان يلطف رأيه و يجعله كتفسير للمرحلة التغييرية . ويظهر أن ذلك كان بعد استشهاد أبي عصام رحمه الله .

قال السيد الحائري في مباحث الأصول ٩٠/١: « العمل المرحلي لحزب الدعوة الإسلامية الذي تبناه هو رضوان الله عليه لدى تأسيسه للحزب ، فالمعروف اليوم عن حزب الدعوة هو الإيمان بمراحل أربع للعمل :

١ - مرحلة تكوين الحزب وبنائه ، والتغيير الفكري للأمة . ٢ - مرحلة العمل السياسي التي يتم بضمها جلب نظر الأمة إلى الأطروحة الإسلامية للحزب وموافقه السياسية ، وتبنيها لتلك المواقف ، ودفاعها عنها .

٣ - مرحلة استلام الحكم . ٤ - مرحلة رعاية مصالح الإسلام والأمة الإسلامية بعد استلام الحكم . ولكن الذي نقله الأستاذ في تلك المجالس الأسبوعية لطلابه هي المراحل الثلاث الأولى كما هو مثبت في النشرات الأولية للحزب ، ولم يتعرض للمرحلة الرابعة... وخلاصة ما قاله بهذا الصدد هي: إننا حينما نعيش بلدًا ديمقراطيًّا يؤمن باحترام الشعب وآرائه ولا تجاههم السلطة بالتعذيب والتشريد بلا أي حساب وكتاب ، يكون بالإمكان افتراض حزب ما يبدأ عمله بتكوين بنية ذاتية بشكل سري ، ثم يبدأ في مرحلة سياسية علنية ، ومحاولة كسب الأمة إلى جانبها ، وجرها إلى تبني تلك المواقف السياسية

. ولكن الواقع في مثل العراق ليس هكذا ! ففي أي لحظة تخس السلطة الظالمه بوجود حزب إسلامي منظم يعمل وفق هذه المراحل لتحكيم الإسلام ، تقتل وتشرد وتسجن وتعذب العاملين ، وتخنق العمل في تلك البلاد قبل تمامية تعاطف الأمة معه وتحركها إلى جانبه فما لم يصادف هناك تحول آخر دولي في العالم يقلب الحسابات ، ليس بإمكان الحزب أن يتقلل من مرحلته الأولى إلى المرحلة الثانية . قال رحمه الله « هذا الكلام بحدود سنة ١٣٩٢ ، الهجرية ». انتهى .

مهما يكن ، فقد أخذ السيد مهدي رحمه الله يعمل في بغداد بقناعته ، واستطاع أن يقنع السيد الصدر رحمه الله وطلب منه أن يتضامن معه فقبل .

لكنهما عجزا عن إقناع الشهيد أبي عصام ولو بمجرد التضامن معه فلم يقبل أبو عصام رحمه الله أن يدخل معه في أي عمل سياسي ، لأنه برأيه ينافي المرحلية ، والتي هي بناء القواعد تحت الأرض ، حسب تصورنا المثالي !

ويدل ما كتب السيد مهدي رحمه الله في مذكراته على أنه أقنع والده السيد المرجع فتىبي بهذا الإتجاه ولذلك تحمل ما ترتب عليه ولم يندم إلى آخر حياته .

كان السيد مهدي رحمه الله يأمل في عهد عبد الرحمن عارف ، أن تنجح خطته وخطبة أصدقائه من الشخصيات العراقية الشيعية وال逊ية ، بنقل العراق من الحكم العسكري إلى الحكم المدني .

وقد تجاوب عبد الرحمن عارف مع هذا المطلب الشعبي وعين رئيس وزراء مدني ، هو عبد الرحمن البزار ، فكان أول رئيس وزراء مدني في العراق الجمهوري العسكري .

لذا كثراً الحديث في تلك الفترة عن الحكم المدني ، مقابل الحكم العسكري الذي تواصل بثقله على العراق من ثورة عبد الكريم قاسم .

لكن البعشين سرعان ما جاؤوا بقطار أنكلو- أمريكي كما اعترف علي صالح السعدي ، وقاموا بانقلاب على عبد الرحمن عارف !

أصيب السيد مهدي وجماعته بالإحباط ، وهم شخصيات سياسية وضباط مخلصون من الشيعة والسنّة ، لأنّهم يعرفون أنّ البعشين دمويون ، ولا يمكن أن يسيروا بالبلد خطوة واحدة نحو الحكم المدني !

لذلك قرروا أنه يجب القيام بانقلاب قبل أن يُنشَّب البعشين مخالبهم في الشعب العراقي ، وكان عملهم بقيادة اللواء الركن محمد رشيد الجنابي رحمه الله وهو شخصية مستقيمة مميزة ، يحظى بالقبول والمحبة عند كل من عرفه من الشيعة والسنّة وغيرهم . وقد شارك في المحاولة ضباط من السنّة ، وشارك فيه الزعيم الكردي إدريس البرزاني ، حيث اتفقوا معه على كل خطوطه .

وأحسست مخابرات البعشين بتحرك العميد الركن رشيد الجنابي رحمه الله فسجنه ، وبقي في السجن ستة أشهر ، لكنّهم لم يستطعوا إثبات شيء عليه فأطلقوه . وبعد إطلاق سراحه واصل رحمه الله عمله حتى أكمل استعداده ، وعين ساعة الصفر . لكن وقع بعض السياسيين في الخطأ القاتل !

وكان هذا الخطأ أنّهم قدروا أن إيران تمر في أزمة مع حكومة العراق ، بعد أن أعلنت من طرف واحد إلغاءها لاتفاقية شط العرب بين البلدين :

<http://www.aljazeera.net/Portal/Templates/Postings>

فقدروا أنّهم إذا أخبروا الشاه بأنّهم يعملون لانقلاب ، فسوف يفرح ويرحب ويساعدّهم ! وبالفعل أخبروه بعملهم ، فرحب بذلك ووعدّهم بالتأييد ،

وغضهم وكذب عليهم حتى أخذ منهم ساعة الصفر ، وكان يفصلهم عنها سبع عشرة ساعة ، ولم يكن السفير الإيراني يومها في بغداد ، فأمرت الخارجية الإيرانية السكرتير الأول في السفارة تنفيذاً لأمر الشاه ، بأن يتصل بالقصر- الجمهوري ، ويطلب موعداً عاجلاً من أحمد حسن البكر لأمر مهم جداً ، فأعطوه موعداً وذهب وأخبرهم بما سموه «مؤامرة» واعتقلوا الضباط وأعدموهم ، رحمة الله !

<http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=٣٨٥٣٧>

وفي يوم ٢٠/١/١٩٧٠، أعلن البعثيون اكتشاف ما أسموه مؤامرة لاسقاط النظام في العراق ! وفي اليوم الثاني تم تنفيذ أحكام الإعدام رمياً بالرصاص في ثمانية عشر ضابطاً ، مع مصادرة أموالهم المنقوله وغير المنقوله ، وهم:

- ١ - العميد الركن محمد رشيد محسن الجنابي.
- ٢ - العقيد الركن التقاعد صالح مهدي السامرائي.
- ٣ - الملازم الأول رافع درج الربيعي .
- ٤ - الملازم الثاني نشأت محمود عسکر .
- ٥ - نائب الضابط الحربي صفوك ريكان .
- ٦ - العقيد الركن فاضل مصطفى احمد .
- ٧ - العقيد التقاعد جابر حسن حداد .
- ٨ - العقيد الركن التقاعد سليمان داود عبدالسلام الدركيزي .
- ٩ - مقدم الشرطة التقاعد عباس جواد السلامي .
- ١٠ - رئيس عرفاء سرية علي صالح خضر شراح .
- ١١ - الملازم الثاني عدنان حسين .
- ١٢ - الدكتور نظام الدين عارف .

وفي اليوم التالي تم تنفيذ حكم الإعدام بالتالية أسماؤهم:

- ١٣ - العقيد علاء الدين أمين الحشمة .

٤ - الرائد الركن المتقاعد ستار عبدالجبار العبوسي .

٥ - النقيب ماجد طركي .

٦ - الملازم الأول أنور محمد حسين .

٧ - العريف طاهر حسن حسين .

٨ - حسن حسين الخفاف .

كما أعدموا آخرين معهم أو بعدهم أيضاً .

<http://www.alhakim.co.uk/alkizwini/sahibInAlseyassah.htm> ١٢

<http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=٣٨٥٣٧>



كانت هذه آخر محاولة جادة لإنقاذ العراق من السقوط في أتون البغى ،

لكنها لم توفق ، وانفتحت على العراق جهنم صدام لأكثر من ثلاثين سنة !

وقد عرفت بالقضية بعد وقوعها ، وعملت لإنقاذ مجموعة من جماعة المرحوم

حربي آل مزعل شيخ بنى ركاب ، كانوا في إيران ليأخذوا دوراً عسكرية قصيرة

يحتاج إليها الإنقلاب ، وخشي أن يسلمهم الشاه هدية إلى أحمد حسن البكر !

فساعدت على استخراجهم ساللين من إيران ! وكان الشيخ حربي رحمه الله أحد

أركان هذه المحاولة ، ومعه ابنه إسماعيل وطالب .

وسألت السيد مهدي رحمه الله متعجباً: لماذا أخبرتم شاه إيران بالأمر ، ثم لماذا

خانكم وأخبر عدوه أحمد حسن البكر ؟

قال: كانت خطأً من فلان ، الذي تصور أن ذلك ضمان للنجاح ، لعن الله

الشاه ومن يثق به بعد اليوم ! لقد ثبت لي أن إيران لا تريد أن يقوم حكم شيعي

في العراق ، ولا حكم يكون فيه سهم مهم للشيعة ، بل تريدنا أن «نأكل

شماغات» باستمرار ، ثم يتحدث الشاه عن ظلامتنا بصفته حامي الشيعة في

العالم ، والناطق بإسمهم ، والمدافع عنهم !

وعندما اضطر السيد مهدي عليه السلام الى الخروج من العراق ، تحبب اليه شاه إيران وداعاه الى طهران فذهب ، لكنه عاد بعد مدة قصيرة ، فسألته: لماذا لم تبق في إيران؟

قال: ماذا أصنع في إيران ، إلا أن أكون ديكوراً عند الشاه ، كلما جاءت مناسبة يجب أن أحضر عنده ، وإذا حاضرت زوجته يجب أن أحضر عنده !

#### ٦- سفر المرجع الى بغداد وعنف السلطة معه !

كان واضحاً بعد إعدام العميد الجنابي عليه السلام أن البعشين سيقومون بتوجيه ضربتهم الى المرجعية والشيعة ، فقد جاءتهم الفرصة التي كانوا يعدون لها من زمن ، لذلك اقترح السيد مهدي ، والسيد الصدر ، والسيد مرتضى العسكري ، وعدد من العلماء ، على المرجع السيد الحكيم عليه السلام أن يقوم بزيارة الى بغداد لتأتيه الوفود من داخلها ومن المحافظات ، ويمنع السلطة من الإقدام على ضربتها ، ويقدم اليها مطالبيه .

وقد عارض سفر السيد ، التقليديون من علماء النجف ، وعدد من مستشاري السيد عليه السلام ، وحدروا من وحشية العبيدين وبطشهم ، وأنهم قد ينتهيون حرمة المرجعية ، وفي ذلك ضرر كبير يصعب جبره !

فرد عليهم السيد الصدر عليه السلام بأن عدم سفر المرجع أشد خطورة مما يحدرون ، لأنه يعني وقوع الكارثة على المرجعية والشيعة !

وقرر المرجع عليه السلام السفر إلى بغداد ، وسافر بدون مراسم كسفراته الماضية !

قال السيد مهدي الحكيم عليه السلام في مذكراته / ٨٥ :

«مجيء السيد إلى بغداد»: كان من أجل كسر طوق الخوف ، ولذلك فقد كان مجئه من أجل القيام بتحرك حقيقي ، وقبل مجئه ذهبنا إليه فقال لي: إجمع علماء بغداد ول يكن اجتماعهم علينا ، والغرض من ذلك هو لكي يعرف الناس ، وبالفعل حصل الإجتماع وحضره نحو السبعين معمم ، وقد تم انتخاب عشرة من هؤلاء ليكونوا ممثلين لعلماء بغداد ، وكان منهم أنا ، والشيخ علي الصغير ، والسيد مرتضى العسكري ، والسيد محمد الخلافي ، والسيد هادي الحكيم ، والباقون نسيت أسماؤهم ، وذهبنا إلى الكوفة فزرتنا السيد وفتح الحديث وتحدث الموفدون وكانت أنا ساكتاً ، فسألني السيد: لماذا أنت ساكت؟ قلت: أنا أرى من الصعوبة بمكان أن أبدي رأياً يتعلق بك ، لأنك لا تمثل نفسك وإنما تمثل أمة ، وخطوك ليس خطأً فرد ، وإن الله قد عودك على الجميل ، وأنت والله الحمد تملك القدرة على التفكير بشكل جيد ، لذلك أرى أن تخلو بنفسك وتفكر والله سبحانه يلهمك الصواب ، وانظر ما هي المصلحة . عند ذلك قال إنه وافق على الذهاب إلى بغداد .

وقد تحدث معي السيد هادي حول ترتيب الموضوع ، وأتذكر أننا لم نخبر أحداً بذلك ، حيث قلت للسيد هادي: أخشى أن السيد يستنشي ولا يأتي فلننظر ونرى ، وبعد يوم اتصل بي أخي السيد كاظم حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ذِكْرَهُ وقال لي: إن السيد استنشى ، فقلنا: الحمد لله أننا لم نخبر الناس .

ولكن بعد يوم أو يومين ، اتصل السيد كاظم وقال: نحن وصلنا بغداد ! وكان وصول السيد إلى بغداد مفاجئاً بالنسبة لي ! وحين سألت السيد كاظم حول الموضوع قال: إستيقظ السيد صباحاً وقال لي: قل لسيد عباس السائق الخاص ، يملاً السيارة بنزين . ولما أراد الخروج قال: قل لعمك السيد سعيد يأتي على أثراً أنا ذاهب ، ولم ينتظر .

ويضيف السيد كاظم: لا أدرى لم هذا الإستعجال عند السيد ، وهذه الحالة ليست من عادات السيد ، حتى أنه كان يلح على السيد عباس ويقول له: سر بسرعة !

أحد السادة العلماء لما سمع أن السيد يريد القدوم إلى بغداد ، قال له: سيدنا أنا لا أرجح لأن هؤلاء أطفال ! فأجابه السيد: هم لا يسكنون عندي وعليه فأنا أفجر الموقف ، أفضل من أن أنظرهم يفجرونـه !

طلفاح يزور السيد: من جملة الأمور التي حدثت آنذاك هي زيارة خير الله طلفاح ، وكان وقتها متصرفاً للواء بغداد ، وجاء معه حامد العاني ، الذي كان وكيلاً لوزارة الداخلية ، جاءوا لزيارة السيد فتحدث معهم السيد حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ذِكْرَهُ حول جماعة من المعتقلين ، ومن جملتهم السيد كاظم شبر ، وقال لهم: على أي أساس تتهمنون الناس بكل سهولة بالجاسوسية و.. الخ.

ثم إن هذا العمل غير جيد وهو تلويث لسمعتنا نحن العراقيين ، لأن العالم يرى أن شخصياتنا ومثقفينا وأساتذتنا وأطباءنا جواسيس ، إذًا فكيف هو حال الإنسان العادي !

فلو قلتم إن هؤلاء لهم آراء مخالفة لنا ولسياستنا ، وهم اتجاه خاص ، فهذا شىء معقول ، أما أن تقولوا إن هؤلاء جواسيس ، فهذا غير ممكن .

وكذلك تطرق السيد لموضوع السيد حسن الشيرازي وبشكل مسهب ، وذكر لهم بأنه من الفضلاء والعلماء . وعند ذلك علق خير الله طلفاح على موضوع السيد حسن قائلاً: إن المتهم ليس فقط سيد حسن ، والواقع أن هناك شخصين متهمين ! أحدهما اعتقل والأخر ترك لاعتبارات !

فلما خرجا ، قلت للسيد: إن الآخر الذي ترك لاعتبارات هو أنا !

هناك شئ يتعلق بسفر السيد: فقد زاره حمادي شهاب بمناسبة مولد النبي ﷺ ، حيث عطلت كل مظاهر الإحتفال بهذه المناسبة في الإذاعة والتلفزيون وفي كل مكان ، باستثناء مقال واحد كتب في الصحيفة ، بقلم ميشيل عفلق عن: ميلاد النبي العربي !

وقد تكلم السيد مع حمادي شهاب عن هذا الموضوع قائلاً: إن هذا غير ممكن ولا يطاق مثل هذا الوضع ! ففي بلد إسلامي ، وفي مولد الرسول ﷺ ، تمر هذه المناسبة وليس هناك أي مظاهر من مظاهر الإحتفال إلا ميشيل عفلق المسيحي ، يقيّم رسول الله ﷺ ويتكلّم عنه !

فبدأ حمادي شهاب حينئذ يتحدث عن البعثين، وما قاله لسمّاحته: إن هؤلاء مجرمون وكفراً ملحدون ، لا يؤمنون بالله ولا برسوله ، وهم مجموعة أطفال ،

ونحن الآن نعمل على إفساح المجال لهم ، لكي يجتمعوا ونتعرف عليهم ثم نجهز عليهم مرة واحدة ، ونقضي عليهم جميعاً .

الإتهام بعد سفر السيد الحكيم إلى بغداد وتطویر المواجهة: جاءني خبر من أحد أصدقائي في الكاظمية ، كان عنده صديق يعمل في الأمن العام ، فقال له: اليوم، وكان الثلاثاء ، الجماعة استطاعوا أن يأخذوا اعتراف من مدحت الحاج سري ، فإذا كان السيد مهدي يستطيع أن يُغَيِّب وجهه فليفعل ذلك ! كما أنتي بلغني أن مدحت حاول الإنتحار مرتين بقطع وریده ، وأن هذا الإعتراف أخذ منه بعد أن هدد بالإعتداء على عرضه ، إذ جاؤا بزوجته أمامه وهددوه ، فقال لهم: نعم اعترف بما تريدون !

وهذا الكلام مثبت في كتابة كتبها بخط يده على نسخة من القرآن ، أرسلها إلى أهله ، وفيه بأن كل الذي قلته سواء فيما يتعلق بشخصي أو بالآخرين ، لا واقع له وإنما قلته نتيجة للتهديد بعرضي !

وعلى كل حال كنت قد حصلت على إجازة للسفر يوم ٢ حزيران، وحدث الإتهام كان يوم ٧ حزيران ، فالفاصلة ٥ أيام ، ولذلك أشييع بين الناس بأن الحكومة هي التي سهلت عملية السفرة ، في حين أن الواقع ليس كذلك فسفرى كان منفصلاً عن هذه القضية ، ولعلهم كانوا يتوقعون أنني سوف أسافر باعتبار وجود إجازة السفر ، وبعدها يعلمون هذا العمل.

موعد البكر يزور السيد الحكيم: قبل حدث الإتهام بليلة جاء عبد الحسين ودَّاي إلى السيد ، وكنت أنا جالساً وكذلك العقيد سليمان وهو من جماعتنا، قال له:

سیدنا أحمد حسن يسلم عليك ويقول أنت عمی ، وأنا أتشرف بالتراب الذي  
يدوشه فلماذا يؤذينا ، ونحن نعطيه كل ما يريد !

ثم قال: إن هناك تحقیقاً وهو سليم ، وإن الجماعة مصرون أن يتنهی منها تکن  
الظروف ، بحيث قالوا لأحمد حسن: إذا جاء إسمك في التحقیق فسوف  
نستجوبك كذلك . وهذا معناه: إحذر !

عند ذلك أهانه السيد حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْامِلَهُ وقال له: الآن بلغ كره الناس لكم إلى حد لو أنهم  
تمکنوا منكم لما قتلوك بالرصاص ، لأنهم يأسفون على خسارة الخمسين فلساً  
عن الطلقة الواحدة ، بل سيقطعونكم بأسنانهم !

وفي اليوم التالي للإتهام ، وللتاريخ أقول: أرسل أحد الأشخاص لا ذكر إسمه  
لأنه الآن في العراق ، خبراً للسيد بواسطة السيد مرتضى العسكري ، أنه يوجد  
عندی جماعة يتراوح عددهم بين ١٥ - ٢٠ ، شخصاً بکامل أسلحتنا ورشاشاتنا ،  
ونحن مستعدون لأن نأتي ونحارب معك إلى الموت ، ولكن السيد قال: ما  
الفائدة من خمسة عشر أو عشرين شخصاً !؟

السيد الحکیم في لندن: عندما جاء السيد حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْامِلَهُ إلى لندن كنت أنا في الباكستان  
فجئت إلى لندن ، وفي إحدى الليالي أرقتُ فجئت إلى السيد في منتصف الليل  
وكان مستيقظاً ولم يكن عنده أحد فقلت له: أنت الآن رأيت ما جرى يعني  
نتائج تحركاتك ، فهل تشعر أنك أخطأت في تحركك هذا أم لا؟

قال: أنا لازلت أعتقد أن عملي صحيح . قلت: لماذا؟ قال: صحيح أنني لم  
أنتصر عليهم سياسياً ، بمعنى أنه لم أتسلم الحكم ، ولكنني أعلم أن الشعب  
العربي يحبني ، وهذه مظلومية شعر بها الشعب العراقي ، وسوف يبقى على

الأقل لمدة عشر سنوات ، دون أن ينسى موقف البعشين مني ! وعشرون سنوات من الشعور بالظلمية ، سوف يخلق حاجزاً بين الشعب وبين القبول بحزب البعث كفكرة . وقال: أنا لا أستطيع أن أعمّر عشر سنوات ، فلا أقل أستطيع الوقوف عشر سنوات كحاجز ! ثم ضرب مثلاً بالإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ ». انتهى ما كتبه السيد مهدي عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ .

أقول: الأحداث في هذه الموضوعات عديدة ، وفيها نقاط عديدة تحتاج إلى بسط وتحليل ، لكن خلاصتها أن مرجعية السيد الحكيم عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ تضامنت مع محاولة انقلاب لغير الحكم من عسكري إلى مدني ، وتحملت نتائج فشل المحاولة بسبب خيانة شاه إيران ، وقد كانت النتائج عليها قاسية ، فقد أقدمت السلطة على اتهام ابن المرجع بأنه جاسوس ، وهاجمت مقر المرجع في بغداد وارتكبت إهانة تاريخية للمرجعية ، واضطرب المرجع لأن يعود إلى النجف ، ويعت肯 بقية حياته احتجاجاً على هذا الظلم ، إلى أن توفي سنة ١٩٧٠ عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ ، فخلال الجو للسلطة لتنفيذ خطتها في اضطهاد الشيعة حتى الإبادة !

فيجب أن نقف عند تلك المرحلة ونعتبرها نهاية تاريخية لنظرية الحكومة إلى الحوزة والمرجعية بأنها إصلاحية ، وببداية تعاملها معها بحد جديد ، حيث صارت تعتقد بأن المرجعية تنافسها وتعمل للوصول إلى الحكم ، وأنها أسست حزباً سرياً لهذا الغرض ، وقامت بالفعل بمحاولة للوصول إلى الحكم . وقد كان آخر حديث للسيد الحكيم عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ مع موعد البكر أشد تهديد من مرجع لحاكم في العراق على الإطلاق ، فزاد من حقده عليه !

## ٧- السيد الصدر يسافر الى لبنان

وَقَعَتُ الْكَارِثَةُ عَلَى الْمَرْجِعِيَّةِ ، عِنْدَمَا اتَّهَمُ الْبَعْشِيُّونَ أَبْنَ السَّيِّدِ الْمَرْجِعِيِّ زُورًا وَبِهَتَانًاً وَمِنْ مَعِهِ فِي حَرْكَةِ الْإِنْقَلَابِ بِأَنَّهُ جَوَاسِيسُ ، وَهَا جُمِوا مَقْرَرُ الْمَرْجِعِيِّ بِإِهَانَةٍ وَاضْطُرَرُوهُ لِلْعُودَةِ إِلَى النَّجْفِ !

يُوْمَهَا قَرَرَ السَّيِّدُ الْمَرْجِعِيُّ أَنْ يَعْلَمَ اعْتِزَالَهُ مُحْتَاجًاً ، وَلَا يُعَرِّضَ النَّاسَ لِخَطَرِ الْصَّدَامِ مَعَ السُّلْطَةِ .

وَأَنْجَى اللَّهُ وَلَدُهُ السَّيِّدُ مُهَدِّيَّ الْمَلِكَةِ مِنْ قَبْضَةِ الْبَعْشِيَّينَ ، فَعَبَرَ بِرًا إِلَى السُّعُودِيَّةِ ، ثُمَّ إِلَى الْأَرْدُنَ حَيْثُ كَانَ خَالِهُ سَفِيرُ لَبَّانَ فِي عُمَانَ ، ثُمَّ إِلَى الْكُوَيْتِ ، ثُمَّ إِلَى باكِستانَ ، حَتَّى اسْتَقَرَ فِي دَبِيِّ .

وَكُنْتُ الْوَكِيلُ الْعَامُ لِلْمَرْجِعِيِّ فِي الْكُوَيْتِ ، فَطَلَبَ مِنِّي بَيْتُ السَّيِّدِ أَنْ أَعْمَلَ إِعْلَامِيًّا لِبِيَانِ مَظْلُومِيَّةِ الْمَرْجِعِيَّةِ وَالسَّيِّدِ مُهَدِّيَّ ، فَتَشَاورْتُ مَعَ السَّيِّدِ الصَّدَرِ الْمَلِكَةِ فَشَجَعَنِي عَلَى ذَلِكَ ، وَسَأَلَتْهُ عَنِ الْخَطَرِ عَلَيْهِ هُوَ فَقَالَ إِنَّهُ سَيَتَغَيِّبُ إِلَى لَبَّانَ .

وَتَشَارَوْتُ مَعَ أَبِي عَصَامِ الْمَلِكَةِ فَقَالَ: إِنَّ مَوْقِفَ الدُّعَوَةِ السُّكُوتُ التَّامُ تَجَاهَ الْمَوْضِيَّعِ ، فَنَاقَشْتُهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: ذَلِكَ إِلَيْكَ ، أَنْتَ لَكَ صَفَّةُ مَعْنَا فِي قِيَادَةِ الدُّعَوَةِ ، وَلَكَ صَفَّةُ وَكِيلِ السَّيِّدِ الْحَكِيمِ ، وَلَا مَانِعٌ عَنْدَنَا أَنْ تَعْمَلَ بِهَذِهِ الصَّفَّةِ فِي نَصْرَةِ الْمَرْجِعِيَّةِ وَالسَّيِّدِ مُهَدِّيِّ !

قَمَتْ بِيَعْضِ الْأَعْمَالِ الْإِعْلَامِيَّةِ فِي الْكُوَيْتِ ، فَشَكَى السَّفِيرُ الْعَرَقِيُّ إِلَى حُكُومَتِهَا ، فَجَاءَنِي تَحْذِيرًا مِنْ أَحَدِ الْمَنَاصِبِ الْعُلَيَا مِنَ الْعَمَلِ ضَدَّ الدُّولَةِ الْعَرَقِيَّةِ ، فَذَهَبْتُ إِلَى لَبَّانَ ، وَجَلَسْنَا مَعَ السَّيِّدِ الصَّدَرِ الْمَلِكَةِ وَابْنِ عَمِّهِ السَّيِّدِ

موسى الصدر ، وكان مشغولاً بتأسيس المجلس الشيعي وافتتاحه ، ووعد بالتضامن معنا في النشاط الإعلامي .

كتبت مع الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله كتاب: مخنة العراق اليوم ، وأعددنا بيانات وملصقات ، ونشرناها في ليلة واحدة في بيروت والجبل والجنوب ، فكانت حدثاً ألهى الناس ، وكتبت عنه صحف اليوم التالي ، ونشرت مقالات عن ظلامة المرجعية الشيعية ، والتهمة الباطلة من الحكومة العراقية لابن المرجع وشخصيات شيعية بأنهم جواسيس !

استغرق هذا العمل شهراً كنت فيه في بيروت ، إلا أياماً للإصطيف مع أستاذنا السيد الصدر رحمه الله ، وكان يسكن في جباع ، فأخذناه إلى قريتنا ياطر ، وإلي كيفون ، حيث كان يصطاف السيد موسى الصدر .

وفي تلك الأيام عرف بعض شباب الشيعة المتمحمسين أن ابن أحمد حسن البكر يصطاف في لبنان ، فتصرفاً ولم يخبروني ، وضربوه في كازينو احتجاجاً على اعتداء أبيه على المرجع رحمه الله ، فخلصه الناس من أيديهم !

وعلى أثر هذه الحادثة أمرت الحكومة العراقية جميع العراقيين بمعادرة لبنان ، فاقترحت على السيد الصدر أن يبقى في لبنان ، ونؤسس له حوزة علمية أينما أراد ، في الجنوب أو بعلبك أو بيروت ، لكنه تشاور مع السيد موسى الصدر وعمل برأيه ، فقرر الرجوع إلى النجف رحمه الله .

#### ٨- وجه الشبه بين البعثيين والشيوعيين !

من عاصر حكم البعثيين وشراستهم ودمويتهم ، يترحم على الشيوعيين وغوغاهم وتصرّفاتهم ! لأن الشيوعيين كانوا جمهوراً واسعاً في المثقف

والعادي وفيه الغوغاء الدموية المنفلتة ، لكن البعضين كلهم غوغاء دموية منظمة  
، يعملون بـ تخطيط و خباثة !

وقد كشفهم جمال عبد الناصر لأنه جربهم ، وكشف كذبهم و تحايلهم في قضية  
الوحدة ، ووصفهم بأوصاف رأينا انطباقها عليهم بالكامل .

وهو الذي جاء بهم الى الحكم فجعلهم شركاء في الإنقلاب على عبد الكريم  
قاسم . وكان السبب الوحيد لقبوله لهم أنه قتله وأشرس من جماعته القوميين  
الخوافين !

فجاؤوا مع عبد السلام فكشفهم وطردتهم ، ثم انقلبوا على أخيه عبد الرحمن .  
وجعلوا اشعارهم ودثارهم قتل من خالفهم أو من سكت ولم يرض بحكمهم .  
وخططوا لإبادة الشيعة الذين هم أكثرية الشعب العراقي . وكان صدام  
أكثرهم دموية وسفكًا للدماء ، فكان يقول: يكفيني أن يبقى في العراق ثلاثة  
ملايين !

#### ٩ محاربة الحكومات الظالمة للشعائر الحسينية !

من نعم الله تعالى على أهل العراق ولاؤهم لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام  
واحتفاءهم بمراقدhem المباركة وزيارتھا ، خاصة في المناسبات الدينية ، حيث  
يقصدون كربلاء بمئات الألوف لزيارة الإمام الحسين عليه السلام .

وتخاف الحكومات من هذا التجمع أن يتحول الى مظاهرة تطلق الهتافات  
ضدها ، لذلك دأبت على محاربة هذه المراسم ، والتضييق على الخطباء والشعراء  
والرواديد ، وكان الناس رغم ذلك يصررون على الذهاب الى الزيارة ، ويقيمون  
المواكب والمراسيم ويشتبوك مع الشرطة ، فتلقي القبض على العديد منهم ،  
وتحكم عليهم بعقوبات مختلفة !

وقد ورثت الحكومات المعاصرة هذه السياسة من الحكومات الظالمة من زمن العباسين ، فقد عملوا على منع زيارة الحسين علیه السلام وقاومهم الناس ، وقدموا في سبيل ذلك أنفسهم ، حتى ثبتوا هذه الزيارة الجماهيرية .

وقد زاد البعشون على غيرهم فأفروطوا في استعمال العنف مع الناس لمنع المراسيم الحسينية ، فكانوا ينشرون قواتهم في الطرقات نحو كربلاء لطاردة الذين يأتون مشياً لزيارة الحسين علیه السلام والقبض عليهم ، أو إطلاق النار عليهم وقتلهم ، وتتبعوا خطباء المنبر الحسيني والشعراء والرواديد ، في أنحاء العراق وقتلوا منهم المئات ، مضافاً إلى من قتلوا من علماء الدين !

#### ١٠-وفاة السيد الحكيم علیه السلام ومباحثات الدعوة والسيد الصدر علیه السلام

كان لوفاة المرجع السيد الحكيم علیه السلام تأثير حزين عميق في أنفس الشيعة ، فقد توفي في عزلته واحتجاجه على ظلم البعشين ، فخرج الناس بمئات الآلاف ، باكين عليه هاتفين له ولابنه السيد مهدي .

وأقمنا له مجالس الفاتحة في الكويت ، وحضرها ولده السيد مهدي علیه السلام .

وجاء الخبر أن تشييع جنازة السيد الحكيم علیه السلام كان حاشداً في بغداد ، قدره بنصف مليون ، وأن أحمد حسن البكر شارك فيه ، فهتفت الجماهير في وجهه: السيد مهدي مو جاسوس ، إسمع يالرئيس !

ورأى جماهير الناس يتوجهون إليه ووصلوا إلى حراسته ، فانسحب .

وجاء الخبر أن وفود الناس جاءت إلى النجف وكانت يهتفون: أيدنَا سيد يوسف ، قلدنا سيد يوسف ! فكلمني بعض الناس أن نعلن تقليد السيد يوسف علیه السلام ، فأجبتهم إن التقليد في مذهبنا يجب أن يكون للأفقه الأعلم ، ومن

المعروف المشهور أن السيد الخوئي بعد السيد الحكيم هو الأفقه ، فسكت السيد مهدي عليه السلام ولم يعترض .

وفي اليوم الثالث أعلنتُ بحضوره أن الموازين الشرعية توجب تقليد الأعلم ، وأنه السيد الخوئي عليه السلام ، فقلد من يثق بكلامي السيد الخوئي عليه السلام .

أما السيد الصدر عليه السلام فكنت تكلمت معه حول التقليد بعد السيد الحكيم ، فقال: ليس من المصلحة طرح مرجعتي مع وجود أستاذي السيد الخوئي . لكن بعض من حوله كان رأيهم أنه إذا تبنت الدعوة مرجعية السيد الصدر فيجب إعلامها . وطروا ذلك في أواسط الدعوة ، حتى وصل الخبر إلى أبي عصام عليه السلام فأبدى تحفظه .

ثم عقدت أربع جلسات بين السيد الصدر عليه السلام وأبي عصام عليه السلام لمناقشة الموضوع ، وكان أبو عصام هو كل الدعوة ، فكل خطوطها وأمورها بيده . وعقدت الجلسات في بيت السيد إسماعيل الصدر عليه السلام المجاور لمسجد الهاشمي في الكاظمية ، وحضر بعضها أبو حسن السبتي ، وكان محورها موقف الدعوة من المرجعية ككل ، وموقفها من مرجعية السيد الصدر ، وهل يصح أن تتبناها الدعوة ، أم لا؟!

وانتهت الجلسات بعدم التوافق ، وكتب أبو عصام البيان التاريخي في موقف الدعوة من المرجعية ، وأعطاه إلى معاونه فعممه على مسؤولي خطوط التنظيم ، ليدرسواه للدعوة كنشرة داخلية .

وجاء أبو عصام عليه السلام إلى الكويت وأخبرني بخلاصة الجلسات ، وأعطاني البيان فقرأته وكان وقعه على ثقيلًا فناقشه بشدة ، ثم ناقشه في اليوم التالي !

كان مضمون البيان أن المرجعية فيها جانبان: جانب المفتى ، وهذا أمر متروك للداعية أن يختار المفتى الذي يرجع اليه ، حسب موازينه .

وجانب قيادي ، والقيادة للدعوة لأنها المتصدية لها ، وهي تريد أن يتتصدى الفقيه لقيادة الأمة ، وتدعوا الفقهاء إلى ذلك ، و موقفها من الفقيه والمرجع بقدر ما يتتصدى لقيادة الأمة .

ومعنى ذلك إعلان الثنائية بين الدعوة والسيد الصدر عليه السلام ، وأنها لا تتبنى مرجعيته إلا بقدر ما تعتبر أنه تتصدى لقيادة الأمة ، ويكون ذلك حسب فهمها للتصدي وتقييمها له .

و معناه أن شرعية القيادة في الأمة إنما هي للتصدي وليس للفقاہة ، وأن هذا التتصدي مفتوح لكل أحد من المسلمين ، فهو إجازة شرعية من الله تعالى بقيادة الأمة لكل فرد منها ! والآن هو أبو عصام ، وغداً أي شخص !

ناقشت أبي عصام عليه السلام في هذه الأمور وغيرها ، فقال في ختام نقاشنا: يعني أنك تُشكل علينا لماذا نترك السيد الصدر ، فاطمئن بأننا لانتركه ولا يتركنا! قلت له: <sup>أ</sup>شكّل عليكم وعليه ، فالتنظيم ضرورة ، وجود المجتهد المرجع فيه ضرورة ، ولا يصلح أحد هما بدون الآخر !

قال: نحن وإياه في نفس الخط ، وفتح يديه مشيراً إلى الأمام والطريق.. ونحن لا نتركه ، لقد تركنا وما تركناه ، يشير إلى انسحابه قدماً من الدعوة! ولا يمكننا الآن أن نبني مرجعيته ، فدعنا نرى كيف سيكون معنا !

قلت له: لم يترككم السيد الصدر ، فهذا أنا من أقرب الناس اليه ، بقيت سنين أعمله على أنه في قيادة الدعوة ، ولم يقل: لا !

وهذا السيد كاظم الشيرازي من أقرب طلبه إليه ، وقد أخبرني السيد الصدر أنه تعب معه سنوات حتى أقنعه قبل ستين بلزوم التنظيم ، وسلمه لكم ، فصار مسؤوله الشيخ عارف ، وها هو يسمع كلام الشيخ عارف ويعتبره تكليفه الشرعي ، أكثر من كلام أستاده السيد الصدر !

ولم يقنعني أبو عصام رحمه الله ولم أقنعه ، وعندما جاءني موعداً سأله عن موقفه فقلت له: في سفرتك هذه جعلتني أعيش بقلب مشطور ، شطر مع المرجعية وشطر مع التنظيم ، فإن استطعت أن أجمع بينهما فهو المطلوب وإلا رجحت المرجعية وودعتكم ! وإذا أردتم أن أحضر معكم في القيادة بصفة صديق فعلت ، وابعثوا أحداً يستلم خطوط الدعاة الذين بيدي !

قال: يعني هذا موقفك النهائي؟ قلت: نعم ، وأخبروني بإسم من اختارونه ليستلم مني خطوط العمل؟ فأخر أبو عصام رحمه الله سفره ليتصل ويتشاور وعاد إلى ليخبرني بأنهم اختاروا السيد عبد الأمير علي خان، فوافقت عليه . وعاد أبو عصام إلى العراق وأخذ يرتب سفر الشخص المتفق عليه ، فتأخر ذلك حتى سجن رحمه الله ، وتولى عمله الشيخ عارف ، والسببي .. الخ.

#### ١١- المازنة في العلاقة بين الدعوة والسيد الصدر رحمه الله

كنت أقدر أن القضية في النتيجة بين أبي عصام رحمه الله والسيد الصدر رحمه الله ، وأن أبو عصام يعتبر نفسه مؤسساً للدعوة ، وهو ثابت على أفكاره ، قوي الثقة بصحتها وهو أكبر سنًا من السيد الصدر ، ويرى أنه أصح فكرًا منه ، فلا أمل في أن يتنازل له إذا اختلفا في الرأي . وهو مصر على مقولاته التي أقنع بها الجميع ،

كمفهوم المرحلة التغييرية ، وبناء الأمة داخل الأمة ، ومفهوم أن القيادة في الأمة حق للمتصدي ، لأنها فعل قيادة ، وليس منصب قيادة للفقيه ولا للمرجع !  
و كنت أقرب إلى قناعات السيد الصدر رحمه الله وميله ، خاصة في قيادة المرجعية ،  
وكان على أن أعمل للتوفيق بين هذين القطبين .

وعندما سجن أبو عصام ، كان رأي الشيخ عارف والسبتي ، بأن الأمر سهل ، لأن هجمة العشرين ستفرض علينا أن نكون وحدة لاتنفس !  
وسرعان ما جرت الأمور بمقادير الله تعالى ، بغير ما كنا نقدر أو نتصور فقتل  
أبو عصام رحمه الله ، ثم اعتقل الشيخ عارف وقتل رحمه الله ، ثم سلم الملك حسين أبا  
حسن إلى صدام ، فقتله .

وانتصرت الثورة في إيران ، فاندفع السيد الصدر رحمه الله في تأييدها ، فقتل .

ولم نكن نعلم أن كل مرحلتنا وتنظيراتنا كان بعضها خيالياً طوبائياً ، وبعضها  
واقعياً ، لكن الأحداث درفتها جميعاً .

لم نكن نعلم أنها على عتبة حرب يشنها العشرون على إيران دامت ثمان سنوات ،  
واختاروا منها المبرر تلو المبرر ، لإبادة الدعوة ، والحوza والمرجعية ، والشيعة  
في العراق ، حتى قال صهر صدام وهو يضرب بمدفعية دباته الحرم الحسيني في  
كربيلا: لا شيعة بعد اليوم !

لقد قرع بقوله أسماعنا التي أصيّبت بالصمم ، وقال لنا إن الواقع طائفـي وليس  
إسلامياً ، وإن السياسة الفاعلة سياسة الإبادة الأموية ، لا خياراتكم بإقامة دولة  
الخلافة ، وأمنياتكم بالوحدة مع جلاـدين طائفـيين !

## حجج أصحاب الإتجاهات الثلاثة

### لحجة عن أدلة الإتجاهات الثلاثة المتقدمة

لكل واحد من هذه الإتجاهات الثلاثة ، أداته وحججه: الإصلاحي التقليدي والثوري الحزبي ، أو بتسمية أبي عصام: الإنقلابي التغييري . واتجاه الإنقلاب العسكري . وفي كُلٌّ من هذه الحجج والنقود مسائل وبحوث ، فقهية ، وتاريخية وسياسية كثيرة ، ونكتفي هنا بذكر لحجة عنها.

#### ١- حجة أصحاب الإتجاه الإصلاحي التقليدي

يحتاج أصحاب الإتجاه الإصلاحي التقليدي في الحوزة بأمور:

١ - أحاديث الأئمة عليهم السلام المتواترة في تحريم الخروج على الحكام ، والسعى إلى الحكم ، قبل ظهور الإمام المهدى ع . وقد عقد لها الحر العاملى رحمه الله في وسائل الشيعة (٣٥ / ١١) أبواباً ، منها: باب حكم الخروج بالسيف قبل قيام القائم عليه السلام روى فيه سبعة عشر حديثاً ، وفيها المتفق على صحته . منها قول الإمام الصادق عليه السلام: «ما خرج ولا يخرج منا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد يدفع ظلماً أو ينعش حقاً ، إلا اصطلمته البلية ، وكان قيامه زيادة في مكر و هنا وشيعتنا ». وباب: «من يجوز له جمع العساكر والخروج بها إلى الجهاد ». وباب: «اشترط وجوب الجهاد بأمر الإمام عليه السلام وإذنه ، وتحريم الجهاد مع غير الإمام العادل ». وروى فيها عدداً من الأحاديث .

٢ - إن خط الحوزة الذي سار عليه مراجع الطائفة وفقهاوتها ورواتها ، من عصر الأئمة عليهم السلام إلى عصرنا هذا ، أنهم كانوا يتعايشون مع حكام عصورهم مهما كانوا ، وكانوا يقيمون مع الحاكم وزرائه وموظفيه علاقات حسنة ، متجنبين

معاونتهم على الظلم ، ناصحين لهم عندما يأملون نفع النصح ويؤمنون ضرره ،  
تطبيقاً لقوله تعالى: إِنْ رَبِّيْدَ إِلَّا صَلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ .  
وهذه السيرة دليل على أنه لا يجب على المرجعية أن تعمل لتسليم الحكم ولا  
لإقامة. فلو كان واجباً لما تركه أولئك الأتقياء الأبرار عبر التاريخ !

٣- المتفق عليه بين فقهاء المذهب أن منصب المرجع منصب خبير في الشريعة ،  
له حق الإفتاء والقضاء والأمور الحسبية . وقد حاول بعض الفقهاء أن يثبتوا أن  
المرجعية ليست منصباً خبروياً فقط ، بل منصب قيادي سياسي ، لكن الأدلة  
التي ذكروها لا تكفي لإثبات ذلك .

وقد بحث فقهاؤنا مسائل ولالية الفقيه في باب الإجتهاد والتقليد ، وفي أماكن  
أخرى من كتب الفقه الإستدلالي .

قال المرجع الميرزا النائيني رحمه الله: « لا إشكال في ثبوت منصب القضاء والإفتاء  
للفقيه في عصر الغيبة ، وهكذا ما يكون من توابع القضاء كأخذ المدعى به من  
المحكوم عليه ، وحبس الغريم المهاطل ، والتصرف في بعض الأمور الحسبية ،  
كحفظ مال الغائب والصغير ونحو ذلك . وإنما الإشكال في ثبوت الولاية  
». (تقارير أبحاثه - شرح المكاسب للخوانساري: ٢٣٢/٢).

وقال المرجع السيد الخوئي رحمه الله: « وقد ذكرنا في الكلام على ولالية الفقيه من كتاب  
المكاسب أن الأخبار المستدل بها على الولاية المطلقة قاصرة السندي أو الدلالة  
وتفصيل ذلك موکول إلى محله . نعم يستفاد من الأخبار المعتبرة أن للفقيه ولالية  
في موردين وهم الفتوى والقضاء . وأما ولاليته فيسائر الموارد فلم يدلنا عليها  
رواية تامة الدلالة والسندي ». (الإجتهاد والتقليد للسيد الخوئي/٤١٩)

وفي صراط النجاة من فتاوى المرجعين السيد الخوئي والميرزا التبريزى: ١٠ / ١:

«سؤال ١: هل هناك إجماع من علمائنا المراجع المتقدمين والمؤخرين على ولادة الفقيه؟ وضحاوا لنا ليتبين لنا من سماحتكم حقيقة المسألة عند علمائنا الأعلام الذين أفتوا بولاية الفقيه في عصر غيبة قائم آل محمد ﷺ .

الخوئي: أما الولاية على الأمور الحسبية لحفظ أموال الغائب واليتيم ، إذا لم يكن من يتصدى لحفظها كاللولي أو نحوه ، فهي ثابتة للفقيه الجامع للشرائع ، وكذا الموقفات التي ليس لها متولٌ من قبل الواقف ، والرافعات فإن فصل الخصومة فيها بيد الفقيه ، وأمثال ذلك ، وأما الزائد على ذلك فالمشهور بين الفقهاء عدم الثبوت ».

٤ - أن الله تعالى يستحيل أن يعطي الحكم على عباده لإنسان غير معصوم لأن منصب الحكم يضغط على أعصاب الإنسان مهما كان فيفقد العدالة ، وقد قال أمير المؤمنين ع: «السكر أربع سكرات: سكر الشراب، وسكر المال، وسكر النوم، وسكر الملك»! (معاني الأخبار/ ٣٦٥، والخيصال/ ٦٣٦). فالدولة التي يرأسها غير المعصوم ع لا تتحقق هدف العدالة التي يريدها الله تعالى ، وبالتالي ستكون كغيرها من الدول الزمية .

٥ - أن الإمام ع لم يعملا لتسليم السلطة ، ولا أجازوا لأحد أن يعمل بإسمهم . وقد صرحو ع بأن منهجهم عدم العمل لتسليم السلطة ، مع أنه كان ميسوراً لهم ، بل قدمت إليهم الخلافة على طبق من ذهب فرفضوه! وتواترت أحاديثهم في أن دولتهم ستكون على يد المهدي الموعود ع فقط .

أما أمير المؤمنين عليه السلام فهو استثناء لأنه حكم بأمر النبي عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام  
كان حكمه لستة أشهر ، وهو امتداد حكم أبيه عليهما السلام .

وقد صح أن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يُجز ثورة التوابين ولا المختار ، ولا  
قبل قيادة الدولة بعد انتصار المختار ، وكانت تشمل العراق وأكثر إيران ، وإن  
شكر المختار وكل من طلب بثأر أبيه عليهما السلام ، ودعا لهم .

كما رفض الإمام الصادق عليه السلام أن يتسلم الخلافة بعد انتصار ثورة أبي مسلم  
الخراساني وأبي سلمة الخلال ، وقد حبسوا العباسين مدة في الكوفة ولم يبايعوهم  
، وراسلوا الإمام الصادق عليه السلام وحاولوا إقناعه بالقبول ، فلم يقبل ! وعلل رفضه  
بأن قادة الثورة ليسوا متدينين ولا مطيعين له ، ولأنه لا يوجد (كواذر) مؤمنة  
كفوءة تطيعه وتدير الحكم معه ، ثم تديره من بعده !

قال الشهريستاني في الملل والنحل: ١٥٤/١: «وكان أبو مسلم صاحب الدولة على  
مذهب الكيسانية في الأول ، واقتبس من دعاتهم العلوم التي اختصوا بها ،  
وأحس منهم أن هذه العلوم مستودعة فيهم ، فكان يطلب المستقر فيه، فبعث  
إلى الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنهم إن قد أظهرت الكلمة ودعوت  
الناس عن موالة بنى أمية إلى موالة أهل البيت ، فإن رغبت فيها فلا مزيد  
عليك ، فكتب إليه الصادق رضي الله عنه: ما أنت من رجالي ولا الزمان زمانى  
! فحاد أبو مسلم إلى أبي العباس عبدالله بن محمد السفاح وقلده أمر الخلافة ».»

وفي الكافي: ٢٧٤/٨: «عن الفضل بن سليمان الكاتب ، قال: كنت عند أبي عبد  
الله عليه السلام فأتاه كتاب أبي مسلم فقال: ليس لكتابك جواب ، أخرج عنا! فجعلنا  
يسار بعضنا بعضاً ، فقال: أي شيء تسارون؟ يا فضل إن الله عز ذكره لا يجعل

لعجلة العباد ولإزاله جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله . ثم  
قال: إن فلان بن فلان ، حتى بلغ السابع من ولد فلان . قلت فما العالمة فيما  
بيتنا وبينك جعلت فداك؟ قال: لا تربح الأرض يا فضل حتى يخرج السفياني ،  
فإذا خرج السفياني فأجيروا علينا يقوها ثلاثة ، وهو من المحروم ». .

وقال المسعودي في مروج الذهب / ٨٩٠: « وأخفى أبو سَلْمَةَ أَمْرَ أَبِي الْعَبَّاسِ وَمِنْ مَعِهِ،  
ووكل بهم وكيلًا ، وكان قدوم أبي العباس الكوفة في صفر من سنة اثنتين  
وثلاثين ومائة ، وفيها جرى البريد بالكتب لولد العباس ، وقد كان أبو سَلْمَةَ  
لما قُتِلَ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامَ خَافَ انتِقَاصَ الْأَمْرِ وَفَسَادَهُ عَلَيْهِ ، فَبَعَثَ بِمَحْمُدِ بْنِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسْلَمَ وَكَانَ أَسْلَمُ مَوْلَى لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابَيْنِ عَلَى  
نَسْخَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي  
طَالِبٍ ، وَإِلَى أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسِينِ بْنِ الْحَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،  
يَدْعُونَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى الشَّخْصِ إِلَيْهِ لِيَصْرُفَ الدُّعَوَةَ إِلَيْهِ ، وَيَجْتَهِدُ فِي بَيْعَةِ  
أَهْلِ خَرَاسَانَ لَهُ ، وَقَالَ لِرَسُولِهِ: الْعَجَلَ الْعَجَلَ فَلَا تَكُونَنَّ كَوَافِدَ عَادَ (بَعْشُوهُ  
فَاخْتَارُهُمْ سَحَابَةً سُودَاءً ، فَكَانَتْ عَلَيْهِمْ لَا هُمْ) فَقَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَدِينَةَ عَلَى أَبِي  
عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ فَلَقِيَهُ لَيْلًا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ رَسُولُ أَبِي سَلْمَةَ  
وَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَهُ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَمَا أَنَا وَأَبُو سَلْمَةَ وَأَبُو سَلْمَةَ شِيعَةُ لَغَيْرِيِّ!  
قال: إني رسول فتقراً كتابه وتحببه بما رأيت . فدعنا أبو عبد الله بسراج ثم أخذ  
كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق ، وقال للرسول: عرّف  
صاحبك بما رأيت! ثم أنشأ يقول متمثلاً بقول الكميت بن زيد عَلَيْهِ السَّلَامُ:  
سَامُوكِ دَأْنَارًا لِغَيْرِكِ ضَوْءُهَا وَيَا حَاطِبًا فِي غَيْرِ حَبْلِكِ تَحْطُبُ

فخرج الرسول من عنده ، وأتى عبد الله بن الحسن فدفع إليه الكتاب فقبله وقرأه وابتهج به ، فلما كان من غد ذلك اليوم الذي وصل إليه فيه الكتاب ، ركب عبد الله حماراً حتى أتى منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، فلما راه أبو عبد الله أكبر مجئه ، وكان عبد الله أَسْنَنَ من أبي عبد الله فقال له: يا أبا محمد أَمْرٌ ما أتى بك ! قال: نعم وهو أَجَلٌ من أن يوصف ، فقال: وما هو يا أبا محمد. قال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى ما أقبله وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان ! فقال له أبو عبد الله: يا أبا محمد ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟! أَنْتَ بعثت أبا مسلم إلى خراسان وأنت أمرته بلبس السواد؟ وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وَجَّهْتَ فيهم وهل تعرف منهم أحداً؟!

فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام إلى أن قال: إنما يريد القوم أبني محمدأ لأنه مهدي هذه الْأُمَّة ، فقال أبو عبد الله جعفر: والله ما هو مهدي هذه الْأُمَّة ولئن شهر سيفه ليقتلن ، فنازعه عبد الله القول حتى قال له: والله ما يمنعك من ذلك إلا الحسد ! فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: والله هذا نصح مني لك ، ولقد كتب إلى أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك ، فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك ، ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه ، فانصرف عبد الله من عند جعفر مغضباً .

وينابيع المودة: ١٦١ / ٣، والمناقب: ٣٥٦، وذكر فيه مجئ أبي مسلم الخراساني إلى الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في المدينة.

وفي الكافي: ٢٤٢ / ٢: «باب في قلة عدد المؤمنين.. عن سدير الصيرفي قال: دخلت على أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقلت له: والله ما يسعك القعود ! فقال فلم يَا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك ، والله لو كان لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ما لك من الشيعة والأنصار والموالي ، ما طمع فيه تيم ولا عدي !

فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف ، قال: مائة ألف؟! قلت:  
 نعم، وما تي أللـف ! قال: ما تي أللـف! قلت: نعم ونصف الدنيا !  
 قال فسكت عنـي ثم قال: يخـف عليكـ أن تبلغـ معـنا إلى يـنـبـع؟ قـلـتـ: نـعـمـ ، فـأـمـرـ بـحـمـارـ  
 وـبـغـلـ أـنـ يـُـسـرـ جـاـ فـبـادـرـتـ فـرـكـبـ الـحـمـارـ فـقـالـ: يا سـدـيرـ أـتـرـىـ أـنـ تـؤـثـرـيـ بـالـحـمـارـ؟  
 قـلـتـ: الـبـغـلـ أـزـينـ وـأـنـبـلـ ! قال: الـحـمـارـ أـرـفـقـ بـيـ ، فـنـزـلـتـ فـرـكـبـ الـحـمـارـ وـرـكـبـ الـبـغـلـ ،  
 فـمـضـيـنـاـ فـحـانـتـ الصـلـاـةـ ، فـقـالـ: يا سـدـيرـ إـنـزـلـ بـنـاـ نـصـلـيـ ، ثـمـ قـالـ: هـذـهـ أـرـضـ سـبـخـةـ  
 لـاـ تـجـوزـ الصـلـاـةـ فـيـهـاـ ، فـسـرـنـاـ حـتـىـ صـرـنـاـ إـلـىـ أـرـضـ حـمـراءـ وـنـظـرـ إـلـىـ غـلامـ يـرـعـىـ جـدـاءـ  
 فـقـالـ: وـالـلـهـ يـاـ سـدـيرـ لـوـ كـانـ لـيـ شـيـعـةـ بـعـدـ هـذـهـ الـجـدـاءـ مـاـ وـسـعـنـيـ الـقـعـودـ! وـنـزـلـنـاـ  
 وـصـلـيـنـاـ فـلـيـاـ فـرـغـنـاـ مـنـ الصـلـاـةـ ، عـطـفـتـ عـلـىـ الـجـدـاءـ فـعـدـتـهـ إـنـذـاـ هـيـ سـبـعـةـ عـشـرـ)ـ!  
  
 وـمـعـنـىـ ذـلـكـ أـنـ إـقـامـةـ دـوـلـةـ الـعـدـلـ وـتـطـبـيقـ أـحـكـامـ إـلـاسـلـامـ ، تـحـتـاجـ عـلـىـ الـأـقـلـ إـلـىـ  
 بـضـعـةـ عـشـرـ سـخـصـيـةـ ، يـكـونـ الـوـاحـدـ مـنـهـمـ بـكـفـاءـةـ قـادـةـ ثـوـرـةـ العـبـاسـيـنـ مـثـلـ بـكـيرـ بـنـ  
 مـاهـانـ وـأـبـيـ سـلـمـةـ الـخـلـالـ وـأـبـيـ مـسـلـمـ الـخـرـاسـانـيـ ، وـبـفـقـهـ زـرـارـةـ وـأـبـيـ بـصـيرـ وـمـحـمـدـ بـنـ  
 مـسـلـمـ وـتـقـواـهـمـ ، وـبـشـجـاعـةـ قـحـطـبـةـ بـنـ شـبـيبـ وـزـمـلـاـهـ ! وـحـيـثـ لـاـ يـوجـدـ هـؤـلـاءـ ،  
 فـسـتـكـونـ الـقـيـادـةـ فـيـ وـادـ وـوـزـرـأـهـاـ وـعـهـاـ فـيـ وـادـ آـخـرـ ! وـإـذـاـ أـرـادـ الـقـائـدـ إـصـلـاـحـهـمـ  
 قـاـوـمـوـهـ ، وـإـنـكـلـدـ مـمـ منـ مـؤـامـرـاتـهـ تـصـارـعـوـاـ عـلـىـ النـفـوذـ فـيـ حـيـاتـهـ ، وـظـهـرـ ذـلـكـ عـنـدـ  
 وـفـاتـهـ ، وـعـادـ الـظـلـمـ وـالـجـورـ كـمـ كـانـ وـأـشـدـ!  
  
 وـهـذـاـ دـأـخـرـ اللـهـ تـعـالـىـ لـلـإـمـامـ الـمـهـدـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـصـحـابـاـ خـاصـيـنـ ، يـجـمـعـهـمـ لـهـ فـيـ لـيـلـةـ وـاحـدةـ  
 ، مـنـ أـقـاصـيـ الـأـرـضـ وـأـدـانـيـهـ ، فـيـقـيـمـ بـهـمـ دـوـلـةـ الـعـدـلـ الإـلـهـيـ !

## ٢- حـجـةـ أـصـحـابـ الـإـتـجـاهـ الثـوـرـيـ الـإـنـقلـابـيـ

١- ويـجـبـ أـصـحـابـ الـإـتـجـاهـ الثـوـرـيـ الـإـنـقلـابـيـ: بـأـنـ الشـيـعـةـ كـانـوـاـ أـقـلـيـةـ مـسـتـضـعـفـةـ  
 فـيـ الـأـرـضـ ، يـخـافـوـنـ أـنـ يـتـخـطـفـهـمـ النـاسـ مـنـ حـوـلـهـمـ ، فـلـمـ يـكـنـ عـنـهـمـ خـيـارـ إـلـاـ

التعايش مع الحكام ، ولم يكن لهم قدرة على الخروج وإقامة حكم إسلامي .  
فسيرة الفقهاء والراجع على عدم الخروج والثورة سببها عدم القدرة ، وليس  
عدم جواز أو عدم وجوب إقامة الدولة .

قال السيد الخميني رض: «المستفاد من المقبولة كما ذكرناه ، هو أن الحكومة مطلقاً  
للفقيه ، وقد جعلهم الإمام علیه السلام حكاماً على الناس .

ولا يخفى أن جعل القاضي من شؤون الحاكم والسلطان في الإسلام ، فجعل  
الحكومة للفقهاء مستلزم لجواز نصب القضاة ، فالحاكم على الناس شأنهم  
نصب الأمراء والقضاة وغيرهما مما تحتاج إليه الأمة .. فالقول بأن الأخبار في  
مقام بيان وظيفتهم من حيث الأحكام الشرعية والقضاء بين الناس ساقط ..  
وتخصيصها بالقضاء لا وجه له ، بعد عموم اللفظ ومطابقة الإعتبار ،  
والإنصراف لو كان فهو بَدْوِي ، ينشأ من توهם كون مورد المقبولة هو القضاء  
. (كتاب الإجتهاد والتقليد/ ٥٣).

وقال السيد الخامنئي في أجوية الإستفتاءات: ١/٢٣: «س ٦٤: ما هو تكليفنا تجاه  
الأشخاص الذين لا يرون ولاية الفقيه العادل إلا في الأمور الحسبية فقط ؟ على  
بأن بعض ممثليهم يشيرون ذلك أيضاً ؟

ج: ولاية الفقيه في قيادة المجتمع وإدارة المسائل الإجتماعية في كل عصر وزمان  
، من أركان المذهب الحق الإثني عشري ، ولها جذور في أصل الإمامة . ومن  
أوصله الإستدلال إلى عدم القول بها فهو معذور، ولكن لا يجوز له بث التفرقة  
والخلاف». انتهى.

وينبغي التنبيه على أن الفقهاء القائلين بولاية الفقيه والنافين لها ، متفقون على أن من مهام المرجعية وواجباتها: التوعية الدينية ، وتبلیغ الأحكام ، ونصح الحاکم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنکر ، والجهاد الدفاعي إذا تعرض بلد مسلم لخطر خارجي وأمكن مقاومته المحتل .

فالخلاف بين الإتجاهين: في العمل السياسي والثورة لإقامة حکم إسلامي، وفي تسلیم المرجع للسلطة مباشرة ، أو بقائه موجهاً ناصحاً فقط .

ويتصور البعض أن هذين الإتجاهين الفقهيين يوجبان الصراع بين الشيعة لأن من يقول بولاية الفقيه يرى أن الفقيه المتصدی له ولاية على المسلمين ، ويجب على المراجع ومقلديهم طاعته ، ويجب دفع الخمس اليه دون غيره .

بل يضيفون إن ولایته متفرعة عن ولاية النبي ﷺ والأئمة علیهم السلام ، فهي مسألة عقائدية ، وليس فقهية مخضبة ، كما يرى أصحاب الإتجاه الثاني .

لكن الواقع هو التعايش الطبيعي بين أصحاب الإتجاهين ، فكل منها يعذر الآخر في اجتهاده ، والولي الفقيه يطاع في البلد الذي يحكم فيه .

كما أن الفقيه ولی الأمر ، يتعامل مع المقلدين لغيره بسعة صدر ، فهم يرجعون إلى مراجعهم في فتاواهم ، ويدفعون إليهم الحقوق الشرعية .

ونموذج ذلك العلاقة الطيبة بين المرجعين السيد السيستاني والسيد القائد الخامنئي التي انعکست بين مقلديهما ، مع أن السيد الخامنئي يقول بولاية الفقيه المطلقة ، والسيد السيستاني لا يقول بذلك ، وقد أفتى بأن يحكم الشعب العراقي نفسه عن طريق الإنتخابات ، وأعطى الشرعية لمن ينتخبه الناس ، ونصح طلبة العلم أن لا يدخلوا في مؤسسات الحكم إلا للضرورة .

٢- وأجاب أصحاب الإتجاه الشوري على الأحاديث التي تنهى عن الخروج قبل الظهور ، وتصف صاحب رايته بأنه طاغوت ، بأنها تقصد الرأيـات المعادية لأهل البيت عليه السلام ، ولا تقصد الذين هم في خطـهم عليه السلام .

« فمراده بالرأيـة هنا الرأيـة الداعـية إلى النـفس في قـبـالـ الحقـ ، وبـعـبـارـةـ أخرىـ: الرـأـيـةـ الـوـاقـعـةـ فـيـ قـبـالـ القـائـمـ لـاـ فـيـ طـرـيقـهـ وـمـسـيرـهـ وـعـلـىـ مـنـهـجـهـ . ولـذـاـ عـبـرـ عـنـهـاـ بـالـطـاغـوتـ وـعـقـبـهـاـ بـكـوـنـهـاـ مـعـبـودـةـ مـنـ دـوـنـ اللهـ . وـبـؤـيـدـ ذـلـكـ قـوـلـ أـبـيـ جـعـفـرـ عليه السلامـ فـيـ حـدـيـثـ عـلـىـ مـاـ فـيـ الرـوـضـةـ: وـإـنـهـ لـيـسـ مـنـ أـحـدـ يـدـعـوـ إـلـىـ أـنـ يـخـرـجـ الدـجـالـ إـلـاـ سـيـجـدـ مـنـ يـبـاعـيـهـ ، وـمـنـ رـفـعـ رـأـيـةـ ضـلـالـةـ فـصـاحـبـهـ طـاغـوتـ . فـقـيـدـ الرـأـيـةـ بـالـضـلـالـةـ .

ولو قيل بأن الظاهر من الحديث تشخيص القيام الباطل بحسب الزمان لا بحسب الهدف ، وأن الملـاكـ في بطـلـانـ الـقـيـامـ كـوـنـهـ بـحـسـبـ الزـمـانـ قـبـلـ قـيـامـ الـقـائـمـ ، وـالـعـمـومـ اـسـتـغـرـاقـيـ ، فـلـاـ يـجـوزـ الـقـيـامـ مـطـلـقاـ بـأـيـ هـدـفـ وـقـعـ .

قلنا: أولاً: إنه من المـحـتمـلـ أنـ تـكـونـ الـقـضـيـةـ خـارـجـيـةـ ، وـيـكـوـنـ المـرـادـ رـفـعـ رـأـيـاتـ خـاصـةـ بـصـفـاتـ خـاصـةـ كـانـتـ مـوـرـداـ لـلـبـحـثـ ، إـذـ يـبـعـدـ جـدـاـ صـدـورـ هـذـاـ الـكـلـامـ عـنـ الـإـمـامـ عليه السلامـ اـرـجـالـاـ .

وثانياً: إن الصـحـيـحةـ عـلـىـ هـذـاـ مـعـارـضـةـ بـصـحـيـحةـ عـيـصـ وـغـيرـهـ ، مـاـ دـلـ عـلـىـ تـقـدـيسـ قـيـامـ زـيـدـ وـأـمـثالـهـ مـاـ كـانـ لـلـدـعـوـةـ إـلـىـ الـحـقـ ، وـمـنـهـاـ قـيـامـ الحـسـينـ بـنـ عـلـيـ شـهـيـدـ فـخـ ، وـقـدـ قـامـ فـيـ خـلـافـةـ مـوـسـىـ الـهـادـيـ ، وـلـمـ يـعـرـفـ مـنـ أـئـمـنـاـ عليه السلامـ رـوـاـيـةـ تـدـلـ عـلـىـ قـدـحـهـ » . ( درـاسـاتـ فـيـ وـلـاـيـةـ الـفـقـيـهـ: ١ / ٢٣٧ ) .

٣- وأجابوا على دعوى أن الأئمة عليهم السلام لم يعمروا التسلم الحكم ، بأنهم عليهم السلام عمروا لذلك ، ولكنهم لم يقبلوا أن يكون حكمهم شكلياً لا يطبق أحكام الإسلام وعadalته ، وأن سبب عدم تسلمهم للحكم عدم وجود الوزراء الأكفاء ، فقد قال سدير الصيرفي للإمام الصادق عليه السلام : «والله ما يسعك القعود! فقال: ولم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك. والله لو كان لأمير المؤمنين عليه السلام مالك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عدي! فقال: يا سدير وكم عسى أن تكونوا؟ قلت: مئة ألف، قال: مئة ألف.. فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء ونظر إلى غلام يرعى جداء فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود! ونزلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعدتها فإذا هي سبعة عشر.. وليس مراد الإمام مطلق من يسمى بالشيعة بل مراده الشيعة بمعناها الواقعي.. وهم قليلون جداً .» (دراسات في ولاية الفقيه: ١٢٣٠).

٤- وأجابوا على استحالة أن يسلم الله عباده بيد إنسان غير معصوم ، بأننا لانسلم ذلك ، ولانسلم بأن منصب الحكم يضغط على أعصاب كل الناس فيخرجهم عن العدالة ، فلذلك استثناءات كثيرة . وأجابوا عن عدم إمكان تحقيق العدالة الكاملة من الدولة التي يقيمها الفقهاء ، بأن ذلك لا يسقط عنهم إقامة الدولة لتحقيق العدالة النسبية . وأجابوا عن عدم عمل الأئمة عليهم السلام للوصول إلى الحكم ، وعدم قبوليهم تسلمه عندما قدم إليهم ، بأن شروطه لم تكن متوفرة يومها .

وأوسع ما كتب تنظيرًا لولاية الفقيه وإقامة الدولة بقيادته ، بحوث الشيخ المتظري رحمه الله ، وقد ناقش روایات النهي عن القيام قبل ظهور الإمام عليه السلام ، وذكر عشرة أدلة على وجوب إقامة الدولة الإسلامية بقيادة الفقيه ، وفيها بحث ومناقشات ، لا يتسع لها المجال .

### ٣- حجة الحركيين على قيادة غير الفقيه

يقول أصحاب الإتجاه الحركي: إن العمل للإسلام لا يحتاج إلى دليل ، لأنّه عمل لإعادة الأمة إلى الحياة الإسلامية ، والدولة الإسلامية ، وهو واجب جميع المسلمين. ألم يقل الله تعالى: لَمْ يُمْوِّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِمَّا مَنَّا لَهُمْ فَإِنَّمَا يُمْوِّلُ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ؟! والخطاب لكل المسلمين والفرضية عليهم جميعاً ، فأي مسلم تقدم وتصدى لفرضية إقامة الدين ، كان له حق قيادة الأمة .

ويجيبهم الآخرون: هذا الكلام من قلة الفقه ، فإنّ إقامة الدين واجب على الجميع ، ولكن ليس واجباً مهماً بدون آلية ! بل من المحال أن ينزل الله تعالى ديننا ثم يقول لأتباعه: كل من تصدى منكم فهو قائد شرعي ، وهو يمثلني ! لأنّه سيتصدى كثيرون ويتنافسون ، ويقاتلون على السلطة ! فلا يقبل العقل أن ينزل الله ديناً من دستور وقوانين ، ثم يجعل تفسيره وتطبيقه مشاعاً لكل من تصدى لقيادة الناس به ؟! ولا يأذن لكل إنسان أن يدعوا إلى الإسلام ويقيم دولته بإمرته ! لأنّه ستتعدد الحركات الإسلامية في العالم وفي البلد الواحد والحي الواحد ؟! فلا يعقل أن يأذن الله تعالى لهم كلّهم ويعطّيهم الشرعية ويدعوهم إلى الصراع على الحكم ؟!

وقد رویتم أن هذا الحق ممحض في أعلم الأمة وأفقيها ، وأن النبي ﷺ سمي الدعاة الجهلة ضالين متكلفين ، فقال: «من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه ، وفي المسلمين من هو أعلم منه ، فهو ضال متكلف »!

وفي الإحتجاج: ١١٨/٢: «عن عبد الكرييم بن عتبة الهاشمي قال: كنت عند أبي عبد الله بمكة إذ دخل عليه أناس من المعتزلة، فيهم عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطا ، وحفص بن سالم ، وأناس من رؤسائهم وذلك أنه حين قتل الوليد ، واختلف أهل الشام بينهم فتكلموا فأكثروا وخطبوا فأطالوا. فقال لهم أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام: إنكم قد أكثرتم علي فأطلتكم ، فأسندوا أمركم إلى رجل منكم ، فليتكلم بحجتكم وليو جز .

فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد ، فأبلغ وأطال فكان فيما قال: قتل أهل الشام خليفتهم ، وضرب الله بعضهم بعض ، وتشتت أمرهم ، فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومرارة ومعدن للخلافة وهو محمد بن عبد الله بن الحسن فأردنا أن نجتمع معه فنباعيه ، ثم نظهر أمرنا معه ، وندعو الناس إليه ، فمن بايعه كنا معه وكان منا ، ومن اعز علينا كفينا عنه ، ومن نصب لنا جاهدناه ونصبنا له على بغيه ونرده إلى الحق وأهله .

وقد أحبينا أن نعرض ذلك عليك ، فإنه لاغنى بنا عن مثلك ، لفضلك ولكثرتك شيعتك . فلما فرغ ، قال أبو عبد الله عليهما السلام: أكلكم على مثل ما قال عمرو؟ قالوا: نعم. فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: إنما نسخط إذا عصي الله ، فإذا أطع الله رضينا ، أخبرني يا عمرو لو أن الأمة قلدتك أمرها فملكته بغير قتال ولا مؤنة ، فقيل لك: وَلَمَّا مِنْ شَيْءٍ ، مِنْ كُنْتَ تُولِي؟ قال: كنت أجعلها

شوري بين المسلمين . قال: بين كلهم؟ قال: نعم . فقال: بين فقهائهم وخيارهم ؟ قال: نعم . قال: قريش وغيرهم؟ قال: العرب والعجم . قال: فأخبرني يا عمرو أتتولى أبا بكر وعمر أو تبرأ منها؟ قال: أتو لا هما . قال: يا عمرو إن كنت رجلاً تبرأ منها ، فإنه يجوز لك الخلاف عليهما ، وإن كنت تتولا هما فقد خالفتهما ، قد عهد عمر إلى أبي بكر فباعيه ولم يشاور أحداً ، ثم ردّها أبو بكر عليه ولم يشاور أحداً ، ثم جعلها عمر شوري بين ستة ، فأخرج منها الأنصار غير أولئك الستة من قريش ، ثم أوصى الناس فيهم بشيء ما أراك ترضي أنت ولا أصحابك . قال: وما صنع؟ قال: أمر صهيبياً أن يصلّي بالناس ثلاثة أيام ، وأن يتشاور أولئك الستة ليس فيهم أحد سواهم إلا ابن عمر ويشارونه ، وليس له من الأمر شيء ، وأوصى من كان بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيام ولم يفرغوا ويباعوه أن يضرب عنق الستة جميعاً ، وإن اجتمع أربعة قبل أن يمضي - ثلاثة أيام وخالف اثنان أن يضرّب عنق الاثنين !

افتراضون بما فيما تجعلون من الشوري في المسلمين؟ قالوا: لا . قال: يا عمرو دع ذا ، أرأيت لو بايعت صاحبك هذا الذي تدعوه إليه ، ثم اجتمعت لكم الأمة ولم يختلف عليكم منها رجلان ، فأفضيتم إلى المشركين الذين لم يسلموا ولم يؤدوا الجزية كان عندكم وعند صاحبكم من العلم ما تسيرون فيهم بسيرة رسول الله عليهما في المشركين في الجزية؟ قالوا: نعم . قال: فتصنعون ماذا؟ قالوا: ندعوهم إلى الإسلام فإن أبوا دعواناهم إلى الجزية . قال: فإن كانوا مجوساً ، وأهل كتاب ، وعبدة النيران والبهائم وليسوا بأهل كتاب؟ قالوا: سواء؟ قال: فأخبرني عن القرآن أتقرأونه؟ قال: نعم . قال: إقرأ لـمُلُوَّنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِسَالِهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ  
وَلَا يُحِرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ هِنَّ الْحَقُّ مِنَ الَّذِينَ لَوْتُوا إِلَيْهِ تَابَ حَتَّىٰ يُطْلُبُوا

**الْجُزِيَّةَ عَنْ يَدِهِمْ صَاغُوْنَ .** (التوبه:٢٩). قال: فاستثنى الله عز وجل واشترط من الذين أوتوا الكتاب فهم والذين لم يؤتوا الكتاب سواء. قال: نعم . قال ﷺ: عمن أخذت هذا؟ قال: سمعت الناس يقولونه. قال: فدع ذا ، فإنهم إن أبوا الجزية فقاتلتهم فظهرت عليهم كيف تصنع بالغنية؟ قال: أخرج الخمس وأقسم أربعة أحmas بين من قاتل عليها . قال: تقسمه بين جميع من قاتل عليها؟ قال: نعم . قال: فقد خالفت رسول الله ﷺ في فعله وفي سيرته ، وبيني وبينك فقهاء أهل المدينة ومشيختهم ، فسلهم فإنهم لا يختلفون ولا يتنازعون في أن رسول الله إنما صالح الأعراب على أن يدعهم في ديارهم ، وأن لا يهاجروا ، على أنه إن دهمه من عدوه دهم فيستفزهم فيقاتل بهم ، وليس لهم من الغنية نصيب ، وأنت تقول بين جميعهم ، فقد خالفت رسول الله ﷺ في سيرته في المشركين.

دع ذا، ما تقول في الصدقة؟ قال: فقرأ عليه هذه الآية إِنَّ الصَّدَقَاتُ لِمُفْقَرَاءِ  
وَالْمُسَاكِينَ وَالْعَاطِلِينَ وَالْمُؤْلَفَةُ فُلُوْبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِبِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنِّي السَّبِيلِ  
فِرِيضَةً لِّلَّهِ عَلَيْهِ حَمْدٌ حَمْدٌ . (التوبه:٦٠). قال: نعم فكيف تقسم بينهم؟ قال:  
أقسامها على ثمانية أجزاء فأعطي كل جزء من الثمانية جزء . فقال ﷺ: إن كان  
صنف منهم عشرة آلاف ، وصنف رجلاً واحداً أو رجلين أو ثلاثة ، جعلت  
لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشرة آلاف . قال: نعم . قال: وما تصنع بين  
صدقات أهل الحضر وأهل البوادي ، فجعلهم فيها سواء؟ قال: نعم . قال:  
فالخلافت رسول الله ﷺ في كل ما أتي به ، كان رسول الله يقسم صدقة البوادي  
في أهل البوادي ، وصدقة الحضر في أهل الحضر ، ولا يقسم بينهم بالسوية ، إنما  
يقسمه قدر ما يحضره منهم ، وعلى قدر ما يحضره ، فإن كان في نفسك شيء مما

قلت لك فإن فقهاء أهل المدينة ، ومشيختهم كلهم لا يختلفون في أن رسول الله  
كذا كان يصنع !

ثم أقبل على عمرو وقال: إتق الله يا عمرو وأنتم أيها الرهط فاتقوا الله ، فإن أبي  
حدثني وكان خير أهل الأرض ، وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسوله عليهما السلام  
رسول الله عليهما السلام قال: من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من  
هو أعلم منه ، فهو ضال متكلف »!

أقول: أراد الإمام علي عليهما السلام أن يوصل هؤلاء الشورين إلى شرط العلم في القيادة  
وأنهم فاقدون لهذا الشرط ، لأن علمهم ظنون واحتلالات ورجم بالغيب ! فلا  
يوجد هذا الشرط إلا في أئمة أهل البيت عليهما السلام .

ولكنهم لم يكونوا جادين في طلبهم للعلم ، ولو وصلوا إلى هذه النقطة ،  
لأقرروا بأنهم حملة ظنون وأن العلم القطعي عند أهل البيت عليهما السلام ، ولعرفوا أنهم  
جاؤوا إلى منبع العلم القطعي يطلبون منه أن يباع أصحاب الظنون !

#### ٤- مقوله: لا تقليد في العقائد

من المقولات التي يرددوها الذين يريدون للمسلم أن لا يتقيد برأي مراجع  
الدين ، أنهم يقولون له: لا يجوز التقليد في أصول الدين . وهي مقوله صحيحة  
في أصول العقائد وكلياتها التي يتوصل إليها العقل البشري بفطرته وبدهياته ،  
كالإعتقاد بأصل وجود الله تعالى ، والحياة الآخرة ، ونبوة نبينا عليهما السلام ، فعلى كل  
إنسان أن يصل إليها بنفسه ، وبعملياته العقلية .

أما تفاصيل هذه العقائد وحدودها وأحكامها ، كصفات الله تعالى وما يجوز  
عليه عز وجل وما لا يجوز ، وحدود عصمة النبي عليهما السلام ، وحدود وجوب إطاعته ،

وتفاصيل الموت والبرزخ ، والبعث والحساب ، والجنة والنار ، والعديد من أصول الإمامة وتفاصيلها ، والكثير الكثير من الإجابات على تساؤلات الإنسان في الشريعة والعقيدة.. فهذه لا تعرف إلا بالتقليد والرجوع إلى أهل الإختصاص ، وهم مراجع التقليد ، والعلماء المتخصصون الذين يرتضى المرجع أفكارهم .

والدليل على ذلك أن عموم أدلة وجوب الرجوع إلى المرجع الخبير ، وقد نصَّ بعضها على العقائد ، وبعضها فيه عموم لها ، كإرجاع الأئمة الناس إلى علماء ليأخذوا منهم (معالم دينهم) ومعالم الدين تشمل العقائد والأحكام .

ففي وسائل الشيعة: (١٤٦/٢٧) بسنده صحيح: «عن علي بن المسمِّي الهمданِي قال: قلت للرضاع<sup>الله</sup>: شقتني بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت ، فممن آخذ معالم ديني؟ قال: من زكريا ابن آدم القمي المؤمن على الدين والدنيا . قال علي بن المسمِّي: فلما انصرفت قدمنا على زكريا بن آدم ، فسألته عما احتجت إليه ». وقد عقد في الوسائل: (١٣٦/٢٧)، باباً بعنوان: وجوب الرجوع في القضاء والفتوى إلى رواة الحديث من الشيعة ، روى فيه ٤٨ حديثاً .

ومعنى التقليد فيها ، مساعدة العقل على الوصول إلى أصول العقائد ، والتقليد في تفاصيلها ، وأحكامها .

وينبغي الإلفات إلى أن الذين ينفون التقليد في العقائد ، يدعون إلى تعوييم الإجتهاد في عقائد الإسلام ، وفتحه للعوام غير المتخصصين! بل يدعون المسلمين إلى تقليدهم هم بدل الفقهاء والمتخصصين !

## من هم أوعى: الحركيون منا أم التقليديون؟

### ١- أين كنا وأين صرنا؟

كان مشروع الشهيد أبي عصام رحمه الله إقامة الدولة الإسلامية العالمية بدءً بالعراق.

وعمدة المشروع المراحل الفكرية التغييرية الإنقلابية ، بتعابيره ، التي يتوقف عليها كل المشروع ، لأنها بناء أمة واعية من الأمة ، تحت الأرض، ثم مفاجأة السلطة المستعمر بظهورها إلى العلن وأخذها الحكم ! فلا يجوز الخروج من المرحلة الفكرية إلا بعد استكمال مقوماتها .

أما لو بُعث أبو عصام رحمه الله اليوم ، وبعد أكثر من نصف قرن ، ونظر إلى وضع مشروعه ، لأخذه العجب ، وتساءل غاضبًا ماذا جرى ؟ !

يقول له الدعاة: جرت بعده أحداث يا أبا عصام، فقد استشهد صاحبك الشيخ عارف ورفقاوه رحمة الله ، ثم انتصرت ثورة الإمام الخميني رحمه الله في إيران وأيدنها ، فضاعت السلطة من اضطهادنا وسجنتنا وتقتيلنا .

ثم قام الطاغية صدام بقتل فقيهنا الشهيد الصدر رحمه الله ، وأشعل نار الحرب على إيران لمجرد أنها ثورة إسلامية ، فوقفنا إلى جانب إيران ، واضطربنا أن نعلن انتهاء المرحلة الفكرية ، وندخل في المرحلة السياسية .

فيقول أبو عصام: وكيف جعلتم مناصرة إيران على صدام ، مبررًا للخروج من المرحلة الفكرية قبل استكمال مقوماتها ؟ !

ثم يُخبرونه: لقد أوقف الطاغية الحرب لكن بعد أن دمّر العراق وإيران !  
ثم شن حرباً على الكويت واحتلها ، فاستنفرت أمريكا والدول الغربية  
وحاربوا وأرغموه على الخروج من الكويت والخضوع لشروطهم !  
وقد حاول الشعب العراقي استغلال فرصة هزيمة صدام ، فكانت انتفاضة  
شعبية عارمة واسعة ، لكن أمريكا ودول الجوار خافوا من مجئ حكم شيعي  
موال لإيران ، فساعدوا صداماً على شعبه ، فقمع انتفاضتنا بوحشية ، وزرع  
العراق بالمقابر الجماعية من خيرة أبناء شعبه !  
ثم اعتتقدت أمريكا أنه لا يمكن التعايش مع صدام ، ويجب إسقاط نظامه  
بالقوة ، فأعلنت الحرب عليه وأسقطته ، واحتلت العراق من أقصاه إلى أقصاه ،  
فكانت فرصة أخرى لنا .

وقد عملنا لاستثمار هذه الفرصة كغيرنا من القوى السياسية ، فالتقينا مع  
الأمريكان قبيل احتلالهم للعراق وبعده ، وسافر بعض قادتنا إلى أمريكا يحاول  
أن يكون لنا دور في حكم العراق ، فكانت النتيجة أن الأمريكان أشركونا في  
مجلس الحكم ، ثم اشتراكنا في البرلمان ، وفي الدولة .

وهكذا دخلنا في لعبة الديمقراطية بجواز أمريكي ، واعتمدنا في شرعية عملنا  
على فتوى المرجعية التقليدية ، فقد أفتت بشرعية الحكم المنتخب من الناس  
وجواز المشاركة فيه ، حتى لو كان في ظل الاحتلال أجنبي .  
يقول أبو عصام: مَاذَا تقولون أَيْهَا الدُّعَاةُ ، كَأَنِّي أَسْمَعُ مِنَّا مَأْوَى أَوْ خِيَالَاتٍ !

فيجيونه : سُمّها ما شئت أيها القائد المؤسس ، فهذا ما حدث بعده !

يقول أبو عصام: لم أعد أفهم كلامكم! فقد كان مشر-وعنا الدعوة الى دولة إسلامية عالمية ، تحكم بالإسلام على نمط الخلافة الإسلامية ، وتقاوم الإستعمار الغربي والحكومات التابعة لها في بلاد المسلمين .

وكنا نسخر من الوصول الى الحكم بانقلاب عسكري ، بقطار أنكلو- أمريكي ، كما اعترف أمين سر حزب البعث على صالح السعدي .

ولم نقبل المشاركة في انقلاب تسكت عنه الدول الغربية لأنه يطمئنها ، كما كانت محاولة المرحوم محمد رشيد الجنابي ، والسيد مهدي الحكيم ، ومسعود البرزاني . وقد حاول يومها السيد محمد باقر الصدر أن يقنعني بالمشاركة فيه ، فلم أقبل بوجه من الوجوه !

والاليوم تقولون إنكم تشاركون باسم الدعوة في نظام حكم غير إسلامي وبجواز أمريكي ، وبفتوى المرجعية ، ونحن نعتبر أن مشاركة الإسلاميين في أنظمة الحكم القائمة حتى في برلمانتها ، انحرافاً خطيراً !

إن عملكم هذا طيًّا للمراحل لكن إلى الوراء ، ونحن لم نقبل بطبيها إلى الأمم !  
يبدو لي أنكم مخطئون في العمق ، وأن المرجعية المحتومة مخطئة ؟ !

دعوني، دعوني، حتى أعيد النظر في مشر-وعنا، بل في أسسه قبل تفاصيله، فكلامكم يدل على أن في مشر-وعنا خللاً ، وكأن وعياناً كان لا وعيًا ؟ !

٢- الصادق مع ربه لا مشكلة عنده

إذا اعتقدتَ أن هذا الطريق يؤدي الى رضا الله تعالى فسلكته سنين طويلة ثم اكتشفت خطأك . فهل تعرف بذلك وتصحح مسارك ، أم تصرُّ وتعاند لأنك ألمْ فُتَ الطريق وأهله ، وسرت فيه ودعوت اليه؟

أما المخلص فيقول: ولماذا أكابر؟ فأنا لا أريد الطريق لذاته ، بل لأنَّه طريق لعبادة ربِّي وكسب رضاه ، فإذا اكتشفت خطئي ، أو وجدت طريقاً أفضل منه ، عبدت الله عز وجل بسلوكه .

هذا نظرياً ، لكن الأمر صعبٌ عملياً ، فالذي تعودَ على طريق أو نمط حياة ، أو اتباع مذهب يكره تغييره . والأمر في موضوعنا أصعب ، لأنَّ الذي يسلك الطريق الحركي يكون صاغ كل فهمه للإسلام وفعالياته له ، على أساس تصوره الحركي للإسلام وليس التقليدي!

كنا نقسِّم الطلبة في الحوزة الى قسمين: واعين ، وغير واعين . ونقصد بالواعي من يؤمن بأنَّ الإسلام دينٌ ودولة ، ويعمل لإقامة دولته .

ونقسمهم الى: عامل وجامد ، ونقصد بالجامد الذي لا يعمل لتوسيع الناس على الإسلام الحركي ، ولو كان يعمل لتوسيعهم على عقائد الإسلام وفقهه ، وثقافته ، وسلوكه .

وكنا نقول للطالب والشاب الذي ندعوه: ألا ترى فساد الواقع في هذا البلد وفي كل بلاد المسلمين؟ فيقول: بل . فنقول له: ألا ترى ضرورة العمل للتغيير هذا

الواقع؟ فيقول: بلى. فنقول: إذن إعمل معنا في تنظيمنا وحركتنا لندعو المسلمين إلى الإسلام ، ونقيم دولته التي تقدّهم وتغيير واقعهم .

كنا نتصور أن ذلك طريق رضا الله تعالى ومحراب عبادته ، فوهب المخلصون منا أنفسهم لهذا الطريق ، وعبدوا الله تعالى بأنواع الأنشطة التي يحتاج إليها عمل الدعوة. بل كان بعضهم يعتقد أن عمل الدعوة وما يتصل به ، أفضل عند الله من عامة المستحبات ، وأحياناً من بعض الواجبات .

وبعد سنين طويلة وجدنا أن أهدافنا وتصوراتنا بعيدة عن الواقع ، بل مقصومة عنه ، لأنها مفرطة في الأمل ، حلقة في عالم التمنيات والخيال . فكان أول ما يجب علينا أن نفحص فكرنا: هل كان وعيّاً أم خيالاً؟

فبعد سنين طويلة ، عرفنا أن ما نقوله للطالب والشاب لكي نكسبه إلى صفوفنا ، قولٌ خطأ وخطير ، لأنه طيّ لمراحل فكرية وفقهية ، نظرية وعملية ، وكفُّ لأفكار عديدة بلغافية جميلة ، وهي غير متربة ولا جميلة !

فهذا القول أعلاه يعني أنك:

١. افترضت أن التدين بالإسلام ، يتوقف على العمل السياسي للوصول إلى الحكم ، لتغيير أوضاع الأمة السيئة .

٢. وافتراضت ، أنه يجب على هذا الشخص أن يعمل لهذا الهدف ، حتى يكون متديناً ، أو كامل التدين .

٣. وافتراضت ، أن العمل الموصل لهذا الهدف ، يجب أن يكون بالإنتهاء إلى تنظيم ، حركة أو حزب .

٤. وافتراضت ، أن لك ولجماعتك في التنظيم حق القيادة والحكم ، وعليكم كسب الأنصار وبناء أمة واعية متغيرة من الأمة الأم ، ولكم حق الأمر والنهي داخل التنظيم ، ثم لكم حق الحكم والأمر والنهي في الأمة .

٥. وافتراضت ، أن هذا الحق حصري لك ولحزبك ، من دون المليار ونصف مسلم ، بمن فيهم من المراجع ، وألوف الساسة والقادة والنابغين ، لأن القيادة برأيك كما كان يقول الشهيد أبو عصام حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ الْمَحْيَا حقٌّ لمن يتقدم لها من الأمة ، ونحن تقدمنا ، والقيادة فعل قيادة ، وليس منصب قيادة .

٦. وافتراضت ، أنه لو وجدت حركات إسلامية مشابهة لحركتك ، فأنت صاحب الحق الإلهي بقيادة الأمة دونها ، لأن حركتك هي الحركة الأفضل .

٧. وعندما غيَّبت القيادة ولم تُعرِّفَها من تدعوه إلى حركتك ، فقد فرضت نفسك قائداً لهذا الشاب أو الطالب المiskin ، وجعلته يسلم لك دينه ورقبته ، لأنك همسة الوصل بينه وبين القيادة..المجهولة .

٨. وعندما لم تتبنَّ حركتك نظام حكم محمد الهيكليه والآلية ، لا في تعين المرجع إذا كنت ترى ولاية الفقيه ، ولا باعتماد انتخاب المسلمين ، ولا باعتماد الشورى في الأمة ، ولا في الحركة . تكون طلبت من هذا الشاب ، أن يتبنى نظام

الحكم الفردي المتمثل بقيادة الحركة ! فقائد الحركة أو مجلس قيادتها في الحقيقة هو: الأمير ، والحاكم ، وال الخليفة ، ورئيس الجمهورية ، فهو الحاكم الفرد الذي تعمل له الحركة.. إلى آخر النقاط والمسائل التي طويتها ضمن خطابك لطالب العلم ، أو للشاب المتحمس لدینه !

فمهلاً أيها المؤمن مهلاً ، فأولى لك أولى ، أن تفك اللفافة وتحلها حلاً ، وتباحث مسائلها مسألة مسألة ، لا مخلوطة ولا مغلوطة .

ألا تعرف أن في كل واحدة من هذه المسائل بحثاً أو بحوثاً ، بعضها عقدي وبعضها فقهي ، وبعضها سياسي ، وبعضها اجتماعي ، وبعضها ميسور لمن يملك قدرأً من المعرفة ، وبعضها تخصصي ، لا يتيسر إلا لمجتهد في بابه .

فكيف تريد من طالب علم أو شاب متدين ، أن يقلدك في جميع هذه المسائل ، ولا تفردها لها واحدة واحدة ، وترشدء إلى أن يقرأ فيها ويفكر ، أو يرجع فيها إلى مرجعه ، أو إلى أهل المعرفة والإختصاص الذين يثق بهم !

ولنأخذ المسألة الأولى منها مثلاً ، وهي علاقة الدين بالعمل السياسي للإسلام ، ونفتح فيها أبواب البحث فقط :

### ٣- هل العمل السياسي من شروط التدين

الدين: هو الإلتزام بأحكام الدين عقيدة وعملاً . ومفردات الإلتزام وطريقته يعينها الدين نفسه وليس المسلم ، لأن الدين اتباعُ أحكام الله تعالى ، ولا مكان فيه لفذلكتنا وآرائنا . قال النبي عليهما السلام: « وتجاهد من أمتى كل من خالف

القرآن وستي ، من يعمل في الدين بالرأي ، ولا رأي في الدين، إنما هو أمرُ  
الرب ونفيه». (الإحتجاج: ٢٨٩ / ١ ، والوسائل: ٤٠ / ١٨).

فهل يريد الله تعالى مني لأنكون متدينًا أن أعمل لإقامة دولة الإسلام؟

لقد أجمع فقهاء الشيعة والسنّة على أن العمل لإقامة الدولة الإسلامية ليس  
شرطًا في التدين ، وإن جاز أو وجب عند بعض الفقهاء ، أحياناً .

لهذا يجب على من يدعوه آخر للإنتماء إلى تنظيمه الإسلامي ، أن يقول له: نحن  
نعتقد بوجوب العمل لإقامة الدولة الإسلامية وندعوك للعمل معنا.

وقد يجيبه المدعو: لكنني لا أعتقد بوجوب ذلك في عنقي ، حسب فتوى مرجع  
تقليدي ، فشكراً لكم .

وقد يسأل من دعاه: على ماذا اعتمدت أنت في اعتقادك بوجوب هذا العمل ،  
وهل أنت مجتهد أم مقلد ، أم اعتمدت على مسؤولك وقيادة تنظيمك ، وهل هو  
مجتهد أم مقلد ؟

وقد يجيبه الداعية بأن تنظيمنا يتبنى رأي فقيه يوجب ذلك . لكن ذلك حجة  
عليه وحده ، هذا إذا كان تقلide جامعاً للشروط .

وقد يجيبه بأني لا علم لي بذلك وسوف أسألك وآتيك بالجواب !  
وقد يحاول إجابته بالخطابيات الفارغة عن المحتوى فيقول له: وهل تشک في  
وجوب العمل لإقامة Islam وإقامة دولته ، إن ذلك من البدويات في الدين!

أو يحاول أن يجتهد ويستبط له وحوب العمل السياسي لإقامة دولة من آيات يحفظها ، كقوله تعالى: شَرَعْ لِكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ تُوحِّدَا وَالَّذِي أَوحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا

وَصَّيَّنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى عَوْسَى لَنْ أُدْبِرُ يُمْوَى الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ..

وقوله تعالى: ثُرُوا خَنَافِ وَثَرَقاً وَجَاهُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَتَسْكُنُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُمْ خَيْرٌ لِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

وقوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ الْمُتَعْرِجَاتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ...

وقوله تعالى: وَمَنْ أَحْسَنْ قَوْلًا مَنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا قَالَ إِنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وكلها آيات أعم من المطلوب ، والإستدلال بالأعم لا يصح ، ولذلك لم يستدل بها أحد من فقهاء الشيعة ولا السنة أبداً .

ثم ، إن تقليد الداعية أو اجتهاده لا يحل مشكلة المدعو ، لأن المدعو يريد حكمًا

شرعياً بأن الله تعالى اشترط عليه لصحة تدينه أن يعمل لإقامة دولة إسلامية .

وذلك لا يكون إلا من تقليله لمرجعه ، أو من اجتهاده .

ثم ، على أي دليل من الكتاب والسنة اعتمد فقيه الحركة في أن العمل لإقامة

دولة من شروط التدين؟ فهل من آية واضحة أو حديث صحيح؟

وقد يسأل المدعو: وعلى فرض وجود دليل فمن هو المخاطب بإقامة الدولة ،

هل هم كل المسلمين أو فئة خاصة منهم ، طبقتموها عليكم؟!

ثم يسأل: إن تنظيمك يقول إن له الحق الشرعي في أن يدعوا الأمة لإقامة دولة

بقيادته ، ومعناه أنه يزعم أن الله تعالى أنزل ديناً وعومَ أمر القيادة فيه تعوييًّا

كاماً ، فقال: كل من يعمل لإقامة دولة فعمله مشروع ، ولقائه حق شرعي أن يأمر وينهى من يتنظم معه . ثم إذا غلب واستلم الحكم فهو حاكم شرعي ، وله الحق أن يأمر وينهى المسلمين حسب رأيه ، وتحب طاعته . فإن غلبه غيره وأقام دولة إسلامية ، فهو حاكم شرعي ، له حق الأمر والنهي ، ويجب على المسلمين طاعته !

وعليه ، يجب أن تضيف إلى قاعدة التعوييم قانون الغلبة . وشرعية الغلبة تعني شرعية المسابقة والصراع على الحكم حتى بالقتال وسفك الدماء !

فهل نتعقل أن يكون الله عز وجل أعطى الشرعية للصراع على السلطة وقال: يا عبادي المؤمنين ، تصارعوا وتقاتلوا فيما بينكم ، فمن غالب فهو الحاكم الشرعي !

وهل هذا إلا منطق الجبابرة الماضيين منهم والحاضرين ، المتكالبين على السلطة ، ولو بسفك الدماء واستباحة الأموال !

#### ٤- هل نسقط وجوب إقامة الدولة ؟

يسأل بعضهم: وهل معنى ذلك أننا نسقط عن المسلمين وجوب إقامة الدولة وتطبيق الشريعة ، ونقول للغربين والحكام الذين على منهجهم: أحکمونا بقوانينكم ، بدل شريعة الله تعالى !

والجواب: أن الله تعالى إنما بعث رسوله عليه السلام ليطاع وما أرسانا من رسول إلا ليطاع بما دُن الله ، وإنما أنزل دينه ليقام به ﴿أُمُّوا الدِّينَ﴾ ولا تتفرقوا فيه ..

والمشكلة ليست في أصل وجوب إقامة الدين ، بل في من يحق له ويستطيع أن يقيم دولة الإسلام ، ويأمر وينهى بإسمه ؟

فلو كان الأمر مفتوحاً ، وقيادة الأمة نهباً مشاعاً ، كما تتصور التنظيمات الإسلامية ، وأن الله تعالى أعطى الشرعية لقانون الصراع على الحكم والغلبة ، وكانت النتيجة حكماً جرياً باسم الدين ، كما كان في الماضي ! لذلك كان مذهبنا أن الحكم حق للمعصوم عليه السلام فقط ولم نصبه في حضوره أو غيابه .

ونحن الآن في عصر الغيبة ، وقد أرجعنا الإمام عليه السلام إلى الفقهاء ، فلُبُّ القضية ما يقتضي به الفقهاء ، وقليل منهم قال إن الإمام عليه السلام أرجعكم اليانا لنقيم دولة إسلامية ، ويجكمها الفقيه الجامع للشروط ، فساعدونا .

وأكثرهم قال إنه أرجعكم اليانا في القضاء والإفتاء والأمور الحسبية ، وأمرنا أن نتعايش مع الحكام ، ونعمل للإصلاح ما استطعنا ، حتى يظهر الإمام عليه السلام . فالواجب على المسلم أن يبحث عن الفقيه الأعلم ، أي الأخبر بالإستنباط الفقهي ، ويقلده ، أي يعمل بفتواه في وجوب العمل السياسي لإقامة الدولة ، وبفتواه في كيفية أداء هذا الواجب . ولا فرق في وجوب الإستناد إلى فتوى مرجع في ذلك ، بين الفرد والجماعة ، والتنظيم وغيره .

#### 5- الذاتية والموضوعية في التدين

تلاحظ أن تدين المتدينين بالإسلام من الشعوب المختلفة ، والفئات المختلفة ، ينطبع بطابع شخصية صاحبه . فتدين الهندي له طابعه ، وتدين الأفريقي له طابعه ، وكذا العربي والفارسي .. فتدينهم له مشتركاته ، ومميزاته .

على أن الفرق الأعمق تأثيراً في التدين هو فرق الشخصيات في صفاتها الذاتية والكسبية ، من المدنية والبداءة ، والشجاعة والجبن ، والرقة والقسوة ، والتهذيب والوقاحة ، فهي صفات تطبع تدين صاحبها بطابعها ! وكل هذه الفروق بين الشخصيات المتدنية ، إنما هي في تطبيق الإسلام ، والأهم منها جميعاً تأثير الصفات الشخصية على فهم الشخص للإسلام ! ألا ترى أن أصحاب الطموح والشجاعة هم أقرب الناس إلى العمل الإسلامي السياسي لإقامة دولة ، وهم طليعة هذه الحركات ومنظروها ؟

ويأتي هنا السؤال: هل تضر الذاتية في تدين الإنسان ؟ بمعنى أنه إذا كان في الإنسان صفة ما ، كالشجاعة والكرم ، وأثرت على فهمه للإسلام أو تطبيقه له ، فهل يؤخذ يوم القيمة على خطئه ؟ مثلاً ، شخص طموح ، عرض عليه العمل للإسلام في تنظيم فقبل وانتظم ، وتعلم فهم الإسلام الحركي ، وعاش به واستشهد من أجله .

وشخص متحفظ يخاف ، عرض عليه العمل للإسلام في تنظيم ، فخاف من المجتمع والسلطة ، فلم يقبل . هل يكونان معدورين بسبب صفاتهما ؟ أو شخص رأى غريقاً فلم ينقذه لأنه يخاف ، مع أنه يعرف السباحة . بينما نزل شخص شجاع لينقذه ففرق لأنه لا يعرف السباحة . فكيف يحاسبان ؟

والجواب: أن الحساب يوم القيمة أدق وأعمق وأعدل مما نتصور ، ومن المؤكد أن كثيراً من الذاتية في تطبيق الإسلام وفهمه ، لا يؤخذ صاحبه عليه ، لأنه

نتيجة طبيعية لصفاته التي لم يصنعها بيده . والله الحكيم العادل الذي أنزل الإسلام ، يعلم أن عباده أصحاب أفهام متعددة ، وأن صفاتهم الذاتية ستؤثر في التطبيق وفي فهم الدين .

وهذا البحث يتصل ببحث القطع في أصول الفقه ، ومدى حججته على أصحابه . وبحث القصور والتقصير في الفقه، في المقدمات والنتائج .

#### ٦- من هم الأوعى: الحركيون أم التقليديون؟

يَهُتَمُ (الواعون) من طلبة الحوزة بالثقافة العامة ، فيقرؤون الكتب الفكرية العربية والمترجمة ، والمجلات الفكرية . ويهتمون بالسياسة بشكل عام ، فيستمعون الأخبار من وسائل الإعلام ، أو يقرؤون الجرائد . بينما لا يهتم عامة التقليديين بالثقافة العامة والسياسة إلا قليلاً ، ويركزون جهدهم على كتب الدراسة ، وعلى المصادر الإسلامية التقليدية .

لهذا كان الحركيون أكثر اطلاعاً في الثقافة العامة والسياسة ، والتقليديون أكثر اطلاعاً على علوم الحوزة ، وسيرة النبي ﷺ والأئمة علية السلام .

لكن المعايير الأهم إنما هي في وعي الإسلام وأسلوب العمل له ، فهل الذي يسلك طريق العمل السياسي للإسلام هو الأكثر وعيًا ، أم الذي يهتم بدراساته ويعليم المسلمين أمور دينهم ، ولا يشارك في عمل سياسي إلا في حدود مطالبات المرجعية من السلطة بمطالب أو إصلاحات .

كنا ننتقد التقليديين من الطلبة وحتى المراجع ، فكان بعضنا يقول: إن السيد الخوئي ~~فائز~~ إذا جلس على المنبر في بحث علمي فهو أرسطو طاليس ، لكنه إذا نزل وجلس في المسجد ، وجرى معه حديث في أمر اجتماعي ، فهو لا يختلف عن حاج علي ومشتي قلي في السوق الكبير !

وكان بعضنا يصرح بأن الطلبة والمراجع ليس عندهم وعيٌ للإسلام والعصر، ويقصد به أنهم لا يعرفون الإسلام ديناً ودولة ، ولا يعملون لإقامة الدولة الإسلامية في بلدتهم والعالم ، ويستدل على ذلك بنقص ثقافتهم العامة ، ونقص معرفتهم السياسية ببلدتهم والعالم .

وكان بعضنا يفرط في ذم التقليديين فيصفهم بالجامدين ، والمحجرين ، والمخالفين الذين يعيشون في القرون الوسطى..الخ.

كما كان بعضهم يفرط في ذم الحركيين ، فيصفهم بأنهم سياسيون في ثياب إسلاميين ، وأفندية في ثياب طلبة ، وسنة في زyi شيعة ، لأنهم يدعون إلى إعادة الخلافة السنوية ، ولا ينبعضون بنبض الشيعي الموالي..الخ.

وكانت تجري مناقشات بين الوعاظ والتقليديين ، وتنتهي غالباً بتمسك كل طرف بأفكاره ، وكان ذلك يعني انقسام الحوزة بعمق إلى هذين القسمين ، رغم أنهم أبناء جامعه واحدة ، ويعيشون في محيط واحد .

و عمدة اتهام الوعين للتقليديين أنهم متخلفو ن لا يعيشون عصرهم ، وأن ذلك يؤثر على فهمهم للإسلام و وجوب العمل لإقامة الدولة الإسلامية ، وأنهم لو كان عندهم ثقافة عصرية لاختلف فهمهم للإسلام و عملهم له .

و عمدة اتهام التقليديين للوعين أنهم لم يستوعبوا عقائد الإسلام و فقهه ، و سيرة النبي ﷺ والأئمة ع ، و غالب عليهم الحماس والعاطفة لإقامة الدولة الإسلامية ، التي يتصورون أنها ممكنة التحقيق ، وأنها حالة المشاكل ، وأنها جنة الله على الأرض !

وزاد بعض التقليديين اتهام الحركيين بأنهم لا يملكون وعيًّا سياسياً ، بل لا يخلو ن من غباء اجتماعي وسياسي ، يمنعهم من تقدير العواقب !

قال لي أحد مشاوري السيد الخوئي ع : لم يكن من سياسة مرجعية الشيعة مواجهة السلطة لتحل محلها و تسلمه السلطة بدها ، و غاية ما كان عندها أن تقدم مطالب إصلاحية إلى الحاكم . لكن أنظر إلى هؤلاء الفتية الناشئين كيف أثاروا السلطة ففتحت نارها عليهم ، وعلى الشيعة .

وأخذ ينتقد محاولة الإنقلاب التي شارك فيها السيد مهدي الحكيم ع مع أنه يراها محاولة مخلصة لكنها برأيه السبب في فتح نار السلطة على المرجعية والشيعة . ويرى أن السيد محمد باقر الصدر ع ، أكمل بحزب الدعوة إعطاء المبرر للسلطة ، فشتت حملتها على كل ما هو شيعي في العراق .

وكان يصفها بالسذاجة وعدم تقدير العواقب ، ويتعجب من تصور السيد الصلدر رحمه الله أنه إذا استشهد فسوف تتحرك الجماهير في العراق ، وسوف يتدخل السيد الخميني رحمه الله بجنوده لنصرتهم . ويتعجب من أن السيد الصلدر عندما سجنوه عَيْن قيادة للعراق بعده سماها (القيادة النائبة) !

وداعبني رحمه الله بقوله: أما السيد مهدي فأحواله عوامل ، وأما السيد محمد باقر فهو كاظمي ! مشيراً وصف النجفيين للعاملين والковاظمة بالسذاجة .

وإذا أردنا أن نصدر حكمًا عادلاً بين الطرفين ، أيهما أكثر وعيًا ، فلا بد أن نتجنب التعميم في الحكم ، ونجزئ انتقادات كل طرف وتهمه إلى مفردات محددة ونفحص كل واحدة منها . والت نتيجة صحة عدد منها هنا وعدد هنا . لكن ذلك لا يكفي للحكم بأن الأوّل مطلقاً أحد الطرفين ، ففي كُلّ منها أصحاب أذهان متخلفة وأصحاب أذهان راقية ، وفي كل منها أذكياء نوابغ وأغبياء جهلة .

وفي كلّها أشخاص بمستوى التفكير في قضايا المجتمع والدولة والعالم ، وآخرون أبناء قرية لا يستطيع أحدهم أن يخرج عن نطاقها إلى فكر المدينة ، فضلاً عن أن يرتقي إلى أفق الفكر العالمي .

لكن يمكن القول إن الحركتين بشكل عام يتميزون بثقافتهم العامة ، ومعرفتهم بعصرهم وأساليب مخاطبته . ويتميز التقليديون بشكل عام بالدقة وعمق الوعي الفقهي ، والنظرية البعيدة في العواقب .

### ختام وآمال..

آمل أن يتسع لي الوقت والعمر ، لأكتب مذكراتي عن بضع سنوات قضيتها في الكويت .. فأعالج فيها مشكلة الرفاهية وتأثيرها على شخصية الإنسان ومجتمعه وآخرته .

وآمل أن أكتب مذكرات بضع سنين عدت فيها إلى لبنان لأؤسس للعمل الإسلامي ، وأربи كوادر كفوئين للعمل الاجتماعي والجاهادي والسياسي .

وأهم الجميع مذكرات نحو ثلثين سنة قضيتها في إيران ، منها سنة في طهران في العمل السياسي من أجل العراق ولبنان ، ثم بقية العمر في الحوزة العلمية بقم المشرفة ، في العمل العلمي والتبلیغ ، ومواكبة حركة الثورة والدولة في إيران .

ولا ينقصني في ذلك الذاكرة فهي دقيقة والحمد لله ، ولا الماده فهي لو اختصرتـها مجلدات . لكن المشكلة أن الناس يريدونك أن تكذب أو تسكت ، وقد يتحملون أن تتكلـم بابـن عم الكلام ، وتجـبرـدـ كلامـكـ منـ الأـسـماءـ ، كـلامـاًـ بلاـ مـلحـ ، وبـلاـ فـائـدةـ .

وقد كـتبـتـ كتابـ تصـحـيـحـ فـكـرـ الدـعـوـةـ ، فـرأـيـتـ أنـ النـاسـ لاـ يـتـحـمـلـونـ ، فـأـوـصـيـتـ أنـ يـنـشـرـ بـعـدـ موـقـيـ ، بـراءـةـ لـذـمـتـيـ منـ الـعـلـمـ وـالـتـنـظـيرـ لـمـشـرـوـعـ خـطـيـرـ يـقـومـ عـلـىـ تـقـلـيدـ الـفـكـرـ الإـخـوـانـيـ الـأـمـوـيـ ، الـذـيـ اـنـدـفـعـنـاـ لـهـ بـاـسـمـ الـإـسـلـامـ ، وـعـشـقـنـاـهـ وـتـصـوـفـنـاـلـهـ ، فـإـذـاـ بـهـ عـاطـفـةـ لـاـ تـقـومـ عـلـىـ مـدـرـكـ عـقـلـيـ وـلـاـ تـأـصـيلـ شـرـعـيـ ، فـهـوـ مـصـبـيـةـ مـنـ الـمـصـائـبـ .

هل سيأتي يوم أـسـتـطـيـعـ أنـ أـكـتـبـ تـجـربـتـيـ فيـ الـفـكـرـ وـالـعـلـمـ وـالـشـخـصـيـاتـ ، بـحـرـيـةـ شـاهـدـ الـعـصـرـ .. آـمـلـ لـلـلـكـهـ لـاـ يـهـ مـاـ - مـنـ مـنـ رـوحـ إـلـهـاـلـ هـقـمـ الـكـفـرـونـ .

## فهرس م الموضوعات الكتاب

## فهرس موضوعات الكتاب

١.....	مقدمة
٢.....	الفصل الأول: ..... المدرسة الحب والبغض
٣.....	مدرسة خاتون الورد ومدرسة شرف الدين
٤.....	خالتي الحاجة تفاحة ..... الطفل يدرك ويختزن مادة المعرفة
٥.....	مدرسة بعض الناس مقابل مدرس حبيهم
٦.....	أذكر سقوط فلسطين وإقامة دولة إسرائيل ..... خواطر من القرية
٧.....	أذكر انتخابات البرلمان وغلو الناس في أحمد الأسعد ..... قراءة القرآن قبل المدرسة
٨.....	إلى المدرسة في بيروت ..... أول انطباعي عن بيروت
٩.....	مدرستنا مقابل بيت صائب سلام ..... بين المدينة والقرية
١٠ ..	أمضيت صيفاً جميلاً في القرية ..... يوم الجمعة مع الوالد
١١ ..	سبب عمق القرية في ذاكرتنا؟ ..... أحجام الأشياء في نظرنا
١٢ ..	الشيخ على عيده عالم بلدتنا ..... قراءة التعزية في قريتنا
١٣ ..	هل أن القرية توجب ضيق الأفق ..... الفصل الثالث: ..... خواطر من دراستي في جبل عامل
١٤ ..	اختر لي والدي <small>ج</small> ان أكون طالب علم ..... نسبة الوالدين لطلاب العلم
١٥ ..	كيف يفحص الطالب نيته؟ ..... علم الأنبياء والأوصياء <small>ج</small> الخاص
١٦ ..	فوائد مجالس الأستاذ وأحاديثه وكلماته ..... أكملت قصر الندى فأخذني الوالد إلى السيد <small>ج</small>
١٧ ..	العلاقة بين طلبة المحونة وطلبة الكليات الأدبية ..... استكشفت أوربة البياض وربوتها
١٨ ..	التطبيق الطفولي للفقه الذي نتعلمه ..... دجاجة الشريقة خالة أهل البياض
١٩ ..	
٢٠ ..	
٢١ ..	
٢٢ ..	
٢٣ ..	
٢٤ ..	
٢٥ ..	
٢٦ ..	
٢٧ ..	
٢٨ ..	
٢٩ ..	
٣٠ ..	
٣١ ..	
٣٢ ..	
٣٣ ..	
٣٤ ..	
٣٥ ..	
٣٦ ..	
٣٧ ..	
٣٨ ..	
٣٩ ..	
٤٠ ..	
٤١ ..	
٤٢ ..	
٤٣ ..	
٤٤ ..	
٤٥ ..	
٤٦ ..	
٤٧ ..	
٤٨ ..	
٤٩ ..	
٥٠ ..	
٥١ ..	
٥٢ ..	
٥٣ ..	
٥٤ ..	
٥٥ ..	
٥٦ ..	
٥٧ ..	
٥٨ ..	
٥٩ ..	
٦٠ ..	
٦١ ..	
٦٢ ..	
٦٣ ..	

٦٤.	دبر عامض وال حاج سعيد الأغا .....
٦٨ .	دبر انطمار وال حاج عبد الله حجبيج .....
٧٠ .	مزرعة مشرف والشيخ حسين سليمان .....
٧١.	قانا الجليل المجاورة للبياض.....
٧٣ .	تعرفت على شخصيات عديدة في البياض .....
٧٤ .	قصة الشيخ رضا فرحات مع الشيخ البهائى .....
٧٦.	كتاب الأوزان والمقادير لاستاذنا <small>الله</small> .....
٧٦.	موقف استاذنا مع القيسين ابراهيم .....
٧٨ .	من آراء استاذنا السياسية .....
٨١.	مصار تعدد اهتمامات طالب العلم ومنافعها .....
٨٢ .	الأحوال الأدبية في البياض وياطر .....
٨٧ .	الفصل الرابع .....
٨٧ .	الهدف كل الهدف.. حوزة النجف .....
٨٧ .	هب علينا نسم نسم النجف .....
٨٨ .	من برج أبي حيدر.. إلى النجف .....
٩١ .	في المدرسة العاملية في النجف .....
٩٣ .	الشيخ مفید الفقهه استاذی ولم ادرس عنده ! .....
٩٥ .	وفاني لاستاذی الشيخ ابراهيم سليمان .....
٩٨ .	انتظمت في الدراسة وصررت مدرسا .....
٩٨ .	زرت أكثر علماء النجف ورأيتهم عن قرب .....
١١.	آية الله الشيخ حسين العلي .....
١٠٢.	فوائد مجالس التعزية ليلاً الخميس .....
١٠٤ .	اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بعين الله ! .....
١٠٦ .	موجة الشيوعيين قلقت النزهة على شاطئ القراءات .....
١٠٨ .	<u>الفصل الخامس:</u> .....
١٠٨ .	المنهج الدراسي في الحوزة .....
١٠٨.	١- ثبات المنهج الدراسي في حوزتنا .....
١١ .	٢- الدراسة الحقيقة وحرمة الطالب والاستاذ .....
١١ .	٣- نظام المباحثة بين الطلبة .....
١١٣ .	٤- كتابة الطالب لدروسه .....
١١٤ .	٥- لماذا لا تأخذ الجامعات العصرية بنظام الإجازات ؟ .....
١١٥ .	٦- ليهاما افضل كثرة المواد أم قلتتها ؟ .....
١١٨ .	٧- محاولات تحديث المتون الدراسية .....
١٢١ .	٨- لماذا عارض أكثر العلماء تأسيس كلية الفقه ؟ .....
١٢٥ .	<u>الفصل السادس:</u> .....
١٢٥ .	نقطات عن المؤسسة الدينية الشيعية .....
١٢٥.	١- لمحة عن المؤسسة الدينية الشيعية .....
١٢٦ .	٢- أنواع طلبة الحوزة واتجاهاتهم .....
١٢٠ .	٣- الخريطة الشيعية لبناء رجل الدين .....
١٢٥ .	٤- نموذج لطالب غبي .....
١٢٨ .	٥- من صفات الطالب الذكي الجاد .....
١٤١ .	٦- ملاحظات مفيدة لطالب العلم .....
١٤٩ .	٧- العلاقة الجدلية بين التدين والفهم .....
١٥٣ .	<u>الفصل السابع:</u> .....

١٥٣	الموجة الشيوعية التي عاصرناها ..
١٥٣	١- ثورة عبد الكرييم قاسم والموجة الشيوعية ..
١٥٦	٢- الحوزة العلمية تواجه التحدي ! ..
١٦٢	٣- تشكيل جماعة علماء النجف ..
١٦٥	٤- منشورات جماعة العلماء مادة تاريخية ..
١٦٥	٥- المنشور الأول لجماعة علماء النجف الأشرف ..
١٦٩	٦- النشر الثاني - رسالة توضيحية موالية للزعيم ..
١٧١	٧- فتوى المرجعية: الشيوعية كفر والحاد ..
١٧٣	٨- منشورات جماعة العلماء إلى مجلة الأضواء ..
١٧٥	٩- تأثير الأضواء وتخوف البعثيين والقوميين منها ..
١٧٦	١٠- عمل جماعة العلماء ولجنة الأضواء ضد الأضواء ! ..
١٨٥	١١- الشيخ مرتضى آل ياسين: الأضواء جابت بنية ! ..
١٨٨	<u>الفصل الثامن:</u> ..
١٨٨	عهود قبل الاستبداد البغدادي ..
١٨٨	١- لماذا سلط عبد الكرييم الشيوعيين على الناس؟ ..
١٩٠	٢- غلو الشيوعيين في الزعيم الأوحد ! ..
١٩١	٣- تأثير الموجة الشيوعية على السنة في العراق ..
١٩٢	٤- أول ثورة ناصرية على عبد الكرييم قاسم ..
١٩٤	٥- عداوة عبد السلام عارف للشيعة ! ..
١٩٥	٦- هدية عبد السلام الأموية إلى عبد الناصر ! ..
١٩٩	٨- عاشر هالعام اثنين ! ..
٢٠١	<u>موجتنا ضد الشيوعية خدمت عبد الناصر</u> ..
٢٠١	١- كانت المرجعية موجة شعبية ضد الشيوعيين ..
٢٠١	٢- مطالبات الشيعة من عبد السلام عارف ..
	٢- تظاهرة الشيعة في تجديد ضريح أبي الفضل العباس ..
	٢٠٥
	٤- السيد المرجع يأمر ابنه بالسكنى في بغداد ..
	٢٠٦
	٥- المرجعية والشيعة في عهد عبد الرحمن عارف ..
	٢٠٩
٢١٠	٦- واصل عبد الرحمن سياسة أخيه عبد السلام ..
٢١٢	٧- فجيعة النجف بهزيمة الأمة على يد إسرائيل ..
٢١٣	٨- تنافست ثلاث دول لاستضافة السيد المرجع ! ..
٢١٤	٩- وحدة البغثيين المليوقة ! ..
٢١٥	<u>الفصل التاسع:</u> ..
	٢٢٣
	قصة ابعاد الشيعة عن الحكم في العراق ! ..
	٢٢٢
	١- مشكلة الشيعة أنهما أهل قيم ووفاء ! ..
	٢٢٢

٢- ثورة العشرين: سبع عجاف على الشيعة سمان على السنة !

٢٢٣

٢- كيف سلم الإنكليز حكم العراق للأقلية السنوية !

٢٢٤

٤- الهزة الشيوعية أحيت طموح الشيعة السياسي !

٢٢٥

الاتجاهات الثلاثة بعد الهزة الشيوعية

٢٢٦

١- اتجاه المرجعية الإصلاحى التقليدى

٢٢٧

٢- الاتجاه الثاني: مشروع الحركة الإسلامية العالمية

٢٢٨

٣- أبو عصام هو الداعوة تأسيساً وقيادة

٢٢٩

٤- المرحلية خيال آمنا به ثم تركناه !

٢٣٠

٥- الاتجاه الثالث: العمل لتسلم السلطة بانقلاب عسكري

٦- سفر المرجع إلى بغداد وعنف السلطة معه !

٢٣١

٧- السيد الصدر يسافر إلى لبنان

٢٣٢

٨- وجه التباهي بين البغداديين والشيوعيين !

٢٣٣

٩- محاربة الحكومات الطالة للشاعر الحسيني !

٢٣٤

١٠- وفاة السيد الحكيم ومحاجات الداعوة والسيد الصدر

٢٣٥

١١- المازنة في العلاقة بين الداعوة والسيد الصدر

٢٣٦

حجج أصحاب الاتجاهات الثلاثة

٢٣٧

لحمة عن أدلة الاتجاهات الثلاثة المتقدمة

٢٣٨

١- حجة أصحاب الاتجاه الإصلاحي التقليدي

٢٨٤

٢- حجة أصحاب الاتجاه الثوري الانقلابي

٢٩٠

٣- حجة الحركيين على قيادة غير الفقيه

٢٩٥

٤- مقوله: لا تقليد في العقائد

٢٩٩

٣٠١..... من هم أوعي: الحركيون من أم التقليديون ؟ .....

٣٠١..... ١- أين كنا وأين صرنا ؟ .....

٢- الصادق مع ربه لا مشكلة عنده

٣٠٣

٥- هل العمل السياسي من شروط التدين

٣٠٧

٦- هل نسقطر وحجب اقامة الدولة ؟ .....

٣١..... ٥- الذاتية والموضوعية في الدين .....

٣١..... ٦- من هم الأوعي: الحركيون أم التقليديون ؟ .....

٣٧..... ختام وآمال .....